الجمهورية العربية المتحدة
المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

العظة والاعتبار
آراء
في حياة
السيد البدوي
الدنيوية وحياته البرزخية



بقلم الأستاذ
أحمد محمد حجاب

الجمهورية العربية المتحدة
المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

العظة والاعتبار
آراء
في حياة
السيد البدوي
الدنيوية وحياته البرزخية

بقلم الأستاذ
أحمد محمد حجاب

القاهرة ١٣٨٦ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

فاعلم أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله ، واعلم أنه إذا كان التوحيد لا يقبل إلا بمحمد رسول الله .

(فكيف يعد مشركا من يتوسل به إلى الله)

« أحمد محمد حجاب »

تأمل صورتى توحى بصدق   بأن الحق مشربها الصريح
أقول الحق لا أبغى سواه   ويملأ قلبى النصح الصحيح
وأبدى الرأى لا ابغى انتصارا   لغير الله إن عز النصيح
فليس لغيره فى القلب مثوى   وليس لغيره وضع صحيح
فان شئت السلامة فابغ قولى   يعبر عنه منطقه الفصيح
وإن شئت الملامة هاك غيرى   ينم عليه موقفه القبيح

مقدمة

الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله ، وأصلى وأسلم على سيدنا محمد رسول الله ، وعلى آله وأصحابه ومن والاه .

وبعد فقد رأيت فى مقدمة الطبعة الثانية لكتاب العظة والاعتبار أن أتكلم فى مسائل دينية هامة بعضها يتعلق بالله تبارك وتعالى من حيث وجوده وتأثيره فى الكون ، وهل يمكن طلبه لنجدة ، وأين هو ، وهل هو فى الأرض أو فى الفضاء الخارجى ، وكيف هو — وبعضها يتعلق بسيدنا عيسى عليه السلام من حيث حياته وموته وقتله وصلبه — وهل هو حى فى السماء وسينزل الى الأرض — أو أن اليهود قتلوه وصلبوه ومات وانقضى أجله كما ذهب الى ذلك بعض كبار الشيوخ — وبعضها يتعلق بنشر السلام فى الأرض — وهل يمكن تحققه وتجنب الحروب — وما هو الطريق الى ذلك — وبعضها يتعلق بعبادة الله من حيث أدائها على القبر أو الى القبر أو فى جوار القبر — وكيف تكون فاسدة أو تقع صحيحة فى هذه المواطن .

أردت أن أتكلم فى هذه المسائل التى هى من صميم الدين لأكشف الحقيقة فيها للناس واضحة جلية بعبارات سهلة وقريبة يمكن لكل قارىء مهما كانت درجته العلمية نازلة أو عالية أن يلمس تلك الحقيقة ويدركها من خلال تلك العبارات بدون تعثر وبدون جهد أو أقل عنت .

وقد تناول هذه المسائل بالبحث أناس كثيرون علماء وشيوخ كبار وفلاسفة مثقفون وغير مثقفين فبعضهم ضل وبعضهم ضل وأضل وبعضهم قارب النجاح وبعضهم سقط فى منتهى الطريق — ولكنهم جميعا لم

يستطيعوا ان يكشفوا للناس عن الحقيقة العلمية فى هذه المسائل الدينية الكبرى وأن يحضروها لهم تحضيرا يتلاءم مع عبقريتهم أو جاهليتهم ليتناولوها جميعا سائغة هنيئة للشاربين ، وليتقبلوها بقلب صادق سليم ، وقد عقدنا لكل مسألة من هذه المسائل رسالة خاصة تحرينا فيها الحقيقة مجردة عن كل غرض وهوى ومصفاة من كل لبس وتعمية ابتغاء وجه الله الكريم والله هادينا الى طريقه المستقيم فنقول وبالله التوفيق .

الرسالة الاولى

موضوعهـا :

هل يمكن أن نجد الله فى الأرض أو فى الفضاء الخارجى ؟

قرأنا أنه قد طلب الله فى الفضاء الخارجى أحد رواد الفضاء فلما لم يجد الله هناك اعتقد أن الله ليس بموجود فى الأرض ولا فى السماء .

وقرأنا أن زعيما اشتراكيا ضاق ذرعا بالرأسماليين والاستعماريين لما سدوا فى وجهه الطريق الى السلام فلم يطق أن يكظم غيظه فأنفجر معلنا فى الصحف اليومية أن الله لو كان موجودا لكنس الرأسماليين والاستعماريين بمكنسة والقى بهم فى الجحيم — وفاته أن الله حليم لا يعجل بالعقوبة كما لا يعجل بالثواب وأنه لو عجل فينا من ذلك لما كان هناك فائدة لدار ثواب وعقاب ولكان الايمان بالله جبرا لا اختيارا مادام أن كل من عصى أو طغى كنسه الله بمكنسة والقى به فى الجحيم .

وعلمنا أن قطبا اشتراكيا من أقطاب المادة طلب الله فلما لم يجده فى عالم المادة لف الأديان فى خرقة بالية وأخفاها فى جب عميق وضرب عليها بسور من حديد ليس له باب ، باطنه فيه الرحمة وظاهره من قلبه العذاب واطمأن الى أن الله ليس بموجود فى الأرض ولا فى السماء .

وقد طلب الله فرعون من قبل فلما لم يجده قال لوزيره هامان ياهامان ابن لى صرحا أعلو عليه لأطلع الى اله موسى فى السماء فلما لم يجده اعتقد أن لا آله الا فرعون وأن الله ليس بموجود فى الأرض ولا فى السماء .

وظهر فى القرون الثلاثة ، طوائف من الناس على أشكال شتى ومذاهب شاذة متنوعة زعموا أنهم فلاسفة ماديون طلبوا الله فلما لم يجدوه فى عالم المادة اعتقدوا أن الله ليس بموجود فى الأرض ولا فى السماء وخرج هؤلاء الفلاسفة الماديون — الذين لا يعترفون بوجود الله — على أسلافهم من

الفلاسفة الروحانيين الذين يعترفون بوجود الله — وخرجـوا أيضا على الأديان كلها من شريعة آدم أبى البشر الى شريعة خاتم المرسلين صلى الله عليه وسلم بل وخرجوا أيضا على الأديان التى سبقت شريعة آدم أبى البشر والتى كان عليها سكان الأرض قبل آدم من جن أو ملائكة أو أوادم آخرين خلاف آدم الأخير أبى البشر ، وتقدر أعمار هذه الشرائع بملايين السنين أى من بدء الخليقة الى الآن .

خرج هؤلاء الماديون الطبيعيون هذا الخروج السافر الجرىء الذى يمثل الجهل بعينه والضلال بعينه وجعلنا نعتقد أنهم ليسوا من العلم والمعرفة فى شىء وأنهم من الانحراف عن الحق والسير فى الضلال فى كل شىء .

وانى لأذكر للقارىء أصل تكوين هذا الرأى الفاسد القائل بعدم وجود الله وأن العالم ومنه الانسان موجود بطبيعته — ومن هو الذى اقترف هذا الرأى الفاسد وابتكره فى القرن الثامن عشر — وعلى أى أساس بنى هذا الرأى ، ومن الذى قلده فى هذا الرأى وتبناه وما الذى حمل من تبناه على أن يتبناه ليلمس بنفسه فساد هذا الرأى وفساد تفكير القائل به وتفكير من قلده وضلالهم جميعا فى هذا التفكير .

فالفلاسفة الروحانيون الأقدمون والمحدثون كانوا يعتقدون أن الكون وكل مافى الكون ومنه الانسان نتاج للفكرة الأزلية على حد تعبيرهم وليس لحركة فكر أى بشر مفكر دخل فى احداث أى شىء من التغييرات والتطورات التى تحدث فى هذا الكون فحركة الفكر الأزلية هى خالقة الواقع فى الكون وليس هذا الواقع فى الكون الا صورة ظاهرية للفكرة الأزلية هذا ما كان يعتقده الفلاسفة الروحانيون الى عهد هيجل الفيلسوف الألمانى الروحانى فى القرن الثامن عشر « ١٧٧٠ — ١٨٣٠ » وحدث فى القرن الثامن عشر أن « ماركس » تلميذ هيجل فى الفلسفة خرج على هيجل وخرج معه « أنجلز » صديق ماركس واعتقدا معا نقيض ما يعتقده هيجل كما صرح بذلك ماركس نفسه حيث قال « ان حركة الفكر التى يجعلها هيجل ذاتا يسميها الفكرة الأزلية هى عنده خالقة الواقع وليس هذا الواقع الا صورة ظاهرية للفكرة الأزلية » أما عندى « أى عند ماركس » فحركة الفكر ليست

الا انعكاسا للحركة الواقعية منقولة ومحولة للمخ البشرى ،فهيجل عنده أن الله هو خالق الواقع فى الكون وليس هذا الواقع الا صورة ظاهرة لما فى الفكرة الأزلية . وماركس عنده أن الواقع موجود بطبيعته بما فيه الانسان وليست هناك حركة فكر أزلية خالقة للواقع وأن ما فى فكر الانسان صورة ظاهرية للواقع الطبيعى فنفى المسكين وجودالله وخرج على أستاذه هيجل وعلى كل الفلاسفة الروحانيين كما خرج على الأديان كلها كما قدمنا بدون سند و لادليل كما ترى ونفى ما يسميه أسلافه حركة الفكر الأزلية التى هى خالقة الكون وأحل محلها الحركة الواقعية الطبيعية المنقولة والمحولة من الواقع الى المخ البشرى ، ولذلك تراهم يعرفون هذه الفلسفة الماركسية بأنها هى المفهوم العام للطبيعة والانسان معا — ولا اله بعد ذلك ولا مألوه ولا خالق ولا مخلوق .

والحقيقة أن ما يقوله ماركس وارتد بسببه عن الدين اليهودى كما ارتد بسببه مئات الملايين من المسيحيين من أن الكون ومنه الانسان موجود بطبيعته قول هراء وباطل وفاسد لا يمكن تصوره ولا يمكن أن يصدقه عقل ولا يقبله انسان مفكر ولا غير مفكر وما كان يستحق أن يكتب له البقاء فى الأرض يوما واحدا من حين ظهوره فى القرن الثامن عشر الى يومنا هذا لولا الاعتقادات الباطلة التى التصقت بمذهب الفلاسفة الروحانيين الذين يعترفون بوجود الله فاضطرت هذه الاعتقادات مئات الملايين من المسيحيين أن يتركوا مذهب هيجل وأضراب هيجل من الروحانيين وان يتمسكوا بمذهب ماركس الضال الخاسر الكافر بالله فمذهب الفلاسفة الروحانيين قد علمت أنه يقرر أن الكون وكل ما اشتمل عليه الكون نتاج للفكرة الأزلية وأن الواقع فى الخارج أيا كان صورة ظاهرية للفكرةالأزلية هذا المذهب الذى يقرر ما تقدم ؛ قد اتخذته القياصرة الروسيون واتخذه الاستعماريون وكل الحكام المستبدون وسيلة ومبررا وسلاحا ماضيا يشهرونه فى وجوه الثوريين الخارجين على سياستهم الاستبدادية قيصرية وغير قيصرية فكلما ثار شعب مستعبد أو مغلوب على أمره أفحموه وواجهوه بمذهب الفلاسفة الروحانيين القائلين بأن الواقع فى الأرض من النظم كلها

صورة ظاهرية للفكرة الأزلية ، واذا كان صورة ظاهرية للفكرة الأزلية فلا يصح أن يثور على هذا الواقع أحد ولا يصح أن يعترض عليه أو يغيره أحد. فهو حقيقة ثابتة لا يقبل التغيير ولا التبديل ولا يصلح الاستعاضة عنه بأى نظام آخر اشتراكى أو غير اشتراكى .. من هنا ضاقت الدنيا فى وجوه الشعوب المستعبدة والمغلوبة على أمرها والمحكومة بالقسر والقوة فتبرمت هذه الشعوب وطلاب الاشتراكية من المذهب الروحانى الذى يعترف بوجود الاله ، وتبرأت من هيجل واضراب هيجل واستمعوا لماركس ومذهب ماركس مادام يقرر لهم أن الكون وكل ما فى الكون ليس نتاجا لفكرة أزلية وأن الكون بطبيعته فى تغير مستمر وأن تغيير النظم نتيجة حتمية تقتضيها طبيعة الوجود وأن الانسان الجدلى يستطيع بحركة فكره المنعكسة عليه من طبيعة الكون أن يغير ما يريد تغييره ويثبت مايريد اثباته ،وهكذا ظهرت الاشتراكية متبرئة من مذهب هيجل الروحى الذى ينصر القياصرة والمستعمرين ، ومتسربلة ، بمذهب ماركس المادى الذى يفسح المجال للاشتراكيين وأسقطوا من حسابهم وجود الله تعالى . هذا ومذهب الفلاسفة الروحانيين القائل بأن الكون وكل ما اشتمل عليه الكون صورة ظاهرية للفكرة الأزلية يجب تمحيصه وتصحيحه على الأصول المرعية فى الشرائع الالهية ، لأن بقاء هذا المذهب على ظاهره يرسم فى العقل صورة خاطئة وهى أن الله سبحانه وتعالى يرضى عن كل ما هو واقع فى الكون ويحب كل ما هو واقع فى الكون ما دام هو صورة ظاهرية للفكرة الأزلية — وقد علمت أن الحكام القياصرة والمستعمرين قد اتخذوا هذه الصورة الخاطئة دليلا لهم على أن الله هو الذى أقام القياصرة والمستعمرين على رءوس الناس فى أرضه ، وكان هذا الاستدلال سببا فى كفر الاشتراكيين بالله وتمسكهم بمذهب ماركس اللعين ، فالله لايرضى عن كل ما هو واقع فى الكون ولا يحب كل ما هو واقع فى الكون بل أن ٩٩٪ مما هو واقع فى الكون من أعمال الناس وأفعالهم لا يحبه الله ولا يرضى عنه ويلعن فاعليه لعنا كبيرا سواء كانت الأعمال فردية كالمعاصى أو اجتماعية كالنظم التى يختارها الناس

ولم تكن متمشية مع ما شرعه الله على لسان رسله عليهم الصلاة والسلام، فكيف اذ يقول الفلاسفة الروحانيون أن الواقع في الكون هو صورة ظاهرية لفكرته الأزلية ، نعم ان ما في الكون مخلوق له ومن صنع قدرته ، خلقه وصنعه بناء على اختيار الناس له « والله خلقكم وما تعملون » ولا يلزم من كونه مخلوقا له من صنع قدرته أن يحبه ويرضى عنه لايضاح ذلك نقول : ان الأعمال الواقعة في هذا الوجود كله سواء كانت الأعمال فردية ، أو نظما اجتماعية، اقطاعية أو استعمارية أو استغلالية أو رأسمالية أو اشتراكية أو غيرها كلها مخلوقة لله وليس لأحد دخل في خلقها الا اختيار الفاعل لها أن يفعلها فيخلق الله هذا العمل أو هذا النظام على ضوء هذا الاختيار، فالكفر بالله مخلوق لله وليس للكافر دخل في خلقه الا اختياره أن يكفر فيخلق الله فيه الكفر على ضوء هذا الاختيار ، والأعمال الاقطاعية مخلوقة لله وليس لأحد من الاقطاعيين دخل في خلقها الا اختيارهم أن يفعلوه فيخلق الله النظام الاقطاعي على ضوء هذا الاختيار والأعمال الاستغلالية الواقعة من الرأسماليين والاستعماريين مخلوقة لله وليس لأحد من هؤلاء دخل في خلقها الا اختيارهم أن يفعلوها فيخلق الله الرأسمالي والاستعماري على ضوء هذا الاختيار وهكذا القول في كل التغيرات والتطورات والتحولات فصاعدا أو تنازلا وفي كل الأعمال الثورية والحربية والسلمية — وفي كل طاعة وكل معصية وكل شر وكل خير كلها مخلوقة لله وليس لأحد دخل في خلقها الا اختيار الناس أن يفعلوها فيخلقها الله على ضوء هذا الاختيار — ثم لا يلزم من كونها مخلوقة لله بناء على اختيار الناس لها أن تكون مرضيا عنها من الله الا اذا كان اختيارهم لما اختاروا على وفق ما شرعه الله — فمذهب الروحانيين يجب تنزيله على ما ذكرنا وتصحيحه بما وضحنا لأن بقاءه على ظاهره كان سببا في ان الاشتراكيين نبذوا مذهب الروحانيين وتمسكوا بمذهب ماركس المادي الذي لا يعترف بوجود الله وشايع ماركس في ذلك جميع الماديين الذين نشأوا في هذه القرون الثلاثة وذهب الجميع الى أن الكون كله بما فيه الانسان موجود

بطبيعته وأنه لا صانع له — وإن كل صنعة لابد لها من صانع استدلال غير منطقى عندهم لأنهم يريدون أن يجدوا هذا الصانع فى عالم المادة أمامهم فيعترفون به صانعا فاذا لم يجدوه أمامهم فلا وجود له عندهم ، واعتقدوا أن قيام السموات بنفسها وبدون أن يكون هناك اله أقامها ، وأن الكواكب الثابتة فى السماء التى لا تتحرك أبدا ثابتة بنفسها وهى التى لم تتخذ لها مدارا تدور عليه كغيرها وأن الشمس والقمر وسائر الكواكب السيارة تسير بنفسها وتدور بغير أمر ربها ، وهل يتصور عقل انسان أن يدور قمر صناعى حول الأرض بدون أن يعده للدوران أحد وهل يتصور عقل بشر أن تدور سفينة هواء حول القمر بدون أن يدفعها ويرسلها للسير حوله أحد .

وهل يتصور عقل آدمى أن يقطع كوكب دورته فى كل ٢٤ساعة بالتحديد أو فى كل شهر بالتحديد أو فى كل سنة بالتحديد من غير أن يحدد سرعته أحد وهل يتصور عقل آدمى أن تضىء هذه الكواكب الدنيا أثناء دورانها بدون أن يشعلها أحد ، وهل يتصور عقل آدمى ان ترفع هذه الكواكب فى الهواء وتنصب فى الفضاء بدون أن يمسكها فى جو السماء أحد .

واذا كانت مجموعة هذه الكواكب الشمسية ومنها الأرض قد وقعت فى مواقعها بطريقة جذب بعضها لبعض كما تقولون فمن الذى أوجد فيها هذا التجاذب ؟ من ذا الذى جعلها جاذبة لما حولها ومجذوبة بما حولها من الكواكب فأصبحت كلها قائمة بنفسها وفى الوقت نفسه قائمة بغيرها ؟ ثم من ذا جعل القوى الجاذبية فى الأرض تمتد فى الفضاء الى مسافة ٨٠٠ مليون مترا كما تقولون ؟ ومن ذا الذى جعل القوة الجاذبية فى كوكب الزهرة تمتد الى مسافة ٦٥٠ مليون مترا كما تزعمون ؟ — يا للعجب ! تمتد القوة الجاذبية فى الأرض ٨٠٠ مليون مترا ، ثم تجدون الأرض تعجز بعد ٣٠٠ كيلو أن تجذب اليها قلم رصاص كاد ينفلت من يد « جاجارين » الروسى ليطير القلم فى الهواء فى منطقة انعدام الوزن ولا يسقط على الأرض بتأثير جذبها الممتد ٨٠٠ مليون متر . ان هذا الشىء عجيب ، ومعنى ماتقولون فى قانون الجذب أن هناك قوتين عظيمتين قوة جاذبة هائلة سارية بين الكواكب بعضها

مع بعض وبينها وبين الأرض ، بها تماسكت كلها وترابطت . وقوة أخرى طاردة تطرد انجذاب الكوكب الصغير الى الكبير لئلايتلاصقان أو يتصادما ، فمن بعد أن نسلم بكل عنف تعادل القوة الجاذبة مع القوة الطاردة بين كوكبين أحدهما يزيد على الآخرمليون مرة نقول بعد أن نسلم . هذاالتعادل وهو أمر يستحيل عقلافأين هي القوة الجاذبية الهائلة السارية بين الكواكب بعضها مع بعض ومنها الأرض وقد شاهدتم بأعينكم ورأيتم بأنفسكم أنه بعد مائتى ميل أو ما يقرب من ذلك قد انعدم وزن الأجسام بتاتا كبيرها وصغيرها ومعنى انعدام وزن الأجسام بتاتا أنه ليس هناك قوة جاذبة هائلة سارية بين الكواكب وبينها وبين الأرض فها هى الأرض بعد هذه المائتى ميل قد عجزت تماما عن أن تجذب اليها «جاجارين» وكتاب جاجارين وقلم جاجارين أو أى جسم آخر أكبر أو أصغر من جسم جاجارين مهما عظم كبره أو صغره فكيف تقوى الأرض على أن تجذب اليها القمر أو الزهرة أو أى كوكب أصغر منها ، افلا ترون بعد ذلك أن قيام هذه الكواكب فى الفضاء وأن وقوع كل كوكب فى موقعه ليس بطريق تجاذب انما هو بتقدير حكيم وتدبير عليم ، « انما أمره اذا أراد شيئاأن يقول له كن فيكون » . ويوضح القرآن أصل ما يسمونه تجاذبا ويبين الحقيقةفى ذلك فيقول «ان الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا ان أمسكهما من أحد من بعده انه كان حليما غفورا » فبامساكه للسموات والأرض ولكل ما فى السموات والأرض تماسكت المجموعة الشمسية وترابطت حتى أصبحت بامساكه لها قائمة فى أماكنها واقعة فى موقعها ومعلقة فى الفضـاء بدون حامل يحملها تدور فى مداراتها وتدور حول نفسها لتؤدى وظائفها التى أناطها الله بها ولولا امساكه اياها لزالت عن أماكنها وتحولت عن مداراتها فيختل نظامها ويقع التصادم بينها ويحل بها وبمن حولها كوارث لا تبقى ولا تذر .

ويعدهم الله وعدا لا خلف فيه ولا كذب فيقول « سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهـم أنه الحق » فيشاهد تورى جاجارين رائد الفضاء الأول أن الأرض هى ومحيطاتها وأنهارها وجبالها التى تحيط

بها احاطة الثوب بالبدن قائمة فى الفضاء لايحملها شيء الا قدرة الله ولا يمسكها شيء الا الله عز وجل ويشاهد فى نفسه حينما اخترق الطبقة الهوائية أن وزنه وثقله قد انعدم نهائيا وأن دفتره وقلمه قد انعدم وزنهما وأنهما كانا يتفلتان من يده وأنه أصبح فى حاجة الى من يمسكه هو ودفتره وقلمه لئلا يطيروا فى الفضاء الذى حولهم يشاهد آيات الله فى الآفاق ويشاهد آيات الله فى نفسه حتى لقد دهش الرجل من هذه الآيات البينات فقال فى أول تصريح له « ان قيام الأرض فى الفضاء لابد أن يكون مستندا الى اله قادر أقامها » ولكن كل هذا لم يغن شيئا عند علماء الطبيعة فلا يزالون يصرون على أن الأرض بطبيعتها هى التى تمسك الجبال المحيطة بها من كل جانب أن تزول وتطير فى الفضاء الذى حولها ، وأن الأرض بطبيعتها هى التى تمسك المحيطات التى تحيط بها من كل جانب أن تزول وتنهمر فى الفضاء الذى حولها وأن الأرض بطبيعتها هى التى تمسك العالم بدوله أن تتساقط هى وشعوبها فى الفضاء الذى حولها ، اذن كان على الطبيعيين أن يسجدوا لهذه الأرض وأن يقدسوها ما دامت هى التى قد أسدت اليهم هذه النعم التى لا تتناهى والتى ان يعدوها لا يحصوها فمن نكران الجميل أن ينكروا فضلها وأن يتنكروا لمعروفها فذلك خير وأجدى من أن يعيشوا فوقها بجمود عقل وجحود فضل لا يعرف له العقل حدودا .

ومع هذه الأدلة الحية التى تنطق بوجود اله صانع للعالم تجد هؤلاء الطبيعيين قد نبذوا كل ما فى الكون من آيات الله وراءهم ظهريا ولم يتخذوا منه ولا من كل مافيه شاهدا واحدا يشهد لهم بوجود الله .

وانما الدليل القائم عندهم على وجود الله هو أنهم يجدونه فاذا لم يجدوه فلا وجود له عندهم ، من أجل ذلك قد ترجمنا لهذا البحث بالترجمة السابقة وهى « أنه هل يمكن أن نجد الله فى الأرض أو فى الفضاء الخارجى ؟ » وتنزلا مع هؤلاء الماديين الذين يريدون أن يجدوا الله ولايعترفون به موجودا الا اذا وجدوه نقول لهم المسألة ليست مستحيلة كما تظنون وليست ممتنعة كما تفهمون وهى لا تقتضى ابدا هذا التعقيد والجمود ، ولا تحتاج أبدا الى هذا الانكار والجحود فالطريق الى أن تجدوا الله كما تشاؤن وأن

تشاهدوا الله كما تريدون مفتوح أمامكم ومعبد ومختصر وقريب لا يحتاج الى عمل صاروخ ولا الى بناء صرح وعليكم أن تسلكوا هذا الطريق الذى تجدون الله فيه ان كنتم جادين ، وتشاهدون الله فيه ان كنتم صادقين فقد أجمل النبى صلى الله عليه وسلم الطريق الى معرفة الله فى أربع كلمات لا أقل ولا أكثر فقال لمن يريد أن يجد الله كما تريدون « احفظ الله تجده تجاهك » أى تجد الله أمامك ، هذا هو الطريق الذى تجدون فيه الله ، هذا هو الطريق الذى سلكه ملايين المسلمين من عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى يومنا هذا فوجدوا الله فى هذا الطريق ، هذا هو الطريق لمن يريد أن يجد الله فيعترف بوجوده بالمشاهدة كما تريدون ، لا بطريق البرهان والاستدلال كما لا تريدون .

فاحفظوه تجدوه — وقد حفظناه فوجدناه — وجدناه تماما لا فى الأرض فقط ولا فى الفضاء الخارجي فقط ولا فى السماء فقط حيث خفتت الأضواء ولم يبق الا وجه الله فقط ، بل وجدناه فى ذلك كله وفوق ذلك كله أى فى عماء محض وعدم صرف حيث لا يمكن أن يوجد أمامك شيء يدرك أو يسمع أو يقع عليه البصر أو ينفذ فيه البصر قيد أنملة ، فى هذا الجو الذى لايمكن أن يسميه الانسان جوا الا للتعريف وجدنا الله ولا شيء معه اطلاقا لاسماء ولا أرض ولا ظلمة ولا نور ، فى هذا الجو الرهيب وجدناه سبحانه وتعالى ووجدنا صفة الحياة فيه مخالفة تماما لصفة الحياة فى الحوادث ، فحياة الحوادث تقوى حيث تتوفر أسباب الحياة من هواء وأضواء وأجواء ، وتضعف أو تزول حيث ينعدم الهواء وتنمحى فى الأضواء والأجواء ، وحياته سبحانه وتعالى لا تقبل التغيير فى أى حالة من هذه الحالات فيتجلى لمن شاء فى الأرض أو فى السماء أو فى العماء اللانهائى بصفة واحدة وعلى حالة واحدة .

وجدنا ذاته سبحانه وتعالى مخالفة لذوات الحوادث . فلا تركيب فى الذات ولا عضوية ، بل هى ذات أحدية نورانية ذات سمع وبصر وعلم وقدرة وحياة ، وذات جلال لا تستطيع أية قوة أن تثبت أمام جلاله الا اذا كان تجليه

بصفة الجلال بمقدار ، ولا تستطيع أية قوة أن تثبت أمام جماله الا اذا كان تجليه بصفة الجمال بمقدار .

ووجدنا كلامه سبحانه وتعالى مخالفا لكلام الناس فكلام الناس يسمع بالأذن وبالأذن وحدها أما كلامه سبحانه وتعالى فلا يسمع بالأذن وحدها بل بالروح كلها فيظهر أثر وقعه فى البدن كله فكأن البدن كله أذن لسماع كلامه سبحانه وتعالى ومن هنا يمكن التمييز بين كلامه سبحانه وتعالى وبين ما يلقيه الشيطان أو الولى او غيرهما فى آذان المستمعين الى هؤلاء .

ولما كان كلامه سبحانه وتعالى لايكون الا وهو من وراء حجاب كما قال القرآن « وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا » أى الهاما أو من وراء حجاب أى حجاب النور الذى يحتجب به سبحانه وتعالى عن أن يرى كفاحا فى وقت المناجاة كان سماع كلامه بالبدن كله كما قلنا هو الدليل الوحيد على أن المتكلم هو الله لا الشيطان ولا غيره ممن ذكرنا — وقد سأل موسى ربه أن يراه كفاحا فى وقت المناجاة فقال له ياموسى لن ترانى وانما « اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى » فكان سماع موسى لكلامه من وراء الحجاب هو ميزة موسى عليه السلام — أما رؤيته كفاحا سبحانه وتعالى فى غير وقت المناجاة وبدون سماع كلامه فقد يمنحها لمن يشاء من عباده ، ورؤيته سبحانه وتعالى وهو محتجب بحجاب النور وبدون سماع كلامه ، عامة وشائعة فى جميع أوليائه فالناس فى رؤيتهم لربهم على هذه الدرجات التى أشرنا اليها — وانى لأضمن للطبيعيين اذا حفظوه سبحانه وتعالى أن يجدوه على درجة من هذه الدرجات المذكورة وفقهم الله وهداهم الى طريقه المستقيم — وربما كان أعلى هذه الدرجات رؤية الذات الأقدس كفاحا — ثم رؤيته محتجبا بحجاب النور مع سماع كلامه سبحانه وتعالى وهى التى وقعت لموسى عليه السلام — ثم رؤيته محتجبا بحجاب النور من غير سماع كلام وهى الرؤية العامة والشائعة فى أوليائه .

وكلام خاتم المرسلين لربه حين فرض الصلاة — وجوابه لأصحابه حينما سألوه عن رؤية ربه فقال لهم « نورانى أراه » ثم قوله لهم عليه الصلاة والسلام فى مقام آخر «انكم ترونه كذلك أى كالقمر ليس دونه سحاب»

يدل على أن الرؤية على هذه الدرجات الثلاث قد منحها الله خاتم المرسلين عليه الصلاة والسلام .

وجدنا صفة كلامه كما قلنا ووجدنا صفة نوره الذي يحتجب به كما وصف القرآن تماما فى قوله تعالى « مثل نوره » أى صفة نوره «كمشكاة» أى طاقة مستديرة دورانا تاما مستويا غير نافذة من الخلف « وفيها مصباح وهذا المصباح فى داخل غلاف زجاجي . يشبه هذا الغلاف الكوكب الدرى أى الكوكب الذى يكون لونه كلون البدر فى الصفاء والبريق واللمعان ككوكب الزهرة والمشترى يوقد هذا المصباح بزيت يكاد أن يضيء بنفسه ولو لم تشعله بالنار — هذه الأنوار الثلاثة نور المصباح العظيم ، ونور غلافه الزجاجى الدرى ، ونور زيته المضيء بنفسه ، اذا جمعت فى مشكاةغير نافذة من الخلف وانحبست انوارها فيها وانعكست أشعتها على محيط هذه الطاقة من الداخل تضاعف نورها وحصل من مجموعها نـور عظيم يخطف الأبصار هو مثل لنور الله الواحد القهار الذى يحتجب ، عن أن يرى كفاحا بالأبصار نور عظيم على نور أعظم هو نور الذات الأقدس يهدى الله لهذا النور من يشاء من عباده ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيء عليم .

ولكون الطاقة البشرية لا تحتمل الرؤية مع الكلام احتجب سبحانه وتعالى بهذا الحجاب الذى شرحنا لك صفته لئلا تصعقهم سطوة الرؤية وجلال الكلام فاصطفاه موسى للكلام ومنعه من الرؤية لا لنقص رتبته وانما لعجز طاقته وضعف بشريته ولذلك خر موسى صعقا لما تجلى ربه للجبل فجعله دكا قلنا لهؤلاء الطبيعيين وجدنا الله واضطررنا اضطرارا لأن نقول لهم ذلك رحمة بهم وشفقة عليهم أو طلبا لهدايتهم أو فزعا من هول ما هم صائرون اليه فى آخرتهم أو من أجل ذلك كله قلنا لهم ذلك ولكن هل يغنى هـؤلاء الطبيعيون أن نقول لهم وجدنا الله ووجدنا ، هل يغنيهم ذلك شيئا من التصديق بما قلنا فيحفظون الله كما حفظنا ليجدوه كما وجدنا — واذا كان النبى صلى الله عليه وسلم صادقا فى قوله « احفظ الله تجده تجاهك » واذا كان دليل صدقهفيما يقول : هو هذه المعجزة العلمية الكبرى معجزة القرآن الحية الخالدة — واذا كان ما وجدنا من الواقع المحسوس لنا قد أيـد

صدقه فى قوله « احفظ الله تجده تجاهك » فوجدناه تماما — وكما وصفه القرآن تماما — فلماذا اذن لا يطرق هؤلاء الطبيعيون هذا الباب الذى يجدون من ورائه مباشرة غنيتهم والذى ان دخلوه أدركوا ولا شك بغيتهم ، وضمنوا سلامتهم ، وهل يعجز أحد فى الدنيا أن يحقق أربع كلمات فيها سعادته فى الدنيا التى لا تعدلها سعادة ، وسعادته فى الآخرة التى ليس بعدها سعادة — بهذا يخلص الطبيعيون الجدليون من بلبلة الفكر ويستريحون من تأنيب الضمير ومن تشتيت العقل بالبحث فى مجهول الطبيعة الذى لا يعرفون له أولا ولا يدركون له آخرا « فاحفظوه تجدوه » احفظوا الله من التضييع بعدم اعتقادكم لوجوده تجدوه — احفظوا دينه الذى شرعه وأوامره التى أوجبها ، ونواهيه التى حرمها فتقفوا عند أوامره بالامتثال وتقفوا عند نواهيه بالاجتناب فلايفقدكم حيث أمركم ولا يراكم حيث نهاكم تجدوه والله أمامكم وهل كلمة « لا اله الا الله محمد رسول الله » جريمة تجرمونها اذا اعترفتم بها وهى المفتاح الأول والأخير لهذا الباب الذى تجدون من ورائه ربكم واذا وجدتموه علمتم صدقه فى قوله تعالى « يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى » وتيقنتم أن أصلكم آدم وأنتم من بنى آدم ودستم بأقدامكم على قانون التطور الذى أوصلكم بكل أسف الى أن أصلكم قرود وأنتم من بنى القرود كما يقول داروين فى القرن الثامن عشر وكما أوصل طائفة أخرى من الطبيعيين الى أن أصلكم من الحيوانات الزواحف التى تزحف على بطونها وتطورت بمقتضى قانون التطور حتى انتصبت وصارت انسانا ، بيدين ويمشى على قدمين ، وكما أوصل طائفة ثالثة من الطبيعيين الى أن أصلكم سمكة ذات زعانف فرت من البحر الى البر ثم تطورت زعانفها حتى انقلبت يدين وتطور ذيلها حتى صار لها قدمين فهل يرضيكم هذا التخريف .

واذا وجدتموه سبحانه وتعالى أدركتم أن الذى وجدتموه أمامكم هو الذى جعل الشمس سراجا وهاجا على وضعها التى هى عليه لم تتحول ولم تتطور وأنه هو الذى جعل القمر كوكبا منيرا على وضعه الذى هو عليه لم يتحول ولم يتطور — وأنه هو الذى خلق الأرض ودحاها وأنشأ جبالها

وأرساها على وضعها التى هى عليه لم تتحول ولم تتطور وأخيرا اذا وجدتموه أمامكم سخرتم من قولكم ان النجـوم بما فيها الشمس ، والكواكب بما فيها الأرض هى نتاج تطور هائل مستمر — واذا كانت هذه المخـلوقات نتاج تطور هائل مستمر كما تقولون فماذا كان أصل الشمس وأصل القمر وأصل الأرض والكواكب والنجـوم قبل أن تتطور ـ هذا التطور الهـائل المستمر ـ قلتم بمقتضى قانون التطور الذى سيرتم على مقتضاه أمر هذا الكون كله وجعلتم التطور هو الفاعل المختـار فى الكون كله ان النـوع الانسانى أصله قرد فتطور الى انسان فماذا كان أصل الشمس وأصل القمر وغيرهما قبل أن يتطوروا هذا التطـور الهائل المستمر ؟ هل كان أصـل الشمس جملة مواد كيماوية تحولت الى طاقة نارية واشتعلت وتطورت حتى صارت شمسا صغيرة ثم شمسا كبيرة ؟ وهل كان القمر نجما صغيرا فتطور الى نجم كبير الى أن صار بدرا كاملا ؟ ومهمـا قلتم أن أصـل الشمس مادة سديمية قبل أن تتطـور هذا التطور الهائل المسـتمر فان أصـلها لابد أن يرتد آخر المطاف الى الله تبارك وتعالى لاستحالة وجود أى مـادة من المواد بدون أن يكون هناك موجد أوجدها من العدم الى الوجـود سديما كانت تلك المادة أو غير سـديم — ومهما قالت طائفة رابعـة من الطبيعيين ان أصل الانسان قبل أن يتطور خلية واحدة نشـأت من مواد زلالية هلامية وهى المنى بالضرورة أو قلتم أن أصل الانسان حيوانات صغيرة لا ترى الا بالمجهر تطـورت هذه الحيوانات حتى بلغت الصـورة التى يصل فيها الجهاز الى أتم تطوره وهى صورة الفقريات ثم تصل هذه بدورها الى الفقرى التى تبلغ فيه الطبيعة شعورها بذاتها وهى الانسـان هكذا عبارتهم بالنص : » نقول سـواء قلتم هذا أو ذاك فى أصل الانسان قبل أن يتطور فانا نقول لكم ان هذه المادة الزلالية أو هذه الحـيوانات الصغيرة الموجودة فى المادة الزلالية هى الأخرى لابد أن ترتد آخر المطاف الى الله تبارك وتعالى فهو الذى خلق تلك المادة الزلالية وهو الذى خلق هذه الحيوانات الصغيرة فى المادة الزلالية « أفرأيتـم ما تمنـون أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون » . « والله أنبتكم من الأرض نباتا » فهو الذى خلق تلك الحيوانات وخلق أصل تلك الحيوانات من الإغذية التى هى أصل

الانسان وهو الذى طورها أطوارا وهو الذى نفخ فى كل حيوان من روحه وهو الذى جعل فى كل حيوان منها سمعا وبصرا وفؤادا وهو الذى جعل فى كل حيوان منها أجهزة لا حصر لها حتى قامت ونصبت وصارت انسانا تعجز الطبيعة ويعجز الانسان المادى الجدلى ويعجز العقل البشرى وتعجز معامل الدنيا عن صنع وتكوين جهاز واحد منها لكى يؤدى وظيفته التى اناطها الله به — وهذه الأجهزة التى لا حصر لها تحت سمعكم وأبصاركم وفى أنفسكم — فهل الطبيعة هى التى صنعت لكم فى رءوسكم جهاز السمع وجهاز الأبصار وجهاز الأسنان وجهاز الازدراد وجهاز الشم والذوق واللمس وجهاز التنفس حتى تنفستم وهل الطبيعة هى التى رتبت لكم جهاز النطق حتى نطقتم وجهاز المخ حتى عقلتم وجهاز المخيخ حتى اتزنتم وهل الطبيعة هى التى نظمت لكم فى أجسامكم تلك الأجهزة الكبرى المعجزة من جهاز هضمى الى جهاز دموى الى جهاز عصبى الى جهاز بولى الى جهاز تناسلى الى جهاز حركى الى جهاز اتصابى، الى غير ذلك من الأجهزة هل الطبيعة هى التى رتبت لكم هذه الأجهزة التى اذا اختل منها جهاز واحد أو اختل عضو واحد من هذا الجهاز عجزتم وعجز طبكم وعجزت عقاقيركم عن اصلاحه ورده الى وضعه الذى كان عليه حتى تملأ الخانة التى كان فيها ذلك العضو المعتل بعضو آخر مماثل من حيوان آخر ليس ذلك الحيوان الآخر من صنعكم ولا هو من مقدوركم ولا من مقدور الطبيعة الجاهلة التى أثبتم لها على جهلها مالم تقدروا أن تثبتوه لأنفسكم على علمكم وعقلكم وانما هو من صنع الله الذى أحاط بخصائص كل عضو أوجده وأتقن كل شىء صنعه .

هذا ولم يتخذ علماء الطبيعة قانون التطور ليبحثوا بواسطته عن أصل الكائنات الحية كالانسان والحيوان وغير الحية كالشمس والقمر ليصلوا الى أصل نشأتها وما الى ذلك فحسب ، بل اتخذوه أيضا وسيلة الى الخروج من ورطتهم التى تورطوا فيها لما أنكروا وجود الله فانهم لما أنكروا وجود الله وقالوا أن العالم موجود بطبيعته وجدوا أنفسهم أمام واقع هائل من التكذيب يملأ طبقات السماء طبقة طبقة ويملأ جنبات الأرض قطعة قطعة فكل كوكب فى

السماء يناديهم أيها الطبيعيون المكذبون اذا لم يكن هناك اله كما تقولون فمنذا الذى أوجد لى هذه الحركة وأنا جماد لا أتحرك الشمس تناديهم بذلك، القمر يدفعهم بذلك ، الأرض تفحمهم بذلك آلاف الملايين من النجوم تلزمهم بذلك — كما وجدوا أنفسهم أمام سيل منهمر من الاسئلة المختلفة باختلاف الخصائص والمميزات التى أودعها الله فى كل ما يواجههم فى الأرض وفى السماء ينادونهم اذا لم يكن الله موجودا فمن ذا الذى اختصنى بالاضاءة التى تخطف الأبصار من ذا الذى اختصنى بالانارة التى تبهر الأنظار » من ذا الذى حملنى على ضخامتى وثقلى ونصبنى فى الفضاء معلقا هكذا من ذا الذى أدارنى بسرعة محددة فى كل يوم وليلة دورة أو فى كل شهر دورة أو فى كل ٢٥٠ يوما دورة أو فى كل ٣٦٤ يوما دورة — من ذا الذى جعلنى عذبا فراتا من ذا الذى جعلنى ملحا أجاجا من ذا الذى جعلنى ذكرا من الذى جعلنى أنثى من الذى جعلنى أمشى على قدمين من الذى جعلنى أطير بجناحين أسئلة مخرسة ومفحمة من هذا النوع بعدد كل انسان وحيوان ونبات فى الأرض وكوكب ونجم فى السماء — فماذا كان جواب الماديين على هذه الاسئلة المفحمة المخرسة ، كان جوابهم أنهم تمسحوا بقانون التطور وقالوا ما نصه — « لما كان الكون يتغير باستمرار ، أى يتطور ويتحول كان هذا بالضبط ما يجعله فى غير حاجة الى محرك أول وهو الله فهو أى الكون يحمل فى ذاته امكان الحركة والتحرك فوجوده هو نفس تغيره » انتهى كلام الماديين — وهو جواب لا يقنع أم ذنب فى النجوم ولا يقنع أبو ذنيبة فى حيوانات البحر فأى تطور هذا الذى تثبتونه للشمس والقمر والكواكب أثر فيها حتى جعلها هكذا . أى تطور هذا الذى تثبتونه لجمادات ومعادن وأحجار ليس من شأنها أن تتطور ولا أن تتحول وتتغير . السماء هى السماء ولا تزال سماء حتى يأتى أمر الله — والشمس هى الشمس ولا تزال شمسا حتى يأتى أمر الله ، والقمر والنجوم والثريا والمجرة وغيرها كلهن لا يزلن كذلك حتى يأتى أمر الله — يقولون ان النجوم تتوالد وتحيا وتموت . يعنى تتطور وأن النجوم الثوابت ماتت وفاتهم أنها لم يطفأ نورها ولم تتساقط بعد موتها يقولون ذلك أى أنها تتوالد وتحيا وتموت — وها نحن لم نشاهد فى عمر الدنيا أن الشمس ولدت شمسا صغيرة ولا كذلك القمر كما لم

نشاهد أن الدب الأكبر خرج من قطبه بنجمة سابقة فى عمر الدنيا — ولا الميزان تولد من أركانه الأربعة نجمة سادسة تفرعت عنه .

ولو سلمنا ان الكون يتغير ويتطور على أى نحو فرضتموه فهل هذا بالضبط ما يجعله فى غير حاجة الى محرك أول ؟ — وهو الله — لا، بل هذا بالضبط أى تغيره وتطوره هو ما يجعل الكون فى أشد حاجة الى من يديره ويحركه ويدفعه وهو الله لأن مجرد التغيير والتطور الذى تقولون به لا يعطى الكون هذه القوة الدافعة التى تزيد سرعتها فى الكواكب السيارة على مئتين فرسخا فى ثوان معدودة ، كما أن تغير الكون وتطوره لا يعطيه قوة تمييز وتخطيط محدد لا يتعداه قيد أنملة فى قطع دورته حول نفسه فى كل ٢٤ ساعة بالتحديد أو فى كل شهر بالتحديد أو كل سنة أو أكثر أو أقل بالتحديد — كما أن هذا التطور الذى تقولون به لا يعطى الكون قدرة على تكوير السموات كسبع كور متطابقة ومتداخلة ، ولا يعطيه قدرة على تكوير النجوم والكواكب التى فى باطنها بما فيها الشمس والقمر والأرض ولا يعطى الكون قدرة على نتقها فوق رءوسنا كأنها ظلل ولا حملها جميعا فى الفضاء اللانهائى المحيط بها — نقول ان التطور والتغير لا يعطى الكون هذه القوة الهائلة الدافعة والحاملة ولا هذه القدرة الصانعة والمخططة — وليست هذه القوة الهائلة الدافعة والحاملة ولاهذه القدرة الصانعة والمخططة الا قوة الله وقدرة الله العلى القدير — « قل أئنكم لتكفرون بالذى خلق الأرض فى يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين ، وجعل فيها رواسى من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها فى أربعة أيام سواء للسائلين ، ثم استوى الى السماء وهى دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين ، فقضاهن سبع سموات فى يومين وأوحى فى كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم » أيها الطبيعيون « آمنوا بالله ورسوله والنور الذى أنزلنا والله بما تعلمون خبير » . تجدوه أمامكم فذلك أسلم لكم من أن تحيوا حياة ضالة تعيشون فيها خبط عشواء بدون أن تعرفوا لكم مستقبلا ترسمونه وبدون أن تعرفوا الى ربكم طريقا تسلكونه — وها هو ربكم قد أنجز لكم ما وعدكم به فى القرآن العظيم من أنه سيريكم آياته فتعرفونها ومن أنه سيريكم

آياته فى أنفسكم حتى يتبين لكم أن الله حق وأن القرآن حق لاريب فيه ، فأوصلكم الى القمر وطافت حوله سفنكم ورسمت لكم وجهه المظلم كما رسمت لكم وجهه المضيء ونزلت على وجهه سفنكم واستقرت عليه، وعلمتم من استقرارها أن جرم القمر حجرى وليس جرمه كله مغطى بطبقة ترابية سميكة تغوص فيها السفن ، أراكم آياته فى الأفاق حتى لستموها وعلمتم أن القمر يتكون مما تتكون منه الأرض تحت أقدامكم من أحجار وأتربة ومعادن ذهبية ونحاسية وغيرها ، وبعد ذلك ماذا تقولون فى هذا النور المنبعث من هذه الأجرام ، وبماذا تعللون وجود ذلك النور فى وجه القمر ، هل هناك أحد سبقكم الى القمر وجمع فى وجهه الموجب على السالب ثم سلط عليه أشعة الشمس ليصبح مصباحا عالميا يضيء الدنيا من أقصاها الى أقصاها على حجريته وترابيته ، لم يصعد « ماركونى » مخترع الكهرباء الى القمر ولم يحاول أن يجرى تجاربه فى القمر حتى نجحت تجاربه هناك كما نجحت تجاربه فى ايطاليا فاخترع لنا مصباحا كهربائيا حجمه بالنسبة لحجم القمر وضوءه بالنسبة لضوء القمر كنسبة العدم للوجود أو كنسبة الموت الحياة ، يعنى أن ماركونى لم يجعل وجه الأرض كله مصباحا مضيئا كما جعل الله وجه القمر كله مصباحا منيرا اذن : فمن ذا الذى أوجد هذا النور العظيم فى وجه هذا القمر على عظمه وكبره ؟ ثم من ذا الذى أوجد لنا هذا الضياء الوهاج فى وجه هذه الشمس على عظمها وكبرها ؟ من ذا الذى أوجد فيها هذا الضياء الوهاج الذى يخطف الأبصار وتكل من وهجه الأنظار من ذا الذى أشعلها على حجريتها هى الأخرى وأوجد فيها هذا الضياء الذى يتوقف على وجوده وعدمه وجود هذا العالم وعدمه تماما ، لاجواب لكم عن هذا الا اقراركم واعترافكم بأن الذى نفخ الأرواح فى أبدانها حتى قامت وانتصبت ونطقت على ترابيتها وطينيتها هو الذى انبعث من نوره نور هذه الكواكب حتى عمت الدنيا باشعاعها وضيائها على حجريتها وترابيتها يا قوم اعقلوا وتبصروا وقيسوا وتذكروا فالله ربكم هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك الا بالحق يفصل الآيات لقوم يذكرون .

ثم اذا كانت الأرض والشمس والقمر وسائر الكواكب مكـونة من مجموعة أجرام حجرية وترابية ونحاسية ومعدنية على العموم فمن ذا الذى جعل لكل كوكب لونا خاصا كالانسان والحيوان تجد فيهما الأبيض والأحمر والأسود والأصفر ، وكالجبال تجد فيها هذه الألوان بعينها وكالكواكب تجد فيها الأصـفر والأبيض والأحمر والأخضر ، من الذى اختص الخارجى ، واختص زحل بالحمرة واختص الزهرة والمشـترى باللون الدرى من الذى لونها بتلك الألوان وصنفها بهذه الأصـناف مع أنهـا كلهـا كالانسان والجبال والحيوان مركبة من أجزاء متشابهة أو متجانسة كما أنها متساوية بالنسبة لأشعة الشمس وان اختلفت قربا وبعدا — ان الذى لونها وصنفها هو الذى دبر أمرها ، وان الذى دبر أمرها هو الله الذى خلقها « الله خالق كل شىء وهو على كل شىء وكيل ، له مقاليد السموات والأرض والذين كفروا بآيات الله أولئك هم الخاسرون » .

أو لم يكفكم فى الايمان بالله ورسوله بعد أن قدرتم على أن تطوفوا حول الأرض فى ساعة ونصف الساعة وقدرتم على أن تطوفوا حولها ٣٣٠ دورة فى مدى أسبوعين وقدرتم على أن تصنعوا قنابل ذرية وهيدروجينية تستطيعون بها أن تدمروا ما على وجه الأرض من انسان وحيوان ونبات فى يوم أو بعض يوم .

وقدرتم على أن تصنعوا صواريخ عابرة القارات والمحيطات ، وصواريخ ذات مرحلة ومرحلتين وثلاثة مراحل ، توصـلكم الى الآفاق العليـا . الى القمر ، أو الى الزهرة ، أو المريخ ، أو الى ما تشاءون . أو توصل سفنكم اليها مع امكان اتصالكم بها بواسطة أجهزة اتصال من راديو أو رادار أو تليفزيون أو عدسات مكبرة أو غير ذلك ، وقدرتم على أن تمشون فى الهواء أو تعيشون فى جوف الماء — قدرتم على هذه المقدورات التى لم يكن لأحد علم بها فى عمر الدنيا حتى لقد ظننتم أنه ليست هناك أية قوة تقدر على ما تقدرون أنتم عليه الآن ، وليست هناك أية قوة يمكن أن تتحكم فى الأرض أقوى من تحكمكم عليها الآن . ألم يكفكم أن هذه المقدورات التى قدرتم عليها الآن ، والظنون التى تظنونها قد تنبأ القرآن بحصولها فى الأرض وتنبأ

ببلوغكم الذروة فى الحصول عليها ، فى قوله تعالى فى سورة يونس « حتى اذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس » تنبأ القرآن بحصولكم على تلك المقدورات الهائلة وفى الوقت نفسه تنبأ بخراب الدنيا على أثر حصولكم عليها كما هو واضح من قوله « وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا » . أى محصودا مستهلكا تالفا — كأن لم تغن بالأمس . كأن لم يكن فيها شيء من هذا الغنى الهائل والقوة القاهرة والقدرة القادرة ، وكأن لم تنضر ولم تعمر ولم يكن فيها شيء من هذا النعيم — ولكن الأرض لا تخلو لحظة واحدة من وجود الليل والنهار معا عليها ، نراه سبحانه وتعالى أتى بلفظة « أو » فى قوله تعالى أتاها أمرنا ليلا أو نهارا وتسمى « أو » هذه مانعة الخلو التى تجوز الجمع يعنى أن لفظة « أو » هذه فحسب قواعد اللغة تجوز أن يكون المعنى أتاها أمرنا ليلا ونهارا معا كما هو الحاصل على وجه الأرض وكما شاهده رواد الفضاء — ولو قال سبحانه أتاها أمرنا ليلا أو قال أتاها أمرنا نهارا لكان أول المكذبين بالقرآن رواد الفضاء . ولقالوا نحن نشاهد الليل والنهار معا على وجه الأرض ونحن نطوف حولها فى تسعين دقيقة فكيف يقول القرآن أتاها أمرنا ليلا فقط أو نهارا فقط — فلقطع ألسنة المكذبين ولكون القرآن كلام رب العالمين ولكونه هو المعجزة الحية الخالدة فى الأرض ، ولكونه يحكى الحالة الحاصلة على وجه الأرض ، وهى أن الأرض لا تخلو لحظة واحدة من وجود الليل والنهار معا عليها — ولكون اتيان أمر بخراب العالم يأتى ليلا ونهارا معا تراه سبحانه وتعالى قال أتاها أمرنا ليلا أو نهارا اى أتاها أمرنا ليلا ونهارا معا كما علمت ولو قال ذلك صريحا حين نزول القرآن لما سمع له أحد ، فلله در التنزيل وما أصدق اعجاز القرآن ، تنبأ القرآن بحصولكم على تلك المقدورات وتنبأ بخراب الدنيا على أثر حصولكم عليها وكان يجب عليكم وقد درستم طبعا تلك التنبؤات أن تبادروا الى الايمان بالله وأن تخروا سجدا أمام ذلك الاعجاز الحازق فى كتاب الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه خشية أن تبادركم الساعة بغتة فتندموا حيث لا ينفع الندم وتعترفوا بأن الله موجود حيث لا ينفع الا الاعتراف ، أو يجعل مصانعكم وقنابلكم « كأن لم تغن

بالأمس كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون » أو لم يكفكم الايمان بالله ورسوله بعد أن نفدتم من أقطار الأرض وخرجتم من غلافها النهائى بشق الأنفس أو بما يقرب من ذلك، وبعد أن تحققتم أن ذلك النفاذ وهوالخروج أصبح أمرا ممكنا بعد أن كان فىنظر كل الناس أمرا مستحيلا لايسلمه عقل ويتصوره انسان ، نقول أولم يكفكم فىالايمان بالله ورسوله أن القرآن الكريم قد أخبر أن هذا الخروج وذلك النفاذ من أقطار السموات والأرض يمكن حصوله وتحققه اذا تحققت لكم القوة والسلطان الذى يساعدكم على حصوله ، اقرؤا قوله تعالى « يا معشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا » ثم اقرؤا قوله بعد ذلك « لا تنفذون الا بسلطان » فان قوله تعالى فانفذوا وقوله لا تنفذون الا بسلطان يحقق أكبر معجزة للقرآن شهدها العصر الحديث حيث جوز القرآن ما كان مستحيلا باجماع الناس بل وأمر الناس بفعله اذا تحققت لهم وسائل هذا الخروج ووجدت عندهم القوة التى تساعدهم ، ثم اقرؤا تأكيده وتدليله على صدق ما يقول حيث ذكر بعد ذلك مباشرة قوله تعالى « يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران » يعنى أنكم ان نفذتم الى الفضاء الخارجى بسلطانكم وقوتكم فسيرسل عليكم من السماء شواظ من نار (أى نار بدون دخان) وقطع من نحاس حارقة أو خارقة تشتعل بتلك النار وتصطدم بقطع النحاس سفنكم وهكذا يحصل ذلك فعلا فنشاهد سفينة الفضاء وقد عادت يلفحها شواظ من نار ويصادفها رجيم من السماء تصطهر من تلك النار جسم السفينة المعدنى حتى يتقاطر على نوافذها كالماء كما قال ذلك أحد رواد الفضاء،وقد كانت آثار الحروق التى أصابت احدى السفن ظاهرة وواضحة فى السفينة حتى أنها أثرت فى أجهزتها الآلية فاضطر قائد السفينة أن يهبط بها الى الأرض بأجهزتها اليدوية وقد تفادى الخبراء الأمريكيون ضرر هذه النار التى تؤثر فى السفن بالهبوط فى المحيطات بعد انتهاء الرحلة .

وقف معى أيها القارىء وتأمل هـذه المعجزات الخـالدة الحية التى يجريها الله على لسان رجل عربى أمى لا يقرأ ولا يكتب ولا يعلم فى علم الكون والفضاء الخارجى أى شىء من المعرفة ، يجريها على لسانه وكأنه عاش فى الفضاء الخارجى ، وشهد النيران تنبعث من الكواكب لتلفح من

يلاقيها من انس أو جن ، حتى ولو احتمى بلباس من السمندل أو بدرع من حديد ، صلى الله عليك يا صاحب الرسالة ويا من أرسلك الله رحمة للعالمين وجعلك أكبر هاد الى طريقه المستقيم .

أما بدلة الفضاء المزودة بالأكسوجين فقد جعلت للتنفس منها لا للحماية من لفح تلك النيران .

وبكل بساطة أول علماء المادة هذه الآيات البينات بما يتمشى مع طبيعتهم وقالوا ان هذه التي تسود منها السفن وتصير كالفحمة السوداء وينصهر أحيانا منها أجزاء من السفينة حتى تتقاطر كالماء على نوافذها ، هي نتيجة احتكاك جسم السفينة المعدنى بطبقات الهواء وهم وحدهم أعلم أن احتكاك الجسم المعدنى بالهواء يولد نارا تذيب الأجسام المعدنية الصلبة وتصهرها الى درجة السيولة وأما قطع النحاس والرجوم التى يرجمون بها من الكواكب التى جعلها الله رجوما للشياطين ومن لف لفهم فأولوها بأنها أجرام تتساقط من الكواكب وتتناثر منها على الأرض ، كما ينهال الحصى والطوب من السقف المختل ولا أدرى كيف يقولون أن تلك القطع النحاسية أو الحجرية تتساقط من الكواكب وتتناثر منها على الأرض مع أن الكواكب السماوية فى نظرهم تخضع لقانون الجذب ، فهم يقولون أن الشمس وأسرتها السماوية ومنها المنبوتيات مشحونة كلها بقوة جاذبة تجذب لها من حولها اليها كالأرض ، واذا كانت مشحونة بقوة جاذبية تجذب بها من حولها اليها فلماذا اذن تساقطت منها القطع النحاسية والحجرية ، وأين هى القوة الجاذبة المشحونة فى تلك الكواكب حتى تفلت منها تلك الرجوم ؟ مع أن تساقطها يهدم قانون الجذب رأسا على عقب ، وهل تجوزون أن طوبة أو حجرا ينفصل عن الأرض فى طريقه الى السماء ليستقر على القمر أو الزهرة ؟ . من يقول بذلك يجوز هذا والا كان مكابرا؟ واذا كانت هذه الرجوم تتساقط من الكواكب فلماذا لا يكون تساقطها عموديا على الأرض حتى ولو فى محيط الأرض ، وتأثير جذبها كما تسقط الطوبة أو الحجر على الأرض بعد رميهما ؟ ، مع أن المشاهد أن تلك الرجوم ترسل مستعرضة الأفق من الشرق الى الغرب ، أو من الشمال الى الجنوب !! فصدقوا أيها الطبيعيون أن

الرجوم مرسلة كما يقول القرآن وليست متساقطة كما تقولون ،وصدقوا بأن النار مرسلة وليست متفاعلة كما تعتقدون وصدق الله اذ يقول « يا معشر الجن والانس ان استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا . لا تنفذون الا بسلطان فبأى آلاء ربكما تكذبان ، يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران » وصدق الله اذ يحكى لنا مالمسه الجن بأنفسهم فى الفضاء الخارجى اذ قالوا « انا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا » وصدق الله اذ يوضح لنا من أين ترسل هذه الشهب . ولماذا ترسل بقوله « انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب ، وحفظا من كل شيطان مارد، لا يسمعون الا الملأ الأعلى ويقذفون من كل جانب ، دحورا ولهم عذاب واصب ، الا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب » .

« وبعد »

فيا رواد الفضاء ويا علماء أمريكا وروسيا ويا علماء الطبيعة والفضاء الخارجى من فى استطاعته غير الله يعلم أنكم وان نفذتم من غلاف الأرض فسيرسل عليكم شواظ من نار ونحاس وسيلاقيكم لهب وحميم وجحيم وسعير ، يستحيل العيش فيه بدون بدلة الفضاء حتى ولو تسربلتم بالصلب وتقنعتم بالحديد ، من فى استطاعته غير الله يحكم على الفضاء الخارجى المحيط بالأرض بأنه كقطعة من جهنم فيتوعد به الكافرين والمكابرين ويقول لهم فى قرآنه بصريح العبارة واللسان الواثق « ويستعجلونك بالعذاب وان جهنم لمحيطة بالكافرين » وماذا تكون جهنم بعد أن بلغت درجة الحرارة فى هذا المحيط ٢٠٠٠ درجة فوق الصفر تدخل فيه السفن الهوائية فتخرج منه على صفة أهل النار التى ذكرها القرآن بقوله « تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون » فنشاهدها بعدخروجها سوداءفحماء كالفحم الأسود كالحة كاشحة متقلصة ممتحشة لا يسعفها من الاحتراق الا الهبوط بها فى مياه المحيط ، وها أنتم قد تحققتم وشاهدتم أن جسم رائد الفضاء لو ظهر منه جزءصغير أو كبير وهو فى الفضاء الخارجى لفاضت روحه فى الحال ، وماذا يكون العذاب فى جهنم بعد هذا الذى شاهدتموه وتحققتموه ، كان يجدر بكم بعدما شاهدتم وتحققتم ووقفتم على النار ودخلتم بالفعل فى محيطها أن

تؤمنوا بالقرآن وتحترموا آياته وتقدسوا اخباراته وأن تعتـــرفوا بالله ربكم وبوجوده فى الأرض وفى السماء ، ولكنكم بعد ما شاهدتم وتحققتم عدتم لما نهيتم عنه وقلتم كما يقول أهل النار « وقالوا ما هى الا حياتنا الدنيـــا وما نحن بمبعوثين » .

ثم تأملوا أيها الطبيعيون وصف ربكم تبارك وتعالى لتعاقب الليـــل والنهار فى قوله تعالى « خلق السموات والأرض بالحق يكور الليـــل على النهار ويكور النهار على الليل » تروا وصفا لا يمكن أن يقوله الا من شاهد الأرض من قطبهـــا الى قطبها وأحاط بصره بشرقها وبغربها فعلمها كمـــا اكتشفتموها بالأمس القريب كرة مفرطحة تدور حول نفسها ، ثم شاهد بعد ذلك انكسار ضوء الشمس على كل جزء من أجـــزائها أثناء دورانها فاذا شاهدها جملة واحدة من جميع محيطها وجدها تمثل كرة عظيمة نصفها مظلم ونصفها الآخر مضىء ، واذا شاهدها مشاهد تفصيليا على التعاقب وجد هذا النصف المضىء يذهب ويحل محله النصف المظلم ووجد هذا النصف المظلم يذهب ويحل محله النصف المضىء وهكذا دواليك هذا يطوى هذا تحته وهذا يطوى هذا تحته ، أو هذا كأنه يلتف على هذا وهذا كأنه يلتف على هذا ، فاذا أراد انسان أن يعبر عن هذين المنظرين البديعين العجيبين المنظر الـــكلى والمنظر التفصيلى التعاقبى فانه لا يجـــد عبـــارة تدل على هذين المنظرين أبلغ ولا أبدع ولا أروع من قوله تعالى « يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل » أى يكور هذا مع ذاك ويكور ذاك مع هذا أى يجعل منهما كرة عظيمة نصفها مظلم ونصفها الآخر مضىء ، أو يلف هذا على ذلك ويحله محله ويلف ذلك على هذا ويحله محله فكان التعبير بقـــوله تعالى « يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل » ليدل على هذين المعنيين . تعبيرا معجزا حقا . لا يقوله الا من شاهد الأرض كلها فى منظر جملة واحدة نصفها مظلم ونصفها الآخر مضىء ثم شاهدها فى منظر آخر متحولة نصفها المضىء يذهب ويحل محله النصف المظلم ، ونصفها المظلم يذهب ويحل محله نصفها المضىء كما قلنا . وذلك لا يكون الا لله وحده تبـــارك وتعالى ، ولو شاء رائد الفضاء أن يصف لنا الليل والنهار على وجه الأرض ،

بعد أن دار حولها ٣٠ ٣دورة وشاهد الليل والنهار على وجهها ٣٣٠ مرة لعجز عجزا كليا عن أن يصف لنا مشاهدته الليل والنهار على وجه الأرض بمثل هذا الوصف الذى وصفه الله بقوله « خلق السموات والأرض بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل » فما أعظم الله وما أحكم قرآنه :

أو لم يكفكم فى الايمان بالله ورسوله هذه الآيات البينات والمعجزات الخالدات التى أودعها فى تبصير الناس بآياته الكونية فى قوله تعالى : « ألم يروا أنا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصرا ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون ، ويوم ينفخ فى الصور ففزع من فى السموات ومن فى الأرض الا من شاء الله وكل أتوه داخرين ، وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب صنع الله الذى أتقن كل شىء انه خبير بما تفعلون » فتراه سبحانه وتعالى فى هذه الآيات يسبق الحوادث ويسبق الاكتشافات الحديثة بأربعة عشر قرنا وقبل أن يعرف الناس دوران الأرض حول نفسها مرة فى كل ٢٤ ساعة فيتولد عن دورانها «النهار» اذا كان نصف الأرض فى مواجهةالشمس ويتولد عن دورانها « الليل » اذا لم يكن نصفها الآخر فى مواجهة الشمس ، ونتيجة لدوران الأرض حول نفسها تدور الجبال معها بالضرورة فيخبرهم سبحانه وتعالى بدوران الأرض والجبال معا فى قوله تعالى « وترى الجبال تحسبها جامدة » أى قارة وثابتة على وجه الأرض فى حال كونها سائرة وجارية فى الفضاء بدوران الأرض حول نفسها ، صنع الله الذى أتقن كل شىء صنعة وأتقن كل شىء قدرة يخبرهم بهذه الحقيقة بأسلوب معجز لا يمكن لانسان بلغ من المعرفة أقصاها ومن العلوم أعلاها ومن البلاغة فى التعبير أتقنها وأسماها أن يسلك مثل هذا الأسلوب فى تبصير الناس بتلك الآيات وتذكيرهم بتلك الدلالات ، فالله أوجد الأرض على هذا الوضع معلقة فى الفضاء وجعلها تدور هكذا حول نفسها وجعل الليل والنهار أثرا لدورانها ، ولكن لم يكن من المعقول أبدا أن يصارح الناس بتلك الحقيقة الواقعة فيقول لهم ألم يروا أنا جعلنا الليل ناشئا عن دوران الأرض حول نفسها اذا لم يكن نصفها فى مواجهة الشمس ، وجعلنا النهار ناشئا عن دورانها اذا كان نصفها الآخر فى مواجهة الشمس ونتيجة لدوران الأرض حول نفسها « ترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب صنع الله الذى أتقن كل

شيء » لو صارح الناس بهذه الحقيقة وبهـذا الأسلوب ، لقاموا في وجه الرسول صلى الله عليه وسلم وكذبوه ولقالوا ان محمـدا يهـذي فيما يزعم أنه قرآن منزل من عند الله ، وأيضا لو صارح الناس بهذه الحقيقة لخرج عن المقصود الأصلي من رسالته، لأنه لم يبعث ليعلم الناس كيف جعل الليل وكيف جعل النهار ولماذا يبدو الهلال دقيقا ثم يزيد شيئا فشـيئا حتى يتكامل الى أن يصـير بدرا كاملا ثم يعود دقيقـا كما بدا لذلك نجـده سبحانه وتعالى طوى هذه الحقيقة عن الناس رحمة بهم لئلا يقعوا في هذا التكذيب والتسفيه ، وذكرهم بالظاهر لهم من هذه الآيات وهو أنه جعـل الليل مظلما ليسكنوا فيه وجعل النهار مبصرا ليتحركوا فيه بالعمل « ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون » أي ومن قدر على أن يوجد لهم تلك الآيات . النور بعد الظلمة في الجو والحركة بعد السكون في الناس قادر على أن يبعث فيهم الحياة بعد الموت ، التي دل عليها بقوله « ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الأرض الا من شاء الله وكل أتوه داخرين » فلذلك ذكر آية البعث في جانب الظاهر لهم من آياته لأنها كالدليل على البعث كما قلنا وآخر قوله تعالى «وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب صنع الله الذي أتقن كل شيء » لخفاء هذه الآية الكونية على الناس حينذاك ، أي قبل أن يدور الناس حول الأرض ويتأكدوا من دورانها حول نفسها كباقي الكواكب السيارة ، ولئلا يفهم الناس أن هذه الرؤية حاصلة وقت نزول القرآن فيقعوا في ذلك التكذيب والتسفيه ، وهي أيضا كالدليل على البعث لأن من قدر على أن يحرك الجبال الجامدة بادارة الأرض قادر على أن يحرك الجثث الهامدة بنفخ الروح فيها .

أما القول بأن هذه الرؤية قرب قيام الساعة أي رؤية الجبال فيحسبها الرائي لها جامدة وهي متحركة فقول بعيد ، لأن الواقع حينذاك لا يصدق ذلك لأنه لا أحد موجود على وجه الأرض بعد النفخ في الصور يرى جبالا فيحسبها جامدة ولا جبال جامدة بعد النفخ في الصور فهي اما أن تحمل هي والأرض فتضرب جملة الأرض بجملة الجبال فيدكان دكة واحدة ، واما أن تكون في حالة سير وتجميع لتضرب جملتها بجملة الأرض كما قدمنا ،

وأيا ما كان فلا يحسبها أحد جامدة بعد النفخ فى الصور ، وقوله تعالى صنع الله الذى أتقن كل شيء يؤكد أن قوله « وترى الجبال » أى تراها الآن لاقرب الآخرة لأن الآن هو الوقت الذى يقال فيه صنع الله الذى أتقن كل شيء صنعه وأحكم كل شيء أقامه ، وأما وقت هدم تلك الصنعة أو الشروع فى هدمها فلا يعجب الله منه أحدا اذا فرض أن هناك أحد من الناس يقال له صنع الله الذى أتقن كل شيء هدمه أو شرع فى هدمه ، وهل يكون الهدم صنعه — وهل يقال أتقن وأحكم فى هدمه ، كلا ...

أو لم يكفكم فى الايمان بالله ورسوله هذا الكتاب العظيم الذى أنزل على هذا النبى الذى لم يخط خطا واحدا بيمينه ولم يقرأ صحيفة واحدة فى معهد علمي جامعي أو عالى أو اعدادي ولم يجلس ساعة واحدة أمام معلم يبين له الألف من الباء ثم بعد ١٤ قرنا ، أربعة عشر قرنا من نزول هذا الكتاب نجد الكلمة الواحدة من هذا الكتاب يقف كل العالم أمامها باهتا ، والعالم كل العالم عن معرفتها ضالا ، فمنذا الذى أعلم هذا الأمى أن الأرض تدور حول نفسها بهذه السرعة الهائلة وأنها فى أثناء سيرها تحتاج مثقلات تحفظ توازنها ومثبتات تثبتها فى مداراتها فيمتن على أهل الأرض جميعا برواسيها التى ألقاها فيها فى قوله تعالى « وألقى فى الأرض رواسى أن تميد بكم » يمن عليهم بها لأنها تضبطها وتجعلها فى أثناء سيرها السريع قارة غير مضطربة ومنسجمة غير متأرجحة وثابتة غير مخلخلة ، وأنها لولا هذه الرواسى لمثلت الشمس تماما فى سيرها وحاكتها فى اضطرابها الدائم الذى لا يفارقها أبدا حتى تنتهى الى مستواها ، فالشمس كما نراها بأعيننا المجردة فى حالة اضطراب دائم تشبه زلزلة الأرض الشديدة وقت زلزالها ، وهى تحاكى تماما كما قال العلماء صورة المرآة فى يد الرجل الأشل عند حملها ، والأرض كذلك لولا هذه الرواسى على ظهرها لمادت بنا ولتعثرنا أو تساقطنا من فوقها فى كل خطوة نخطوها أو مسيرة نسيرها ظهورنا أو جنوبنا أو وجودنا هنا ولمثلنا واياها لولا هذه الرواسى صورة كرة عظيمة فى يد رجل أشل تضطرب تلك الكرة باضطرابه وتتموج تلك الكرة بتموجاته ، ونحن من فوقها نتموج ونضطرب باضطرابها وتموجاتها وماذا تكون حياتنا على الأرض

على هذا الوضع المضطرب المتموج المتأرجح الذى لا يقبل الاستقرار وعاش الناس أربعة عشر قرنا يقرأون قوله تعالى : «وألقى فى الأرض رواسى أن تميد بكم » ولايفهمون سبب تسمية الجبال رواسى للأرض لأنهم لم يتصوروا الأرض دائرة بسرعتها ولا معلقة فى الفضاء بجملتها ، ولا أنها فى أمس حاجة الى رواسى تضبطها فى حركتها ، وفقط يفهمون فى الجبال بصفة عامة أنها رواسى للأرض لئلا تضطرب الأرض بالناس ، فأما فائدة الرواسى العظمى التى شخصناها لك فهم عنها غافلون وهم بها جاهلون وعن شكرها عاجزون ، فكلمة أن « تميد بكم » هذه الكلمة دلتنا على عظيم فائدة الرواسى على الأرض التى ذكرناها كما دلتنا أيضا على ما دلت عليه الاكتشافات الحديثة من أن الأرض معلقة فى الفضاء ، لأن الاضطراب لا يعرض للأرض الا اذا كانت الأرض معلقة فى الهواء ، وفقط دلالة القرآن لهذه الكلمة دلالة علمية ودلالة الاكتشافات الحديثة دلالة عملية .

وبالتأمل فى عبارات القرآن المتعلقة بخلق السموات والأرض يدرك الانسان لأول وهلة أن الأرض معلقة فى الفضاء وأنها تتحرك وتسير وأنها كوكب كسائر الكواكب الأخرى اقرؤا قوله تعالى « ثم استوى الى السماء وهى دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين » فقد كنا نسمع هذه الآية من القرآن قبل الاكتشافات الحديثة فنضطر الى أن نفسر قوله تعالى « ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين » بأن معنى ذلك أنهما مسخرتان لأمره وأنهما لا يتأبيان على قدرته وأنه ليس هناك طلب حقيقى للأرض بأن تأتى وليس هناك اتيان حقيقى وأن اتيانها اليه هو اتيان حقيقى ، أى أنها أتت اليه فى الفضاء تلبية لطلبه الى حيث أراد الله أن توضع فى الموقع المناسب لها بين مواقع الكواكب الأخرى ، وذلك طبعا بعد أن خلقها ، أى ذلك الطلب وذلك الاتيان بعد أن خلقها كما دل على ذلك أول الكلام فى قوله تعالى « قل أئنكم لتكفرون بالذى خلق الأرض فى يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين » فيكون قوله تعالى « ثم استوى الى السماء وهى دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين» حاصلا بعد أن خلقهما كما قلنا أى ثم استقدمها بعد أن خلقها فقدمت اليه طائعة ليضعها

فى الموقع المناسب لها كما يفعل البناء « ولله المثل الأعلى » فطلبه سبحانه وتعالى من الأرض بأن تأتى اليه فى الفضاء بعد استوائه الى السماء واتيانها اليه حيث شاء يدل دلالة قاطعة على أنها معلقة وأنها تسير وتتحرك فى الفضاء وأن حكمها حكم سائر الكواكب الأخرى كما دلت عليه الاكتشافات الحديثة فلله در القرآن وما أصدق أقواله وأحكامه فهل آن للطبيعيين أن يعرفوا الله سبحانه وأن يعترفوا به موجودا من لسان ذلك النبى الأمى الذى لم يتعلم كما تعلموا ولم يطف حول الأرض كما طافوا ولم يتعاون مع علماء آخرين كما تعاونوا ، ثم نجد الكلمة الواحدة من كلامه تنطبق تمام الانطباق على ما اكتشفوا وانفقوا ملايين الملايين من أموالهم فى اكتشافه « من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا » .

الرسالة الثانية

موضـــوعها :

هل صلب اليهود عيسى عليه السلام ؟

اعتقدت اليهود واعتقدت النصارى معهم أن عيسى (رسول الله) قد قتله اليهود وصلبوه ونسوا أو تناسوا قولهم أى قول اليهود بعد أن قبضوا عليه ليقتلوه « الوجه وجه عيسى والبدن ليس بدن عيسى » . ونسوا أيضا ما كتب فى انجيل متى من أن رئيس الكهنة اليهودى قال للمقبوض عليه . « أقسم عليك بالله الحى هل أنت عيسى » فى أثناء محاكمته ، كما نسوا أيضا ما روى عن عيسى أنه قال : « أنهم أى اليهود لا يعرفون من الذى صلبوه » .

واعتقد المسلمون بالاجماع اعتقادا قاطعا بأن عيسى (رسول الله) لم يقتل ولم يصلب ولم يسـق للمحاكمة التاريخية الكبـرى الثابتة باجماع المؤرخين واجماع اليهود والنصارى وجنحوا ، أى المسلمون ، الى أن الذى قتل وصلب سيق للمحاكمة التاريخية الكبرى هو رجل آخر ألقى عليـه شبه عيسى فظنه اليهود عيسى فقتلوه وصلبوه .

وأما عيسى رسول الله فقد رفعه الله الى السماء .

ولم يخطر ببال أحد من المسلمين اطلاقا أن الذى قتل وصلب وشبه لليهود هو عيسى لا رجل آخر ألقى عليه شبه عيسى مع أن هذا أى كون القتيل هو عيسى هو الظاهر المتبادر من سياق نظم القرآن الكريم لقـوله تبارك وتعالى : « وما قتلوه وما صلبوه » أى عيسى ثم قال تعالى : «ولكن شبه لهم » أى عيسى بالضرورة .

وسنوضح كيف شبه عيسى لهم — ونبين الوقت الذى وقع فيه من عيسى هذا التشبه — والخطة المحكمة التى دبرها عيسى نفسه لايقاع القبض

والقتل والصلب على عيسى المشبه لهم ، ثم محاكمة اليهود لهذا المشبه لهم وقتله وصلبه من غير أن يلحق عيسى رسول الله قتل ولا صلب . وكيف أنهم طلبوه بعد أن قتلوه وصلبوه ودفنوه فلم يجدوا شيئا فى قبره غداة دفنه وسنوضح أيضا أن هذه الحقائق مأخوذة من صريح القرآن الكريم ومن عبارات الانجيل نفسه ، ومن تصريحات عيسى لتلامذته الاثنى عشر المقربين فى ليلة قتله وصلبه ورفعه .

من هذا الاعتقاد . ومن هذا النسيان عند اليهود والنصارى ، ومن هذا الاعتقاد ومن هذا الجنوح عند المسلمين تضاربت آراء هؤلاء وهؤلاء فى حياة عيسى وقتله وصلبه فقال المسلمون ان عيسى حى لم يقتل ولم يصلب وضربوا صفحا عن محاكمته التاريخية الكبرى ، وعن اجماع اليهود والنصارى على أنهم قتلوا عيسى وصلبوه ، ولم يلتفتوا الى ما أقره المجلس المسكونى قريبا من ان قتل عيسى وصلبه واقع تاريخى لا يمكن انكاره رذهبوا أى المسلمون الى أن المحاكمة والقتل والصلب لم تقع على عيسى

وانما وقعت على رجل آخر ألقى عليه شبه عيسى من اليهود أو الحواريين . أو على الرجل الذى أرشد اليهود الى عيسى ليقتلوه وقالت النصارى نقيض ماقاله المسلمون أن عيسى قد قتل وصلب . ولكونه ابن الله كما يزعمون أو ابن الانسان الأول الذى هو الله كما يدعون قالوا ان الذى قتل وصلب هو ناسوته لا لهوته . يريدون أن الذى وقع عليه القتل والصلب هو الهيكل البشرى . وأما السر الالهى فقد رفع الى السماء — ولسنا بصدد أن نرد عليهم ونقول لهم أن هذا قدر مشترك بين كل مخلوق نفخ الله فيه من روحه . فان أى مخلوق اذا قتل فان القتل يقع على هيكله البشرى لا على روحه التى نفخها الله فيه سواء كانت تلك الروح عادية كأرواح الناس العاديين أو كانت روحا مشرقة بالأنوار الالهية قدسية علوية قريبة الشبه بأرواح الملائكة كروح عيسى عليه السلام ، والحق الذى لا مرية فيه فى حياة عيسى وقتله وصلبه أن عيسى (رسول الله) لم يقتل ولم يصلب وأنه رفع بجسمه وروحه الى السماء يحيا فيها كحياة آدم فى الجنة قبل أن يهبط الى الأرض وأن الذى قتل وصلب هو عيسى المشبه لهم .

ومعنى كون عيسى شبه لليهود هو أن الله جلت قدرته ، قد شبه عيسى بشبه يشبه شبهه الأصلى ومثله بمثال يماثل صورته الأصلية، كما مثل جبريل عليه السلام لمريم بشرا سويا . فظنته انسانا يراودها عن نفسها فقالت له : « انى أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا » وهو بأجنحته التى تسد الأفق فى السماء ، وكما مثل جبريل لرسول الله — صلى الله عليه وسلم — فى صورة دحية الكلبى أحد أصحاب رسول الله فظنه أصحاب رسول الله رجلا غريبا . وفد على رسول الله جاء يسأله عن حقيقة الاسلام والايمان والاحسان فقال لهم رسول الله بعد أن انصرف من بين يديه هذا جبريل جاء يعلمكم دينكم . فطلبه أصحابه بعد خروجه من المسجد مباشرة فلم يجدوا شيئا ، وكما مثل الله عصا موسى حية تسعى تلتقم حبال السحرة وعصيهم — ثم عادت سيرتها الأولى عصا كما كانت ، ولما أن شبهه الله لليهود عمدوا الى عيسى المشبه لهم فقتلوه وصلبوه وسلم عيسى رسول الله من القتل والصلب وهذا معنى قوله تعالى : « ومكروا » أى اليهود بالاحتيال على قتل عيسى «ومكر الله» حيث شبهه لهم « والله خير الماكرين » .

وأصل القصة كما وردت فى القرآن أن عيسى لما أحس من اليهود الكفر برسالته لهم أى أدرك بحواسه فرأى بعينه وسمع بأذنه وادرك بمشاعره أن اليهود رفضوا رسالته رفضا باتا وأنهم لن يؤمنوا به رسولا لهم ولم يصدقوه وان أحيا لهم الميت وشفى الأبرص من برصه وأبرأ الاكمه من عماه . وان كلمهم فى المهد وظهرت لهم بتكليمه براءة أمه مما نسبوه اليها من الفحش ، وان فعل ذلك وما هو آكثر من ذلك فهم به كافرون ، وهم له قاتلون ، كما قتلوا يحيى بن زكريا ، وكما قتلوا أباه زكريا من قبل يحيى ، وكما قتلوا شعيا وغير شعيا — لما أحس بتصميم اليهود على قتله جمع أنصاره الحواريين ورسله المقربين ، وتلامذته المختارين ، جمعهم حوله ، وكانوا اثنى عشر تلميذا ، منهم شمعون ويعقوب وابن زيدا ويهوذا فقال لهؤلاء الأثنى عشر حواريا « من أنصارى الى الله » أى من منكم نصيرى حال كونى عاملا على نصرة دين الله فقال هؤلاء الاثنى عشر جميعا بلا استثناء نحن أنصار الله أى أنصار دينه . واذا كنا أنصار دينه فنحن ناصروك ومعاونوك .

آمنا بالله وصدقنا بالله واشهد ياعيسى بأنا مسلمون منقادون لما تريده منا من نصرتك مستسلمون لأمر الله فى الذب عنك ، ثم توجهوا جميعا الى الله ، وعرضوا أمرهم عليه جميعا ، بعد ما طمأنوا عيسى على نصرته فقالوا « ربنا آمنا بمــا أنزلت » على عيسى « واتبعنا الرســول عيسى » « فاكتبنــا مع الشاهدين» لك بالوحدانية ولرسولك بالصدق ثم قال الله تعالى: «ومكروا» أى اليهود بالاحتيال على قتل عيسى « ومكر الله » حيث شبهه لهم فقتلوا عيسى الشبيه وسلم عيسى الرسول ورفعه الله اليه «والله خير الماكرين» أى أعلمهم وأقدرهم على ايصال النفع لمن يشاء نفعه وايصال الضر لمن يريد ضره .
ثم طمأن الله عيسى وهو محاصر من اليهود ليلة قتله بقوله له « يا عيسى انى متوفيك » أى قابضــك وآخــذك بروحك وجســمك معا « ورافعك الى السماء » وأما هؤلاء اليهود فمكرهم فى ضلال ، ولن يلحقك منهم قتل أبدا » « ومطهرك من الذين كفروا » أى مخرجك من بينهم ومبعدك من خبث صحبتهم ودنس معاشرتهم « وجاعل الذين اتبعوك » صدقوا بنبوتك أيا كانوا وفى أى عصر وجدوا « فوق الذين كفروا » بك وهم اليهــود والمحاصرون لك والمطاردون يعلونهم بالحجة وبالقوة وبالسلطان « الى يوم القيامة» غاية لعلو الذين اتبعوه وصدقوا به ونزول الذين كذبوه وكفروا به ، ولما طمأن الله عيسى على حياته واعلمه بأنه سيرفعه الى محل كرامتــه أخذ عيسى بالضرورة يوصى الحواريين وتلامذته المقربين لأنه على وشــك أن يفارقهم فأوصاهم بوصايا كثيرة . وكان من جملة ما قاله لهم فى وصاياه « ليكفرن بى أحدكم قبل أن يصيح الديك وليبيعنى بدراهم يسيرة » وقد أجمعت النصارى بلا استثناء على أن هذه الوصية اخبار من سيدنا عيسى على سبيل المعجزة بأن أحد رسل عيسى وتلامذته الاثنى عشر المجتمعين حوله وهو « يهوذا » سيكفر بعيسى أستاذه ونبيه فى هذه الليلة بعد منتصف الليل وقبل صياح الديكة الذى يكون عادة قبل السحر كفرا حقيقيا فيذهب اليهود فى هذا الوقت ويرشدهم خيانة وغدرا الى المحل المختبىء فيه عيسى ليقتلوه فى نظير ثلاثين درهما يأخذهم رشوة من اليهود ليبيع لهم نبيه عليه السلام وهو فهم خاطىء واجماع خاطىء لما يترتب عليه من الحكم بالردعلى «يهوذا» وهوأحد الحواريين الذين رباهم عيسى تربيةدينية صادقة. وهوأيضا

الأمين الأول على الأموال لعيسى عليه السلام وهو أيضا أحد الاثنى عشر رسولا الذين اختارهم عيسى رسلا فى البلاد يبلغون رسالته وله رسالة خاصة مدونة مع رسالات رسل عيسى فى كتبهم المقدسة ، وهو أيضا أحد الاثنى عشر الذين قال فيهم سيدنا عيسى « أنكم ستجلسون يوم القيامة على اثنى عشر كرسيا تدينون اثنى عشر سبطا من أسباط اليهود الاثنى عشر المذكورين فى قوله تعالى « وقطعناهم اثنتى عشرة اسباطا أمما » وكون سيدنا عيسى يقرب يهوذا كل هذا القرب ويحكم له بأنه سيجلس على كرسى يوم القيامة ليدين سبطا من أسباط اليهود ، ثم بعد ذلك يحكم عليه ليلة رفعه بأنه سيرتد عن دينه بعيد وبعيد جدا . بل هو خطأ يجب تنزيه ساحة سيدنا عيسى وساحة تلامذته وتلميذه القريب منه ، لهذا وجب أن نقرأ هذه الوصية بقراءة غير القراءة التى يقرأ بها المسيحيون وأجمعوا عليها ويجب أن نفهمها بفهم غير هذا الفهم البعيد الخاطىء لنحفظ لسيدنا عيسى عليه السلام عصمته ولنحفظ ليهوذا كرامته وأمانته ورسالته وحواريته ولنصحح لسيدنا عيسى وصيته ولنوضح طريقته التى سلكها حينما ضيق عليه اليهود الخناق — فخروجا من هذه المآزق الحرجة — ونزولا على ماذكره القرآن من أن عيسى شبه لهم ولم يقتلوه . هو يجب أن تقرأ هذه الوصية بقراءة أخرى فنضبطها هكذا «ليكفرن بى أحدكم قبل أن يصيح الديك وليبيعنى بدراهم يسيرة» . بكسر اللام فى ليكفرن لا بفتحها وبكسر اللام فى ليبيعنى لا بفتحها وسيأتى أن هذه القراءة تتمشى تماما مع ما ذكره يوحنا فى الأصحاح الرابع عشر من انجيله . فكانت هذه الوصية على هذهالقراءة أمر منعيسى بأن يكفر بهأحد تلامذته كفرا ظاهريا لا حقيقيا وترخيص لهذا الأحد بأن يبيعه بدراهم يسيرة فيذهب الى اليهود بسرعة وبسرعة كبيرة كما فى انجيل يوحنا ، وكنا نبه على هذه السرعة سيدنا عيسى بقوله قبل ان يصيح الديك فى وقت السحر وبعد أن يذهب الى اليهود يخبرهم بالمكان المختفى فيه سيدنا عيسى المشبه لهم لأجل أن يسارع اليهود بالقبض عليه ليلا والجو مظلم حتى لا يتفحصه الشعب اذا قبضوا عليه نهارا ، ويتسع الشك فى ان هذا المقبوض عليه عيسى أو ليس بعيسى فكانت هذه الوصية ترخيصا من عيسى بالارشاد عليه ورسما لحظة دبرها عيسى للقبض عليه . ومعنى الوصية على ذلك أن عيسى لما علم

من الله أنه سيرفع الى السماء فى هذه الليلة وتحقق من أن اليهود يحتالون فى القاء القبض عليه ليقتلوه أراد أن يمكر به مكرا ليس من صنع الناس ولا هو مما تتناوله قدرة الناس ، ولكنه من صنع الله وأقدار الله والله خير الماكرين . فتشبه لليهود أى تمثل لهم ليظهر بصورة غير صورته الأصلية التى سترفع فى هذه الليلة الى السماء ، وانما تشبه لهم فى هذا الوقت بالذات لأجل أن يغطى الفراغ الذى سيحدث بعد رفعه ويملأه بهذا الشبيه وليقع القتل الذى أرادوه والصلب الذى صلبوه على هذا الشبيه لتلزم اليهود الحجة الدامغة بانهم ظلموه وكفروه من غير أن يلحقه منهم أقل أذى ولأجل أن يقضى على الفتنة التى تحدث فى الأرض لو رفع ، ولم يتشبه لهم فسيقولون قطعا كان الله فى الأرض وذهب الى السماء من حيث جاء وبعد ان تشبه لهم طلب عيسى من الحواريين أن يكفر به أحدهم الليلة كفرا ظاهريا فيذهب الى اليهود ليرشدهم اليه فامتثل يهوذا هذا الأمر وذهب الى اليهود وكانوا يبحثون عن عيسى فقال لهم ما تجعلون لى ان دللتكم عليه فجعلوا له ثلاثين درهما فأخذها ودلهم على عيسى المثيل ليلا ومع كون القبض قد وقع عليه ليلا كما أراد عيسى نراهم قد اختلفوا فيه ووقعوا فى شك من أنه عيسى أو ليس بعيسى ، لأن الصورة الممثلة لاتكون بالضرورة طبق الأصل من كل وجه ، ولما دلهم يهوذا على عيسى المثيل قبضوا عليه وحكموه حكما مستعجلا بوجوب قتله وصلبه فى صبيحة الليلة التى قبضوا عليه فيها أى يوم الجمعة ٣٠ من نيسان سنة ٣٣ من ميلاد عيسى عليه السلام حكموا عليه بالقتل والصلب فى غير تحقيق جدى أو تعليق يجدى ، وكأنه أكبر مجرم فى الأرض فى نظرهم يجب ازالته فى الحال ، فكان ويخمان الألمانى الذى ساهم فى قتـل الملايين من اليهود مع هتلر أسعد حظا فى محاكمته باسرائيل من محاكمة عيسى عليه السلام . هذا وأرجو الا يتخذ المسيحيون تشبه عيسى لليهود دليلا جديدا على لاهوتيته أو أنه ابن الله حقا فان القدرة على التمثيل عندنا معشر المسلمين ثابتة وواقعة فعلا ممن هم أقل شأنا من عيسى بدرجات كثيرة ، وها هو الشعرانى فى طبقاته الكبرى ذكر أن فئة مجرمة من المسلمين على شاكلة اليهود أخذت ألف جنيه مكافأة على قتل بعض الأولياء الذين ترجم لهم الشعرانى فى طبقاته فتصيدوه خارج قريته ثم قتلوه ولم يصلبوه كما صلب

اليهود عيسى بل قطعوه قطعة قطعة زيادة فى التنكيل به وليأخذوا أجرهم المغرى كاملا مكملا . ثم وضعوه فى زكيبة واخفوه عن الأنظار ثم كان أكبر مفاجأة لهؤلاء المجرمين المرتدين أنهم حينما أصبحوا وجدوه فى قريته حيا يرزق كما كان بالأمس قبل ان يقطعوه قطعة قطعة ويدفنوه « فلما رآهم ورأوه قال لهم . « غركم القمر » وهذا الولى على ما يظهر كان من الأولياء الذين يسميهم المسلمون بالأبدال الذين يظهرون فى صور كثيرة غير صورتهم الأصلية .

قال الشعرانى :

وكان الشيخ حسن أبو على كثير التطور تدخل عليه بعض الأحيان فتجده جنديا ، وأحيانا تجده صبيا وأحيانا تجده سبعا أو فيلا الى آخر ما قاله الشعرانى فى ترجمة الشيخ حسين أبو على فى الجزء الثانى من الطبقات ومن خصائص هذه الفئة من الأولياء أن الصورة التى يتمثلون بها لا تحكم عليهم على معنى أنك لو أحدثت فى الصورة الممثلة قتلا أو ضربا أو حبسا أو أى ضرر آخر لم يظهر لذلك أثر فى الصورة الأصلية ، ومثل ذلك التمثيل الحسى الذى يرى بالبصر التمثل المعنوى الذى يكون فى المنام فانه لو تمثل لك عدوك فى المنام بذاته وصفاته وضربته بسكين فسال دمه فان هذا لا يؤثر فى عدوك الحقيقى تأثير ، ولما كانت روح سيدنا عيسى ملائكية قدسية علوية مشرقة بالأنوار الالهية كانت أقدر على التمثل من أرواح الأولياء . واعلم أن كون المشبه لليهود هو عيسى لم يدرج عليه أحد من المفسرين غير أن الامام فخر الدين الرازى أشار الى ذلك اشارة عابرة فى تفسيره الكبير عند شرحه لقوله تعالى : « وما قتلوه وماصلبوه ولكن شبه لهم » حيث قال فى شرحه أن فى الآية سؤالين . السؤال الأول قوله تعالى «شبه» مسند لماذا — ان جعلته مسندا لعيسى فعيسى مشبه به لا مشبه وان اسندته الى القتيل فالقتيل لم يجر له ذكر فى الكلام — وبعد أن اعترض هذا الاعتراض اختار أن قوله «شبه» مسند للقتيل مع أنه لم يجر له ذكر فى النظم الكريم كما قال — ولم يختر الامام أن قوله « شبه » مسند لعيسى مع أن سائر الضمائر المذكورة فى الآية الكريمة كلها عائدة على عيسى — ونحن قد اخترنا أن قوله « شبه » مسند لعيسى لأنه هو الذى

جرى له ذكر فى الكلام ولأن الضمائر كلها فى الآية عائدة على عيسى — ولأن القتيل غير عيسى لم يجر له ذكر فى الكلام . فيكون عيسى هو المشبه لا المشبه به وعلى عيسى المشبه وقع القتل والصلب وبهذا الذى اخترناه يزول التعارض الهائل بين أكبر اجماعين متعارضين أجمع عليهما آلاف الملايين من البشر . اجماع اليهود والنصارى فى جميع أنحاء الدنيا على أن اليهود قتلوا عيسى وصلبوه ، واجماع المسلمين في جميع أنحاء الدنيا على أن اليهود ما قتلوا عيسى وما صلبوه . فمن ذهب الى أن اليهود قتلوا عيسى وصلبوه حملناه على عيسى الذى شبه لهم ومن ذهب الى أن اليهود ما قتلوا عيسى وما صلبوه حملناه على عيسى رسول الله الذى رفع بصورته الأصلية غير المشبهة .

وبهذا الذى اخترناه أيضا لم يعد فيما قرره المجلس المسكونى أخيرا جرح لشعور العرب كما يقولون . حيث قرر المجلس فى وثيقة تبرئة اليهود من دم المسيح « ان جريمة اشتراك اليهود فى دم المسيح واقع تاريخى لا يمكن انكاره لأنا نقول لهم الجريمة ذات الواقع التاريخى الذى لا يمكن انكاره ، وقعت على عيسى المشبه لليهود وقد اثبتها القرآن كما قلنا ، وانما نفى القرآن هذه الجريمة ذات الواقع التاريخى الذى لا يمكن انكاره عن عيسى رسول الله كما سيأتيك توضيحه . بما لا مزيد عليه من نص القرآن نفسه وبهذا الذى اخترناه أيضا يسلم يهوذا أحد رسل عيسى من الردة التى رماه بها جميع المسيحيين ظلما وعدوانا لأن وشايته لليهود كانت مصطنعة ومدبرة وبأمر من عيسى عليه السلام كما علمت . ويسلم أيضا كلام سيدنا عيسى من التناقض الفاحش لأنه قال لرسله الاثنى عشر انكم تجلسون يوم القيامه على كراسى تدينون الاثنى عشر سبطا من اليهود المذكورين فى قوله تعالى : « وقطعناهم اثنتى عشرة أسباطا أمما » . ومن جملة هؤلاء الرسل الاثنى عشر يهوذا باتفاق . فكيف يصبح بعد ذلك مرتدا عن دينه . ولا أدرى ما هو السبب فى أن المسيحيين حكموا على يهوذا بالكفر والردة بسبب وشايته على عيسى . ثم تراهم بعد ذلك يثبتون له رسالته فى جملة رسالات رسل عيسى فى كتبهم المقدسة .

وبالتأمل فى انجيل يوحنا فى الأصحاح الرابع عشر يمكن أن نستخلص منه براءة يهوذا من دم المسيح ونقطع بأن وشايته لليهود كانت مصطنعة وبأمر من عيسى عليه السلام ونجزم بأن اليهود انما قتلوا وصلبوا عيسى المشبه لهم ولم يقتلوا عيسى رسول الله .

فقد ذكر يوحنا فى الأصحاح الرابع عشر أن عيسى ليلة قتله وصلبه قال لتلامذته الاثنى عشر « ان احدكم يسلمنى الليه الى اليهود فطلب منه تلامذته أن يبين لهم من هو ذلك الأحد فقال سيدنا عيسى هو الذى أطعمه اللقمة ثم غمس لقمة وأطعمها ليهوذا وهنا قالت الأناجيل . ان الشيطان دخل فى جوف يهوذا مع هذه اللقمة ولذلك خرج يهوذا وأرشد اليهود الى عيسى فقبضوا عليه وقتلوه وصلبوه وهكذا فسرت الأناجيل هذه اللقمة من يد رسول الله الطاهرة المباركة بهذه النقمة التى نزلت بيهوذا ولم يدروا أنها نعمة من يد نبى الله المبارك اختص بها يهوذا ليخلص نبيهم من محاصرته ومطاردته من اليهود كما ستراه واضحا من كلام يوحنا فى انجيله . فقد ذكر يوحنا بعد أن قال عيسى ان أحدكم يسلمنى الليلة الى اليهود . وبعد أن غمس اللقمة ليهوذا ، ذكر أن عيسى قال ليهوذا « اعمل ما تعمله بسرعة » يعنى اذهب الى اليهود قبل أن يصيح الديك فى وقت السحر ثم قال يوحنا بعد ذلك « ان عيسى أسر ليهوذا بكلام لم يفهمه الحاضرون » وظن باقى التلاميذ أن ما أسره عيسى ليهوذا هو أن يخرج ليشترى لهم طعاما لأنه كان أمين الصندوق والمقرب عند عيسى ثم خرج يهوذا بعد أن قال له عيسى ما تقدم « اعمل ما تعمله بسرعة » ، وبعد أن أسر له بكلام لم يفهمه الحاضرون وذهب مسرعا الى اليهود ليدلهم على عيسى ليقبضوا عليه وليقتلوه .

فاذا كان آخر لقاء بين عيسى ويهوذا وآخر حديث بينهما وقع على هذه الصورة التى ذكرها يوحنا ووضحناها لك ، فلا يسع العاقل الا أن يفهم بحق أن وشاية يهوذا كانت مصطنعة وباتفاق سرى بين عيسى ويهوذا ليقع القبض على عيسى المشبه لهم ليلا . قبل أن يصيح الديك خشية أن يتفحصه الشعب اذا قبض عليه نهارا فيقع الشك كما قلنا فى أن هذا عيسى أو ليس بعيسى .

وبهذا يتضح لك صحة ما اخترنا من أن اليهود ما قتلوا وما صلبوا عيسى رسول الله ولكنهم قتلوا وصلبوا عيسى المشبه لهم .

ويتضح لك أيضا تبرئة يهوذا رضى الله عنه من دم المسيح بعد أن صبت عليه اللعنات من جميع المسيحيين زهاء ألف وتسعمائة واثنين وثلاثين سنة من رفع المسيح الى السماء .

أما تبرئة اليهود من دم عيسى بناء على ما ذكره القرآن من أنهم ماقتلوا عيسى وما صلبوه فبعيدة بل ومستحيلة لأن قوله تعالى بعد ذلك « ولكن شبه لهم » تدينهم وتأخذ بخناقهم فانهم قبضوا على عيسى المشبه لهم على اعتبار أنه عيسى رسول الله وقتلوه وصلبوه بعد أن بصقوا فى وجهه وضربوه بالعصى على رأسه ومنعوه الطعام والشراب وسقوه المر — فعلا — مذابا فى الخل لما طلب منهم شربة ماء ليروى غلته فلم يستسغه حتى قتل عطشانا ووضعوا الشوك على رأسه وطوقوه به حتى لا يمكنه أن يلتفت يمنة أو يسرة ليمنعوه حتى عن تحريك رأسه زيادة عن صلب ويديه وبدنه .

وانه لو أمكن تبرئة الشيطان من اثم امتناعه عن السجود لآدم . لما أمكن للانسان أن يحكم بتبرئتهم من دم عيسى واستذلالهم أياه هذا الاستذلال ولا يشفع لهم أن الذى قتلوه وصلبوه ، هو عيسى المشبه لهم لا عيسى رسول الله لأن هذا المشبه لهم ليس حيوانا مهدر الدم يستباح اذلاله وقتله وصلبه وضربه بالعصا وتشويكه والتنكيل به حتى يموت جائعا عطشانا ولكنه انسان يمثل عيسى ويقوم مقامه ويسد فراغه ، أوجده الله ليخلص عيسى من مكرهم وكيدهم لا ليخلص اليهود من اثمهم وجرمهم .

ولو شاء اليهود أن يطرحوا عن أنفسهم هذه اللعنات التى لاحقتهم وأن ينحوا عن شعبهم هذه الانتقامات التى لازمتهم ولا زالت تلزمهم الى يوم القيامة وأن تثبت لهم التبرئة التى يرجونها من المجلس المسكونى من أوسع أبوابها . فليرجعوا الى ما طالبهم الله به فى قوله تعالى « يابنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم واوفوا بعهدى أوف بعهدكم واياى فارهبون وآمنوا بما أنزلت مصدقا لما معكم « وهو القرآن » ولا تكونوا أول كافر به » ولو كان الله يرتضى اليهودية دينا لهم لما طالبهم بالايمان بالقرآن . فمطالبتهم بذلك دليل قاطع على أن الله لا يرتضى اليهودية

دينا لهم ، كما أن الله لو كان يرتضى اليهودية دينا لهم لما أرسل اليهم عيسى فارسال عيسى لهم دليل قاطع أيضا على أن الله لا يرتضى اليهودية دينا لهم فلو أن أشكول ومن شاكل أشكول وبن جوريون ومن يجرى مجرى بن جوريون امتثلوا أمر الله واندمجوا فيما ارتضاه الله دينا للناس وقامت الأدلة القاطعة والبراهين الحقة على صحته عند كل الناس لتحققت لهم هذه التبرئة من أوسع أبوابها كما قلنا ، ولا ذلة بعد ذلك ولا بعثرة فى الأرض ولا تمسكن لأمريكا ولا تمسح بانجلترا ولا مخادعة لألمانيا ولا ذلة لفرنسا ولا مقاطعة من العرب . ولا اخراج من الديار . ولا اتخاذهم مطية مسعورة للاستعمار لو صنعوا ما صنع أعلمهم وابن أعلمهم « عبد الله بن سلام » الصحابى اليهودى العالم الجليل ، هذا هو الطريق السليم لحصولهم على هذه التبرئة التى يرجونها من المجلس المسكونى .

وكيف يملك المجلس المسكونى أو أى هيئة دينية فى الأرض تبرئتهم من دم المسيح ورفع الذلة المضروبة عليهم فى كتبه المقدسة .

وهل يملك المجلس المسكونى أن يرفع عنهم كفرهم بالمسيح وظلمهم له ورميه هو وأمه بالفحش والبهتان وبالسحر والشعوذة وبعبادة الشيطان ؟

ولعنهم على لسان داود وعيسى وقتلهم لزكريا ويحيى وشعيبا وغيرهم من الأنبياء الذين يعدون بالعشرات ، وظلمهم فى السبت ، وما تأذن به ربك بأن يبعث عليهم الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب كهتلر وغير هتلر بسبب هذا الظلم ، وهل يملك المجلس المسكونى أن يرفع عنهم ظلمهم بعبادة العجل وما نالهم بسبب ذلك من غضب الله عليهم وذلتهم فى الحياة الدنيا وأن يرفع عليهم نقضهم للمواثيق التى واثقهم الله بها فى حياة موسى وبعد حياة موسى وتعديهم على الله وقولهم فيه أن يديه مغلولتان وأن الله فقير ونحن أغنياء وعداوتهم لجبريل وملائكة الله المقربين ومحو ما طبع الله على أجسامهم وعلى قلوبهم بكفرهم بجميع الأنبياء الذين أرسلوا من بعد موسى وفى جماتهم خاتم المرسلين ؟

وأخيرا هل يملك المجلس المسكونى رفع ظلمهم لمليون عربى فلسطينى بمساندة أمريكا وانكلترا باستيلائهم على أرضهم وأموالهم وديارهم وأكلهم حقوقهم جهارا نهارا بدون سند قانونى وبغير حق شرعى أى بغير فتح للبلاد

فتحا دينيا يرضاه الله ويأمر به ، فاذا شاء اليهود هذه التبرئة وأن ترفع عنهم هذه الموبقات التى ارتكبوها فليردوا الحقوق لأربابها ثم ليطلبوا رفع هذه الآثام عنهم لا من المجلس المسكونى ولا من غيره بل بمن يملك ذلك وهو الله سبحانه وتعالى ، وهو سبحانه وتعالى قد كتب رحمته التى وسعت كل شىء ووعد بها الذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون . الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل . وسواء برأهم المجلس المسكونى أو لم يبرئهم أو أدان البعض وبرأ البعض فلا علاج لهم ولا حل لمشاكلهم الدينية المعقدة الا ما قدمناه ، ولم يكن غرضى فى الأصل أن أخطىء اليهود فى عقيدتهم ولا أن أبين ما يجب أن يفعلوه ولا أن أتعرض للأديان بنقد أو تجريح ، وانما جرتنى تبرئة يهوذ من دم المسيح الى الدخول فى تبرئة اليهود من دم عيسى . فاقتضى البحث على أن أخوض فيما ذكرت وأن أنصح بما نصحت مراعاة لحقوق قديمة قد عفا عليها الزمان وجحدها بنو الانسان .

« معجزة علمية من معجزات القرآن الحية الخالدة »

بالتأمل العميق فى نظم القرآن الكريم فى قوله تعالى « وقولهم » أى اليهود « انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم » . نجد أن القرآن نفى القتل والصلب الذى نفاه لا عن عيسى مطلقا أى عيسى رسول الله الذى رفع الى السماء وعيسى المشبه لهم الذى قتل وصلب بل تجده نفى القتل والصلب عن عيسى « رسول الله » الذى رفع ثم أثبته أى القتل والصلب لعيسى المشبه لهم .

ولكون العقول لا تحتمل أو لا تصدق أن يقال لها بصريح العبارة أن عيسى الرسول لم يقتل ولم يصلب وأما عيسى المشبه لهم فقد قتل وصلب تراه سبحانه وتعالى قد طوى التصريح لهم بذلك واتخذ للافادة بذلك أسلوبا عجيبا من سحر البيان يمر القارىء العادى به فلا يجد ما لا يحتمله عقله ولا ما لا يصدقه قلبه ويمر به القارىء المتأمل فيجد صنعة وتعملا وتعمقا فى التعبير تقف دونه العقول صاغرة وتخر له الجباه ساجدة ومتذللة . فانظر لكى يفيدنا سبحانه وتعالى أن الذى لم يقتل ولم يصلب هو عيسى «رسول

الله » تراه سبحانه قد وضع عن قصد هذا القيد وهو « رسول الله » فى جانب عيسى فى أول الآية التى هى من مقول اليهود مع العلم بأن اليهود لايقولون آن عيسى رسول الله ولا يعتقدون أنه رسول الله لأجل أن يعيد الضمير فى قوله تعالى « وما قتلوه وما صلبوه » على عيسى الموصوف بأنه رسول الله ليفيد أنه هو الذى لم يقتل ولم يصلب وهو الذى رفع . وأما عيسى المشبه لهم فهو الذى قد قتل وصلب كما هو مقتضى الاستدراك فى قوله ولكن شبه لهم أى ولكن شبه عيسى لهم فقتلوا عيسى المشبه لهم وسلم عيسى رسول الله — ولخفاء السر فى وضع هذا القيد وهو قوله رسول الله فى جانب عيسى فى أول الآية وهى «وقولهم» أى اليهود انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه لخفاء السر فى وضعه فى هذا المكان اعترض المفسرون جميعا على الاتيان بقوله « رسول الله » فقالوا أى المفسرون ان اليهود كفروا بعيسى وسبوه . وقالوا هو ساحر وابن ساحرة فكيف يقولون فيه أنه « رسول الله » ثم تخلصوا من ذلك الاعتراض بأن اليهود قالوا « رسول الله » تهكما بعيسى — وقد علمت أنه تبارك وتعالى وضع عن قصد كلمة رسول الله فى جانب عيسى وهى ليست من مقول اليهود ليكون صادقا فى قوله « وما قتلوه وما صلبوه » أى عيسى رسول الله لأنهم ما قتلوا وما صلبوا عيسى رسول الله حقا وانما قتلوا وصلبوا عيسى المشبه لهم وهو ليس رسول الله فلله در القرآن الكريم وما أحكم نظمه العظيم .
وعلى هذا يكون « رسول الله » من مقول الله لا من مقول اليهود كما يقول المفسرون على تقدير يعنون أى اليهود رسول الله .

« ما يثبت من واقع القصة ان القتيل والمصلوب هو عيسى المشبه لهم »

ومما يثبت من واقع القصة أن القتيل والمصلوب هو عيسى المشبه لهم أن اليهود بحثوا عنه فى الصباح بعد أن قتلوه فى المساء ودفنوه فى القبر ووضعوا على باب القبر حجرا كبيرا وشددوا عليه الحراسة فلم يجدوا فى قبره شيئا كما بحث أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن جبريل المثيل خارج المسجد بعد انصرافه من بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم

مباشرة فلم يجدوا شيئا — وكما نظر السحرة الى الحية التى التقمت حبالهم وعصيهم فلم يجدوا الا عصا موسى فى يده حيث أعادها الله سيرتها الأولى ، أما النصارى فيزعمون أن عيسى قام من بين الأموات فى اليوم التالى لدفنه حينما بحثوا عنه فلم يجدوا فى قبره شيئا — وقد علمت أن من خصائص هذه الفئة المتطورة من الأولياء أو الأنبياء أو الملائكة أن الصورة التى يتمثلون فيها لا تحكم عليهم . على معنى أنك لو أحدثت فى الصورة الممثلة قتلا أو ضربا أو تشويكا . أو نحو ذلك لم يظهر لذلك أى أثر فى الصورة الأصلية ثم لا تلبث هذه الصورة الممثلة أن تعود سيرتها الأولى بعد انقضاء الغرض الذى من أجله تمثلت .

« معنى اقرار عيسى فى القرآن بان الله توفاه »

أما اقرار عيسى فى القرآن بأن الله توفاه فى قوله تعالى « فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم » فليس معناه أن الله توفاه وأماته بل معنى « فلما توفيتنى » أى فلما قبضتنى وأخذتنى بروحى وجسمى كنت أنت الرقيب عليهم بعد قبضى وأخذى بروحى وجسمى من بينهم . كما تقدم ذلك فى الآية التى طمأن الله فيها عيسى على حياته وقت محاصرة اليهود له فى ليلة الجمعة ١٣ من نيسان سنة ٣٣ م وقتله وصلبه فى صبيحتها فقد قلنا أن الله طمأن عيسى على حياته فى ليلتها بقوله لعيسى يا عيسى انى متوفيك ورافعك الى ومطهرك من الذين كفروا . وقلنا ان معنى متوفيك أى قابضك بروحك وجسمك ورافعك الى السماء — ومما يدل على أن معنى متوفيك أى قابضك بروحك وجسمك الى السماء قوله تعالى بعد ذلك ومطهرك من الذين كفروا. فان تطهير عيسى من اليهود لا يكون باماتة عيسى بل بنزعه بروحه وجسمه من بيئة اليهود الخبيثة المطاردة له والمحاصرة له . فكان معنى قوله «فلما توفيتنى» فلما قبضتنى جملة بروحى وجسمى الى السماء كنت أنت الرقيب عليهم . وليعلم أن اقرار عيسى بأن الله توفاه لم يحصل هذا الاقرار من عيسى للآن وانما يكون هذا الاقرار من عيسى يوم القيامة حيث يسأله سبحانه وتعالى يوم الحساب ويقول له على رءوس الأشهاد « يا عيسى أأنت

قلت للناس اتخذونى وأمى الهين من دون الله » والقصد من هذا السؤال أن عيسى لم يقل هذا الكلام ، هو تقريع وتوبيخ وتهجين مئات الملايين من المسيحيين على ما اعتقدوه فى عيسى من أنه ابن الله .

وانما كان ما اعتقدوه فى عيسى من أنه ابن الله يقتضى أن يقال له هذا القول لأنه اذا كان ابن الله كما يقولون فانه يلزمهم أن يكون الله هو أبوه ويلزمهم أيضا أن تكون أمه مريم زوجة الله سبحانه وتعالى وبالزوجية والنبوة لله يكتسبان صفة الألوهية ويلزم بعد ذلك أن لا يكون الله الها لأن الاله لا يلد ولا يزاوج أحدا وبقى بعد ذلك أن يكون عيسى وأمه الهين من دون الله . كل هذا يلزم النصارى من اعتقادهم فى عيسى أنه ابن الله فلهذا يقول الله لعيسى موبخا عابديه « أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين من دون الله . قال سبحانك ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك انك أنت علام الغيوب . ما قلت لهم الا ما أمرتنى به أن اعبدوا الله ربى وربكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شىء شهيد » . وقول عيسى بعد ذلك « ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم » . وقول الله بعد ذلك : « قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم » يدلان على أن هذا السؤال من الله . وهذا الجواب من عيسى لم يحصل الآن وأن حصولهما يوم الحساب كما قلنا .

« هل ينزل عيسى الى الارض قرب يوم القيامة ؟ »

ورد فى القرآن الكريم آيتان تدلان على أن عيسى سينزل الى الأرض قرب يوم القيامة . وورد فى البخارى ومسلم وأبى داود وغيرهما عدة أحاديث تدل على ذلك .

أما الآية الأولى فقوله فى شأن عيسى « وأنه » أى عيسى « لعلم للساعة » بكسر العين وسكون اللام . أى أن عيسى هو نفس العلم بالساعة يعنى أن من رآه اذا نزل من السماء فكأنما رأى القيامة قد قامت . فالعلم به علم لها وقرأ ابن عباس « وأنه » أى عيسى « لعلم للساعة » بفتح العين واللام أى هو علامة على الساعة .

قال المفسرون أى أن نزوله لعلامة على الساعة . فنزول عيسى على القراءة الأولى مما يعلم به مجيء الساعة . وعلى القراءة الثانية علامة وامارة على مجيئها .

فدلت الآية على أن عيسى سينزل . وأن نزوله من أشراط الساعة .

وأما الآية الثانية فقوله تعالى فى شأن عيسى أيضا « وان من أهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا » أى وما من أحد من أهل الكتاب يهودى أو نصرانى أدرك نزول عيسى الا ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى . ويدل على صحة هذا المعنى ما روى فى الصحيحين البخارى ومسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « والله لينزلن فيكم ابن مريم حكما عادلا فليكسرن الصليب وليقتلن الخنزير وليضعن الجزية وليتركن القلاص فلا يسعى عليها وليذهبن البغضاء والشحناء والتباعد والتحاسد . وليدعون الى المال فلا يقبله أحد » . فأنت ترى فى هذا الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقسم بربه على أن عيسى سينزل الى الأرض على أن يكون حاكما عادلا بين المسلمين واليهود والنصارى لا على أنه رسول لهم فان الرسالة قد انتهت بخاتم المرسلين . فلا رسالة فى الأرض بعده عليه الصلاة والسلام . وانما وظيفته أن يكون اماما للناس حاكما عادلا بينهم فيكسر الصليب ويبطل ما تزعمه النصارى من تعظيمه لأنه قد اتضح لهم من نزوله أنه لم يقتل ولم يصلب فلا معنى لتعظيمه بعد ذلك . ويقتل الخنزير لأن القرآن حرم تناوله فى قوله تعالى « حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير » وهو انما نزل ليحكم بما أنزل الله وقد حرم الله أكله لأنه من الخبائث والممسوخات فلذلك يحكم بقتله . وقوله يضع الجزية يعنى لا يقبلها من أحد يريد أن يبقى على عقيدته التى هو عليها فلا اباحى ولا بوذى ولا وجودى ولا طبيعى ولا يهودى ولا نصرانى يريد أن يبقى على عقيدته التى هو عليها يقبل عيسى منه الجزية . فاما الدخول فى دين الله واما القتل .

أما قول رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك « وليتركن » أى عيسى « القلاص » أى الابل « فلا يسعى عليها » أى لا يسافر عليها قوله

هذا يحقق معجزة حية من معجزات رسول الله صلى الله عليه وسلم . لأن السعي فى الأرض والسفر فيها فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفى الثلاثة عشر قرنا التى تلت رسالته انما كان على الجمال والخيل والبغال وما اليها . ولم يكن لهم مطايا قوية يمتطونها ولا مراكب قوية يركبونها فى هذه العهود الا الجمال ، فلا طيارات ولا عربات ولا وابورات ولا شيء من هذه المخترعات الحديثة السريعة التى اخترعت فى هذه العصور الأخيرة كانت موجودة فى زمنه عليه الصلاة والسلام ، ولا فى الأزمنة الطويلة التى حدثت بعده وانما وجودها كما ترى قديم وتخفق فى هذه العصور الأخيرة التى اقتربت منها قيام الساعة وترقب نزول عيسى عليه السلام فلذلك قال عليه الصلاة والسلام « وليتركن » أى عيسى القلاص فلا يسعى عليهــا لأن سعيه فى الأرض وسفره فيها سيكون بالضرورة على الطائرات والعربات وما ماثلها فيكون قوله « وليتركن القلاص فلا يسعى عليهــا » من أكبر معجزاته صلى الله عليه وسلم ودليل حى على أن عيسى سينزل فى الأرض ويحكم بما أنزل الله ويكون سعيه وسفره فى الأرض على صورة سعينا وسفرنا — ثم قال عليه الصلاة والسلام « وليذهبن » بضم الياء أى عيسى الشحناء والتباغض والتحاسد من القلوب . وهذه أيضا أشارة لطيفة من رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤخذ منها أنه فى وقت نزول عيسى الى الأرض ستكون قلوب الدول مملوءة بالتحاسد والشحناء والتباغض . مملوءة بالحقد والكراهية حتى لتتمنى كل دولة زوال غيرها من الأرض كما هو حاصل الآن فانك لا تكاد تجد دولة الا وهى خائفة وحاقدة ومشحونة بالغيظ والكراهية من أختها وقد تتمنى لها القتل والخراب والفقر والجوع والحاجة الى رغيف العيش بل وقد تعمل لذلك . وهذه الحالة على ما يظهر ستبقى بين المد والجزر بين الدول الى نزول عيسى عليه السلام، وبعد نزول عيسى عليه السلام سيذهب الله على يديه كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك التحاسد والتباغض من قلوب الناس أجمعين . لأنهم انما يتقاتلون ويتباغضون ويتحاسدون من أجل الحصول على أموال الناس ونهبها وسلبها بأى وجه كان . وفى زمنه عليه السلام ستفيض الأموال وتكثر بين الناس

حتى أن عيسى كما قال النبى فى بقية الحديث ليدعون الناس الى المال فلا يقبله أحد هذه رواية الصحيحين فى نزول عيسى .

أما رواية أبى داود فقد ورد فيها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس بينى وبين عيسى نبى وأنه نازل فيكم فاذا رأيتموه فاعرفوه فانه رجل مربوع الى الحمرة والبياض ينزل بين ممصرتين كأن رأسه يقطر وان لم يصبه بلل يقاتل الناس على الاسلام فيدق الصليب أى يكسره ويقتل الخنزير ويضع الجزية . ويهلك الله الملل كلها الا الاسلام ويهلك الدجال ويمكث فى الأرض أربعين سنة ، ثم يتوفى ويصلى عليه المسلمون . فقول النبى صلى الله عليه وسلم فى رواية أبى داود هذه « ليس بينى وبين عيسى نبى » أى ليس بينى وبين نزول عيسى نبى . قوله هذا يؤخذ أيضا معجزة حية من معجزاته عليه الصلاة والسلام فقد ادعى النبوة بعد وفاته ثلاثون نبيا منهم أربعة نساء « مسيلمة الكذاب ، والأسود العنسى وسجاح بنت الحارث » وغيرهم وكانت عاقبة هؤلاء النبيين أو مدعى النبوة الفشل والبوار جميعا على كثرةعددهم ولم تثبت لأحد منهم نبوة اطلاقا كما لم تثبت لأحد نبوة فى هذه القرون الأربعة عشر ، وانما الذى ثبت وتحقق هو صدقهعليه الصلاة والسلام فى قوله « ليس بينى وبين عيسى نبى » فكان ذلك معجزة كبرى من معجزاته عليه الصلاة والسلام . ومنها نعلم أن نزول عيسى حتم لا مفر منه وأن الدجال الأعور الأكبر الذى يدعى الألوهية لا النبوة هو الآخر حتم لا مفر منه كما أخبر بذلك النبى فى رواية أبى داود هذه .

وقد وصف النبى لنا عيسى فى هذه الرواية لأجل أن نميزه ونعرفه عند نزوله بأنه رجل ربعة لابالطويل ولابالقصير وبأن لونه يضرب الى الحمرة والبياض وبأنه عريق أو نظيف كأن رأسه يقطر وان لم يصبه بلل وبأنه ينزل بين ممصرتين أى بين ثوبين يضربان الى الصفرة يحيطان به وهو بينهما والصفرة فى الثياب من شعار الملائكة . وقد كانت عمامة جبريل يوم بدر صفراء . كما أخبر بأنه يقاتل الناس على الاسلام وأن الله يهلك الملل كلها فى زمانه الا الاسلام ، وانه يهلك الدجال الأكبر الذى يطوف الأرض كلها ويدخل مدنها فى أربعين يوما ، وهى مدة مكثه فى الأرض ، يوم كسنة ويوم

كشهر ويوم كأسبوع وباقى أيامه كسائر الأيام ومعنى كون يومه الأول كسنة أنه يقطع فى هذا اليوم من المسافات ما يقطعه غيره فى سنة بالسير المعتاد وقد سئل النبى صلى الله عليه وسلم عن اسراع الدجال فى الأرض فقال « كالسحاب استدبرته الريح » وفى رواية «كالغيث استدبرته الريح» وهذا الوصف ينطبق على سير الطائرات السريعة اذا كانت متجاورةومتقاربة فانها ترى على صورة السحب اذا تسلطت عليها الرياح القوية ذات السرعة العظيمة فانها تدفع قطع السحاب دفعا الى الأمام بسرعة فائقة محسوسة والظاهر أن الدجال سيطوف الأرض هو وأتباعه على متن طائرات سريعة يدعو أهل الأرض الى عبادته من دون الله فى نظير تسهيلات اقتصادية ومعونات اجتماعية وفى الأرض يومئذ مجاعة ويستجيب له اليهود وبعض سكان البوادى القاحلة الذين تدفعهم الحاجة الى اتباعه ، ثم ينزل عيسى ليقتله ويريح الناس من فتنته ويمكث عيسى فى الأرض أربعين سنة يملأ فيها الأرض قسطا وعدلا ورخاء ثم يتوفى ويصلى عليه المسلمون .

ونزول عيسى فى الأرض وخروج الدجال الأعور الأكبر وظهور مجاعة شاملة عامة لمعظم أهل الأرض فى زمن خروجه وخروج ثلاثين نبيا بعد وفاته ثم لم تثبت لأحد منهم نبوة . هذه الأمور وماماثلهاهى من الغيوب المستقبلة التى اطلع الله عليها رسوله صلى الله عليه وسلم قبل وفاته لتكون كالدليل على صدقه . وعلى أنه لا يقول الا عن الله تعالى وهى أكثر من أن تحصى . وقد حدث النبى أصحابه بهذه الغيوب المستقبلة كما روى البخارى ومسلم وأبو داود عن حذيفة بن اليمان قال لقد خطبنا النبى صلى الله عليه وسلم خطبة ماترك فيها شيئا الى قيام الساعة الا ذكره ، علمه من علمه وجهله من جهله قال حذيفة ان كنت لأرى الشىء قد نسيته . فأراه فأذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل اذا غاب عنه ثم اذا رآه عرفه وكما روى الامام أحمد فى مسنده عن المغيرة بن شعبة أنه قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاما فأخبرنا بما يكون فى أمته الى يوم القيامة وعاه من وعاه ونسيه من نسيه . وقد ظهر لأصحابه مصداق ما أخبر به ولا يزال يظهر لنا مصداق ما أخبر به كحديث طى الأرض وتقارب الزمان وحديث لا تقوم الساعة حتى تروا أمورا عظاما لم تكونوا ترونها ولا تحدثون بها أنفسكم كالسفر تحت

الماء ، والطيران فى السماء ، ومكالمة من فى المشرق لمن فى المغرب ومن فى الأفق الأعلى لمن هو على سطح الأرض والطوفان حول الأرض والسفر بالسفن الى القمر ودورانها حوله ونقل الصور وارسالها مع الصوت فى التليفزيون فهذه وغيرها كثير ، أمور عظام لم تكن ترى فى زمنه ولم يكن أحد يحدث نفسه بحصولها ولا برؤيتها فى زمنه عليه الصلاة والسلام فأخبر بأنه لا بد من حصولها وان حصولها أمارة على قيام الساعة .

وهذه الأمور العظام فيما يظهر قد مثلها الله لرسوله صلى الله عليه وسلم وأحضرها أمامه واحدة واحدة ليصفها للناس على سبيل الاعجاز ، وكان النبى صلى الله عليه وسلم يعبر عنها بعبارات من عنده على حسب ما يفهم من التمثيل الذى أمامه . فالله تبارك وتعالى أراه الطيارات وهى تحلق فى الهواء وتندفع بسرعة الى الأمام فعبر عن سرعتها وعن السفر عليها بأنها تمشى فى الفضاء كالسحاب اذا استدبرته الريح والله أراه السيارات فعبر عنهــا بما يشبه وصفها فى زمنه وقال هى كالرحال التى تكون على ظهور الجمال وعبر عنها فى حديث عبد الله بن عمرو بن العاص الذى رواه أحمــد فى مسنده والحاكم ، وقال صحيح على شرط الشيخين أنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول سيكون فى آخر أمتى رجال يركبون على السروج كأشباه الرحال ينزلون على أبواب المساجد أى ينزلون من فوق هذه الرحال وهى السيارات على أبواب المساجد للصــلاة أو الزيارة .نساؤهم كاسيات عاريات على رءوسهن كأسنمة البخت العجاف ..يريد الشعر المصفف المجمع على رءوسهن كسنم البعير .. ثم قال العنوهن فانهن ملعونات .

والله أراه آلة تسجيل الصوت فعبر عنها فى رواية الترمذى بقــوله والذى نفسى بيده لا تقوم الساعة حتى تخبره فخذه بما أحدث أهله من بعده . فان آلة التسجيل توضع فى الجيوب المحاذية للفخذ فى الثياب المعلقة فى الحجرة لتسجيل ما يحدث فى البيت بعد الخروج للعمل .

والله أراه آبار البترول التى كثر تفجيرها فى هذه العصور ، ولم يكن منها بئر واحد فى زمنه فعبر عنها فى حديث أبى هريرة بقوله « لا تقوم الساعة حتى تظهر معادن كثيرة لا يسكنها الا أراذل الناس » وهم أصحاب

الشركات العالمية المعروفة وعبر عنها فى حديث عبد الله بن عمرو بن العاص بقوله « تخرج معادن كثيرة مختلفة ، معدن منها قريب من الحجاز يأتيه من شرار الناس » وقد ظهرت هذه المعادن الكثيرة فى ايران والعراق والحجاز وليبيا والقاهرة وغيرها ويحاول الاستعمار أن يستغلها لحسابه وتحـاول الشعوب أن تستغلها لحسابها . ومن أجلها يقع النزاع المستمر بين أهل الأرض ومن أجلها تقع الحروب بينهم الى أن يأتى أمر الله .

الرسالة الثالثة

موضـــوعها :

« وحدة العقيدة بين الدول هي الطريق الوحيد لنشر الســـلام فى الارض »

لا تجد هيئة مسئولة في الأرض ولا شعبامن شعوبها ولا أمة من أممها الا وهى تمقت الحروب وتطلب السلام وتبغى الحصول عليه بأى ثمن كان ، فكل أهل الأرض مجمعون على حب السلام وطلبه ، والدخول فيه لكى يعيشوا آمنين ويحيوا متحابين ، وعلى الرغم من اجماع البشر على ذلك تجد أنهم لم يوفقوا أبدا فى قطع المنازعات وسد باب الروب والمخاصمات التى لا تلبث أن تختفى فى مكان حتى تظهر فى مكان آخر ، وهكذا دواليك . الى أن تقوم قيامتهم أو يفنى هذا النوع الانسانى من الوجود .

وهنا ترتسم علامة استفهام كبرى ، تسأل لماذا كان سعى أهل الأرض جميعا للسلام فى ضلال وجهـادهم جميعا للحصول عليه فى ضـياع لماذا يحرمون منه وهم الحريصون عليه ، ولماذا لايوفقون اليه وهم مجمعون عليه ؟.. وهنا يرتسم أمامنا الجواب عن هذا الاستفهام الكبير وهو أنهم جميعا مخطئون فى اتخاذ الطرق والوسائل التى تؤدى بهم الى السلام .

فها هم الاســتعماريون ينادون بالســلام ويطلبونه كما يطلبه غيرهم ولكنهم فى الوقت نفسه يعملون على فرض السيطرة على الشعوب الضعيفة والأمم المتخلفة وعلى وضع أيديهم على منابع ثروتهم واستغلالهم لها لتكون دولتهم أعظم من أن تكون عظمى . وأكبر من أن تكون كبرى ، وليقيموا أنفسهم سادة على الناس فهم السادة فى الأرض ، والناس لهم فيها عبيد ، هذا هو الطريق الى السلام الذى ينادون به ويعملون لنشره فى الأرض وهو طريق كما ترى أساسه الظلم والبغى وعدم مراعاة العدل والمساواة بين بنى الانسان ، والغاية منه سلب ثروات الشعوب الضعيفة والنامية ، والاستيلاء عليها بالقهر والجبـروت ، وكأن الســلام عندهم هو سلب ســيادة شعب

بأكمله لاسنادها الى شعب آخر بأكمله ، وسلب ثروة شعب بأكمله لاغناء شعب آخر بأكمله ، وهو طريق لايوصل الى السلام أبدا . لأن هذه الشعوب الضعيفة والمتخلفة لا تلبث بعد استكانتها للظلم فترة أن تفيق من غفلتها وأن تنهض من كبوتها لتدافع عن حريتها وكرامتها فتتجدد الحروب ويذوب هذا السلام المزيف تحت أنقاض هذه الوسائل التى اتخذوها طريقا للسلام .

أما الطريق الى السلام عند الاشتراكيين فقائم على درء المستعمرين وردهم الى بلادهم وطردهم من بلاد غيرهم ثم العمل على استثمار منابع الثروة فى بلادهم استثمارا جماعيا بعد أن سووا بين الأجراء والملاك وقربوا بين طبقة الأغنياء والفقراء وقضوا على استغلال الأقوياء للضعفاء وفتحوا أبواب العمل أمام الجميع ليصبح الكل كأجير يعمل ليأخذ كفايته وما تتطلبه حاجته وما يتبقى بعد ذلك من ثروة البلاد يستعان به على تقوية الدولة لتقوى على مطاردة المستعمرين الأجانب وقلع ركائزهم وعملائهم من البلاد ولتقوى على مضاعفة الدخل ووفرة الانتاج لمصلحة الشعب جميعه .

وهذا الطريق الاشتراكى غير العربى وان لم يكن فيه ظلم جماعى لأن الظلم فيه قاصر على الملاك وليس فيه مضاررة للدول الضعيفة والمتخلفة الا أنه على كل حال لا يقطع المشادة المستحكمة بينهم وبين الاستعماريين بل ربما يزيدها استحكاما وتعمقا لأن مبدأ الاشتراكيين من شأنه أن يلهب شعور العمال على الملاك وأن يوسع شقة الخلاف بينهم ، سواء أكان العمال فى الدول الاشتراكية أو الاستعمارية ، وهذا مما يجعل الاستعماريين على حذر دائم من الاشتراكيين بسبب مناصرتهم للعمال ، كما يجعل الاشتراكيين على حذر دائم من الاستعماريين بسبب مناصرتهم للملاك ، وهذه الحال من شأنها أن تجعل السلام والحرب بين الاشتراكيين والاستعماريين فى كفتى ميزان وهى حالة لا يطمئن الانسان معها الى سلام دائم فى الأرض أبدا ، فاذن أين نجد الطريق الى السلام فى الأرض ؟..

وقبل أن نخوض فى البحث عن هذا الطريق يجب أن نبحث هذه الظاهرة الفريدة التى أحدثتها الجمهورية العربية المتحدة فى الأرض فى معاملتها للدول الضعيفة والمتخلفة والدول المغلوبة على أمرها من ظلم

الاستعمار وبطشه ، واطلع على هذه المعاملة كل الناس وشهدها كل الناس وآمن بها كل الناس ، فالجمهورية العربية المتحدة كما يعلم كل الناس قدمت للجزائر فى سبيل تحريرها وحصولها على استقلالها رجالا ومعدات حربية ومعونات اقتصادية تقدربملايين الجنيهات، وبذلت أيضا من نفوذها الكثير من التهديد والوعيد للدولة التى كانت تستعمر الجزائر حتى استنفذت هذه التهديدات وتلك المعونات هذه الدولة المستعمرة فأعلنت حربها على الجمهورية العربية المتحدة فى الاعتداء الثلاثى ، لكى تكف عن مساندة الجزائر ومعاونتها فى سبيل تحريرها ، ولكن كل هذا لم يثن الجمهورية العربية المتحدة عن عزمها بل ظلت فى معاونتها ومساعدتها للجزائر الى أن حقق الله للجزائر النصر . وأزال عنها كابوس الاستعمار البغيض ، ثم لننظر بعد ذلك ماذا كان من الجمهورية العربية المتحدة بعد أن أعاد الله للجزائر حريتها وكتب لها النصر ، لم يكن من الجمهورية العربية المتحدة الا أن باركت للجزائر استقلالها وهنأتها بالنصر ثم استودعتها الله وتركتها حرة طليقة لتباشر شئونها بنفسها وتبنى دولتها بيدها بدون أى قيد وبدون أى شرط من الجمهورية العربية المتحدة ، وبقى أن نعرف ماذا يمكن أن يكون لو أن دولة استعمارية قدمت للجزائر هذه المساعدات حتى تم لها هذا النصر ؟.. الجواب عن ذلك يعرفه كل الناس ويفهمه كل الناس ويقرؤه فى بطون التاريخ كل الناس . كانت دار الحماية فى الجزائر هى المهيمنة على الجزائر وهى المتكلمة فى الجزائر ولا شىء فى الجزائر الا دار الحماية .

وبنفس الطريقة وبنفس المساعدة فعلت ذلك الجمهورية العربية المتحدة مع سورية قبل الانفصال ومع اليمن بعد ثورتها على حكامها الأنانيين ، ساندت سورية حتى أوقفتها على قدميها وأعدتها كدولة تدافع عن نفسها وتحافظ بجيشها على استقلالها وتصد ربيبة المستعمرين ومطية الطامعين عن أرضها وبذلت فى ذلك ما هو معروف لسوريا ولغير سوريا ، فلما شاءت سوريا أن تنفصل بدافع أعداء الوحدة ، وبدافع ملايين أعداء الوحدة السبعة لسوريا خيانة وغدرا — لم يكن من الجمهورية العربية المتحدة الا ماكان منها فى الجزائر استودعتها الله وتركتها لنفسها حرة طليقة تباشر شئونها كما يحلو لها من غير أن تسألها عما قدمت وبذلت فى سبيل اقامتها

كدولة ذات كيان وذات قوة ضاربة ، وذات اعداد قوى يمكنها من أن تكون رأسا بنفسها بعد أن كانت ذيلا لغيرها . وهكذا فعلت مع اليمن ما يعجز العقل عن حصره وتصوره فى سبيل اقامتها كدولة تدافع عن نفسها وتستجلب الرخاء لشعبها وتذود الأجنبى المستعمر عن أرضها ومحمياتها ، وتطرده من بلادها ، وعاونت الجمهورية العربية المتحدة تونس من قبل الجزائر فى بنزرت وغير بنزرت ، وعاونت مراكش من قبل تونس ، حتى ثبتت على عرشها وانفكت أغلالها ، ولاتنس ذلكالتسامح الكبيروالتضحية بكل شيء فى سبيل حصول السودان على استقلاله وطرد الأجنبى المستعمر لبلاده ، وفى سبيل حصوله على ما يقرب من نصف المياه المحجوزة خلف السد العظيم بدون مراعاة تكلفة البناء .

لقد كان فى استطاعة الجمهورية العربية المتحدة — لو كانت تعامل هذه الدول معاملة المستعمرين — أن تبنى لها قواعد فى كل هذه الدول كقواعد عدن وليبيا والخليج العربى ، وأن تتخذ مناطق نفوذ بأكثر من حجة من حجج المستعمرين ، وأن تضع يدها بقليل من الدهاء والخديعة على مقاليد كل دولة من هذه الدول ، كما يفعل ذلك المستعمرون .

ولكن الجمهورية العربية المتحدة لا تفعل ذلك ويستحيل أن تفعل ذلك أو حتى تفكر فى فعله بل بالعكس تجدها تبذل كل ما فى وسعها وطاقتها لأن ترد الى جارتها فلسطين اعتبارها وحقوقها المغصوبة وأرضها المنهوبة لتقيمها كدولة ثم بعد ذلك تترك لها أرضها وأموالها بدون أن تفكر حتى فى مجرد الاشراف عليها بل تتركها لنفسها تباشر شئونها كما تشاء وتتصرف كما تريد .

اذن فما هو السبب الحيوى لهذه الظاهرة الفريدة التى أحدثتها الجمهورية العربية المتحدة فى الأرض — وما هو العامل الخفى الذى دفعها الى هذه المعاملة التى لم يعهد لها نظير فى التاريخ ؟ قد يقول الناس ان حبها لاحياء القومية العربية وحبها لاحياء الوحدة العربية وبغضها للاستعمار وكراهيتها لاستعباد الشعوب الضعيفة هو السبب الوحيد الذى حمل الجمهورية العربية على أن تفعل ذلك مع هذه الدول المغلوبة على أمرها ولكننا لا نوافقهم على أن هذا وحده هو السبب الحقيقى والعامل الخفى الذى دفع الجمهورية العربية المتحدة الى أن تضحى بحقها فى السودان ومياه

السودان وأن تضحى بجانب ذلك بمئات الملايين من الجنيهات فى الجزائر واليمن وسوريا وان تعرض عشرات الألوف من أبنائها الأعزاء فى سوريا وفى اليمن والجزائر والعراق لأخطار الاستعمار ، وأذناب الاستعمار ، ولكن السبب الحقيقى والعامل الخفى الذى دفع الجمهورية العربية المتحدة لأن تضحى بذلك كله هو وحدة العقيدة فيما بينها وبين هذه الدول ، هذا هو السبب الحقيقى والدافع الحقيقى لهذه المعاملة التى لم يعهد لها نظير فى التاريخ . قصدت ذلك الجمهورية العربية أو لم تقصده ، صرحت به أو لم تصرح ، عرفته أو لم تعرفه ، فبوحدة العقيدة تفتدى الجمهورية العربية كلا من الجزائر واليمن وسوريا وفلسطين وغيرها بكل ما تملك ، وبوحدة العقيدة لا تفكر الجمهورية العربية فى احتلال الجزائر ولا استعمار اليمن ولا محاسبة سوريا ولا مساومة فلسطين ولا مقاسمة السودان ولا غيرها ، وبوحدة العقيدة تحتسب الجمهورية العربية كلا من هذه الدول كأنها قطعة من جسمها تبذل فى سبيل سلامتها كل ما تملك حتى تعود سليمة كأصلها .

والحقيقة ان التفرقة بين الشعوب وعدم التآلف بينها وطغيان بعضها على بعض وعدم محبة بعضها لبعض سببها الحقيقى — بلا شك — هو اختلاف العقيدة فيما بينهم . وأنه اذا اتحدت عقيدتهم زالت بلا شك هذه التفرقة من القلوب وحل محلها التآلف والتحابب بصورة عجيبة تدعو الى الدهشة والاستغراب لأن صانع هذه الصورة هو الله الذى يؤلف بين قلوب المؤمنين به اذا دخل الايمان به فى قلوبهم كما قال تعالى فى كتابه العزيز « لو أنفقت ما فى الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم » فوحدة العقيدة رحم بين أهلها أقوى بكثير من رحم القرابة والنسب وانما كان أقوى من رحم القرابة والنسب لأن رحم العقيدة رحم روحانى يتصل بالأرواح ورحم القرابة رحم جسمانى يتصل بالأجسام ولأن صلة رحم العقيدة من حق الله عليك وصلة رحم القرابة من حق والديك عليك .

ومعنى وحدة العقيدة هو أن تجمع الدول على الايمان باله واحد ورب واحد لهذا العالم كما جاءت به الأديان كلها من لدن آدم عليه السلام وان يجمعوا أيضا على الايمان برسله بدون تفرقة بين أحد من رسله .

وهذا القدر من العقيدة يكاد أن يكون مجمعا عليه من الشعوب كلها اجماعا فطريا ، ويكاد أن يكون مجمعا عليـه من جميـع الدول اجمـاعا سكوتيا ، بقطع النظر عما التزمته بعض الدول فى قوانينها الرسمية ولو كان هناك تفرقة بين الرسل حاصلة بين الدول لما أجمعت الدول على نشر القرآن فى اذاعاتها فانه لايعقل أبدا أن تكون هناك دولة تعتقد أن محمدا رسول الله كذاب ثم تعمد الى نشر كذبه على الناس فى اذاعاتها هذا لا يمكن أن يصدر من أى دولة كائنة ما كانت فى الأرض والا كانت دولة متصفة بالمجون والجنون فاجماع الدول على نشر القرآن فى اذاعاتها دليل على أن العقيدة التى كان عليها الناس قديما من التفرقة بين الرسل أصبحت لاغية لاعتداد بها فى هذا العصر الحديث ، فليس هناك من يؤمن برسالة عيسى ويعتقد أن محمدا كذاب ، وليس هناك من يؤمن برسالة موسى ويعتقـد أن محمدا كذاب ، كما أنه ليس هناك من يؤمن برسالة محمد ويعتقد أن عيسى كذاب أو موسى كذاب .

كما أنه ليس هناك تفرقة حاصلة بين الدول كذلك ليس هناك تفرقة بين الرسل حاصلة بين الشعوب ، فجميع شعوب الدنيـا تسـمع القرآن الكريم وتستمتع بقصصه عن مريم وعيسى وسرده لمواقف موسى فى الحياة وهو رضيع أو شاب أو شـيخ . وقصصه عن الأنبياء يوسف ويعقـوب واسحق وغيرهم وتصغى الى ذلك باقبال وقبول قلبى وبدون أن يخطر ببال أى شعب من هذه الشعوب أن محمدا متقول أو كذاب على الله فيما يقول بل كلهم جميعا يؤمنون بصدقه ويعترفون بأن هذا القرآن منزل من عند الله .

واذا كانت وحدة العقيدة مجمع عليها من الشعوب ومجمع عليها من الدول كما أوضحنا لك ، اجماعا فطريا من الشعوب واجماعا سكوتيا من الدول ، واذا كانت وحدة العقيدة هى الطريق الوحيد لنشر السلام فى الأرض ، واذا كانت أكبر قوة فى الأرض تجمع القلوب وتؤلف بينها هى وحدة العقيدة ، واذا كانت أكبـر قـوة فى الأرض تفرق القلوب وتولد التنافر فيها هى اختلاف عقيدتها ، واذا كانت هذه القضايا مسلمة لا شك فى صحتها وفى صدقها لأنها قضايا منتزعة من الواقع والمشاهد المحسوس،

فلماذا اذن لا تتفق الدول على توحيد عقيدتها رسميا لكى تضمن لنفسها نشر السلام العام فيما بينها ، لماذا لا تسعى الدول وتتكاتف على ما يوجب التآلف والتحابب فيما بينها وعلى ما ينفى أسباب الفرقة والتباغض من القلوب ويدفع عوامل العدوان والبغى على بعضها ، لماذا لا يقوم بالدعوة لهذه الوحدة دعاة دوليون مصلحون يحبون السلام لأهل الأرض ويحبون نشر السلام فيها ويحبون أن تعيش الشعوب هادئة مطمئنة فى مأمن من الحروب العامة وتدميراتها للأرض ولكل من على وجهها وهو عمل انسانى من الناحية الانسانية قبل أن يكون عملا دينيا من الناحية الدينية . لماذا لا يعقد رؤساء الديانات الكبرى « بابا » المسيحيين ، و « حاخام » اليهود « وشيخ الاسلام والمسلمين » مؤتمرا دينيا عاما يدعون فيه الدول ويدعون فيه الشعوب الى نشر السلام فيما بينهم ما دامت وحدة العقيدة هى الطريق الوحيد لنشر السلام فيما بينهم . لماذا لا يعملون على قلع هذه الحواجز العتيقة بين الدول والشعوب وقطع دابر هذه التفرقة المحزنة بين بنى الانسان الواحد ، ما دام الاعتقاد السائد فى الأرض هو أن محمدا رسول الله كما أن عيسى رسول الله وكما أن موسى رسول الله .

فهيا يا بابا المسيحيين ، وهيا يا حاخام اليهود ، وهيا يا شيخ الاسلام والمسلمين الى دعوة الدول بصفتكم رؤساء الديانات الكبرى الظاهرة فى الأرض لتعمل على الاعتراف رسميا بهذه الوحدة التى تضمن لهم بدون شك نشر السلام فيما بينهم وهم كما ترون قائمون على فوهة بركان لو انفجر فانه لا يبقى على وجه الأرض أحدا ولا يذر ، استحثوا هيئة الأمم التى أخذت على عاتقها نشر السلام فى الأرض لكى تعمل على الاعتراف بهذه الوحدة ، أرشدوها لتقوم بالغرض الذى من أجله أقيمت والغاية التى من أجلها أنشئت .. استعملوا نفوذكم الدينى وسيطرتكم الروحية وانقذوا البشرية القائمة الآن على متن جهنم تحت رحمة نزوة نفسية أو وخزة شيطانية أو غلطة حسابية لو حدثت تقوم بها قيامتها وتهوى بها فى قاع الجحيم .

ان الناس اذا أجمعوا على الايمان بإله واحد ورب واحد وأجمعوا على الايمان برسله بدون تفرقة بين أحد من رسله أصبح الكل اخوة متحابين

وتلك هي الغاية التي كان المسيح عليه السلام يدعو اليها مدة رسالته والبغية التي كان موسى عليه السلام يبتغيها مدة اقامته، والأمنية التي كان محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم يتمناها مدة دعوته واذا أصبح الكل اخوة متحابين فانك لا تجد فيهم دولة تبغي على دولة لتسلب منها سيادتها ولتستولى على أرضها ولتضع يدها على منابع ثروتها لأن الايمان بالله ورسله يمنع الكل منعا باتا من التعدى على اخوانه في الايمان واغتصاب حقوقهم والسيطرة على ملكهم ولأن قلب أخيه في الايمان مفتوح اليه وفي يده ليس ممنوعا عليه ، ولايبقى بين الدول الا خلافات جزئية بسبب اختلاف وجهة أنظارهم كالخلافات التي تكون بين أفراد الأسرة الواحدة في البيئة الواحدة وهي خلافات على كل حال لا تؤدي الى نشوب حرب عامة أو مقاطعة عامة ، بل تبتديء بسلام وتنتهي بسلام كما هو مدون في التاريخ ومشاهد الآن .

واليقين الذى لا شك فيه هو أنه اذا تحققت وحدة العقيدة بين الدول وتمكنت من قلوبهم فانك لا تجد مؤمنا بالله ورسله يستطيع ان يخالف قلبه ويلقي على شعب يؤمن بالله ورسله قنبلة ذرية أو قنبلة هيدروجينية ليبيد بها ذلك الشعب الذى يحمل هذا الايمان لأجل أن يستعمر أرضهم ويستولي على ثروته لا سيما وهو يعلم من تعاليم دينه أن امتلاك ذلك الشعب لتلك الأرض ثابتا له بحقه الشرعي وهو الايمان بخالقها فلا وجه له بالطمع فيها وحينئذ تصبح القنابل الذرية والهيدروجينية لاغية وغير ذات موضوع لأنها لا تجد لها راميا كما لا تجد لها محلا في الأرض يصلح لرميها فيه .

والمشكلة الوحيدة في تحقيق هذه الوحدة العقيدية بين الدول ، هي ان بعض الدول حولت نظرها عن العقائد الدينية وجعلت ذلك التحول مبدأ أساسيا من مبادئها فكيف ترضى ان تلتزم بوحدة عقيدة بينها وبين الدول وكيف يمكن ان تدخل في هذه الوحدة وقيام هذا الاشكال لا يمنع على كل حال من الدعوة الى هذه الوحدة وتترك الاستجابة بعد ذلك لرأى تلك الدول . فالدولة التي لا ترى وحدة العقيدة في صالح شعبها هي حرة في اعتقاد ما تراه في صالح شعبها لأنه لا اكراه في الدين .

وبعد فهل يصبح الأسود أخا للأبيض ، وهل يصبح الأمريكى أخا للاتيني ، والكوبي والياباني والفيتنامي والكورى والصيني والروسي، وهل

يصبح الصينى أخا للهندى وهل يصبح الهندى أخا للباكستانى ويلتقيان معا فى كشمير وهل يصبح أبناء خليل الله اخلاء ويلتقى أبناء سارة وهاجر فى فلسطين ، وهل يصبح التركى واليونانى والقبرصى اخوة متحابين ، وهل يتأكد الصفاء والوفاء بين فرنسا وجاراتها من العرب والمغاربة ويصبح الكل يدا وحدا وقلبا واحدا . وهل تعود المانيا الى رشدها وتتصافى مع العرب ويصبح الجميع اخوة متضامنين ، وهل يصبح الافريقيون اخوة على سواء بينهم وبين الأوربيين والامريكيين وهل تتنازل أمريكا من كبريائها واندفاعها فى الشرق الأقصى وغير الأقصى بدون أى حاجة عندها تدعوها لذلك وبدون أى فائدة تعود على شعبها من وراء هذا الاندفاع ، وهل تترك انجلترا تربصها وترقبها لما تأمل أن تجنيه من وراء هذا الاندفاع ، وهل تتراجع فى عدن عن تحويلها لقرارات جمعية الأمم بدون مبالاة وبدون اكتراث ، وهل يزول الحقد على العرب وحب السيطرة على بلادهم من صدور المستعمرين ؟

اذا شاء الله وكان الناس أمة واحدة يؤمنون باله واحد ورب واحد ويؤمنون بجميع رسله بدون تفرقة ، واذا قررت جمعية الأمم وحدة العقيدة بين جميع الدول ثم قبلتها جميع الدول فانه يرجى من الله تبارك وتعالى أن يجعل ذلك كله أمرا واقعا فى الأرض وبذلك يعم السلام جميع من فى الأرض وبدون ذلك لا تنتظر سلاما دائما فى الأرض أبدا . ومن يدرى فلعل الله أراد لأهل هذا العصر أن يجعلهم كلهم أمة واحدة ، وأن يكونوا هم أهل رحمته الذين عناهم بقوله سبحانه وتعالى : « ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة » . ثم قال سبحانه : « ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك » . وقال المفسرون فى تفسير هذه الجملة : ولا يزال الناس مختلفين فى الدين الا من رحم ربك ، أى الا من أراد لهم الخير فلا يختلفون فى الدين ، بل يجتمعون على عقيدة واحدة ، فكانوا كلهم أمة واحدة ، وكانوا كلهم أهل هذه الرحمة ، وهذا ما نرجوه من جميع الدول ومن جمعية الأمم وما تحقيقه على الله بعزيز .

الرسالة الرابعة

موضوعها :

« النهى عن اتخاذ القبر مسجدا وما هو معنى اتخاذ القبر مسجدا »

اتخاذ القبر مسجدا معناه أن تجعل القبر موضعا لصلاتك فوقه وسجودك عليه تعظيما لمن هو مدفون فى القبر أو أن تجعل القبر نفسه قبلتك التى تتوجه اليها فى صلاتك كالكعبة تماما على معنى أنك فى أى ناحية من النواحى الأربعة للقبر وقفت ، اتخذت القبر قبلة لك ، هذا هو معنى اتخاذ القبر مسجدا .

وخلاصة النهى عن هذا المعنى هو ألا تصلى على قبر أو الى قبر وهذا المعنى هو المصرح بالنهى عنه فى رواية الطبرانى « لا تصلوا الى قبر ولا تصلوا على قبر » وقد ورد النهى عن اتخاذ القبر مسجدا من طرق كثيرة وكلها صريحة فى النهى عن هذا المعنى الذى ذكرناه أو محمولة على هذا المعنى فاذا لم تصل الى قبر ولا على قبر فصل حيث شئت فكل الأرض بعد ذلك مسجد من مساجد الله تصح فيه الصلاة بلا حرمة ولا كراهة ، فالأرض التى حول القبر مسجد من مساجد الله تصح فيها الصلاة كسائر أجزاء الأرض فى كل بقاع الدنيا داخلة فى عموم قوله صلى الله عليه وسلم «جعلت لى الأرض مسجدا» وهكذا روى الامام أحمد وأبوداود والترمذى وابن ماجة والحاكم روى خمستهم «الأرض كلها مسجد الاالمقبرة» . أى الا أرض المقبرة فليست مسجدا فلا تصح الصلاة عليها ولا اليها ، وما عدا أرض المقبرة فهى مسجد من مساجد الله سواء أكانت الأرض حولها مباشرة أو قريبة منها حتى الطرق التى حول المقابر أو الطرق التى تتخلل المقابر العامة أجاز الفقهاء الصلاة فيها وعلى أرضها مباشرة بدون أن تفرش واعتبروها داخلة فى عموم قوله صلى الله عليه وسلم «جعلت لى الأرض

مسجدا وتربتها طهورا » فاحذر من أن تصلى على القبر أو أن تتوجه فى صلاتك الى القبر ثم صل بعد ذلك حيث شئت .

وأشهر رواية فى النهى عن اتخاذ القبر مسجدا هى قوله صلى الله عليه وسلم « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور انبيائهم مساجد » وأنت ترى أن الحديث صريح فى النهى عن اتخاذ القبور الخاصة بالأنبياء مساجد لأنها هى القبور التى يمكن أن يقصدها النـــاس بالتعظيم والتقديس وأن يتخذوها مساجد يصلون اليها وان يعبـــدوها من دون الله ، ولذلك نرى رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يحذر أمته من اتخاذ القبر مسجدا الا حين حضرته الوفاة فخشى على أمته ان يتخذوا قبره بعد وفاته مسجدا يصلون اليه ويستقبلونه فى صلاتهم ويعظمونه فيه ويؤلهونه كمـــا ألهت النصارى عيسى ومريم وكما ألهت اليهود عزيرا واتخذوا لهم صورا كصورهم وتماثيل تماثلهم ونصبوها فى معابدهم وعبدوها من دون الله وسجدوا لها وقدسوها كما يسجدون لله وكما يقدسون الله ، فقطع عليه الصلاة والسلام على أمته خط الرجعة وحذرهم من أن يفعلوا ذلك بقبره بعد وفاته عليه الصلاة والسلام فالنهى عن اتخاذ القبر مسجدا خاص بقبور الأنبياء للسبب الذى ذكرناه، أما قبور غير الأنبياء من الناس صالحين أو غير صالحين فلم تقصـــد بالنهى فى هذا الحديث اطلاقا لأن قبورهم لا يمكن أن يقصدها الناس بالتعظيم والعبادة ولا أن يقصدها الناس للصلاة اليها أو الى من فيها ولا أن يفتتنوا بها كالافتتان بقبور الأنبياء ، ولاأظن مسلما واحدا نوى فىصلاته أن يصلى ركعتين للسيد البدوى أو خلافه اطلاقا ، فنيـــة المسلم معقـــودة على أن الصلاة لله وحده فى أى موضع صلى، وانما ألحق الناس قبور الأولياء بقبور الأنبياء ســـدا للذرائع ، وبطريق القياس على قبور الأنبياء وهو قياس كما ترى مع الفارق ، وغير مقبول لأن قبور الأولياء وان كانت تقصد من الناس كما تقصد قبور الأنبياء الا أن قبور الأولياء تقصد للتبرك أو الاستشفاع أو طلب المعاونة أو قضاء الحاجة من الله على يد أصحاب هذه القبور . أما قبور الأنبياء فتقصد من اليهود والنصارى أو تقصد صور أصحابها وتماثيلهم لتعظيمها وعبادتها والسجود لها وتقديسها وفرق كبير بين مايقصد للتبرك

والاستشفاع وطلب المعاونة وقضاء الحاجة من الله على يد أصحابها وبين ما يقصد للتعظيم والعبادة والسجود والتقديس فكيف يمكن أن نقيس قبور الأولياء على قبور الأنبياء ونعطيها حكمها ، فالصلاة فى الأضرحة انما تحرم اذا تركت القبلة وجعلت القبر قبلتك أو صليت فوق القبر لمن فى القبر وهذا لم يحصل ولن يحصل من أحد من المسلمين اطلاقا ، أما اذا استقبلت القبلة واستدبرت القبر أو جعلته عن يمينك أو عن يسارك فلا حرمة ولا كراهة فاذا استقبلت القبلة وجعلت القبر بينك وبين القبلة فان كنت بحيث لو صليت صلاة الخاشعين لم يقع بصرك على القبر فلا حرمة ولا كراهة وان كنت بحيث لو صليت صلاة الخاشعين وقع بصرك على القبر فصلاتك مكروهة فقط وليست حراما كما نص على ذلك فقهاء الأحناف ، وصلاة الخاشعين هى ألا يتجاوز بصرك موضع سجودك من الأرض .

والحقيقة ان اختلاف الناس فى الصلاة فى الأضرحة اختلاف مبنى على الجهل وعدم الفهم للمقصود من كلمة «مساجد» فى قول النبى صلى الله عليه وسلم « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » فلا اليهود ولا النصارى بنوا على قبور أنبيائهم مساجد كالمساجد المعروفة عند المسلمين والتى يصلون فيها لله تبارك وتعالى ، وانما الذى فعلوه ولعنوا بسببه هو أنهم كانوا يسجدون لنفس القبر أو لمن هو مدفون فى القبر أو للصور التى اتخذوها على صور أنبيائهم فى معابدهم وهذا لم يفعله المسلمون فى الأضرحة اطلاقا ، فاذن يكون معنى اتخاذ القبور مساجد فى الحديث الشريف اتخاذها مواضع للسجود لها أو عليها أو الصلاة لها أو عليها كما قدمنا فى أول البحث .

فكلمة مسجد معناها الموضع الذى تقف عليه وتسجد عليه أو اليه فاذا كان هذا الموضع قبرا حرم الوقوف عليه والصلاة اليه واذا كان أرضا كالأرض التى حول الأضرحة لم يحرم الوقوف ولا الصلاة عليها لله تعالى فاذا عقلت كلمة مسجد بهذا المعنى سلمت من الوقوف فى هذا الاختلاف وتبينت أنه لا معنى لاختلاف الناس فى الصلاة فى الأضرحة وظهر لك أن اختلافهم فى ذلك اختلاف مبنى على الجهل وعدم الفهم لكلمة « مساجد »

فى الحديث الشريف، أما اذا فهمت جهلا أن كلمة مسجد معناها المكان المتسع المحاط بأربعة حوائط فى كل جهة حائط فاعلم بانك لا تسلم من الوقوع فى هذا الاختلاف وتجد نفسك غارقا فى هذه البلبلة التى غرق فيهـا الناس دهورا طويلة بغير وجه حق وبدون ثمرة ولا نتيجة فهذا هو الذى يعنيه سيد المرسلين وقد حدد سيد المرسلين الأمكنة التى تحرم فيها الصلاة فى قبر الأنبياء تحديدا قاطعا بقوله فى احدى الروايات يصلون اليهـا أو عليها ، فبعد أن قال عليه الصلاة والسلام «لعن الله اليهود والنصـارى اتخـذوا قبور أنبيائهم مساجد » قال بعد ذلك «يصلون اليها أوعليها» وبمقتضى هذا التحديد اذا لم تصل الى قبر أو على قبر فصل حيث شئت .

والله الموفق

ترجمة المؤلف

هو « أحمد محمد حجاب » عبد الله وخادم القرآن وابن السيد البدوى روحيا .

وهو « أحمد محمد حجاب » ابن السيد محمد الشريف بن السيد محمد الادريسى بن السيد أحمد الادريسى بن السيد عبد الوهاب التاز بن السيد عبد العزيز الدباغ « صاحب كتاب الابريز » ابن الخضر عليه السلام ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم طريقة .

فليس بينه وبين حضرة الرسول الا ستة من شيوخه كما أنه ليس بينه وبين حضرته فى نسبه الروحى الا « السيد أحمد البدوى » .

وهو « أحمد محمد حجاب » بن محمد حجاب بن أحمد على حجاب نسبا . ولد بقرية «مناحريت» تبع مديرية الدقهلية أولا والشرقية أخيرا فى أوائل العقد الثانى من القرن الرابع عشر الهجرى ، وحفظ القرآن وجوده على طريقة « الميهى » ثم طريقة « الجزرى » ثم حفظ جميع المتون والمصنفات الأزهرية التى تدرس فى القسم الابتدائى والقسم الثانوى قبل انتسابه للعلم وفى العقد الأول من حياته ، ثم انتسب فى طلب العلم بالجامع الأحمدى وسنه تسع سنوات ، ولما دخل النظام فى الأزهر وملحقاته سنة ١٣٢٧ هجرية انتظم فى سلكه فى السنة الثانية « ابتدائى » ثم أخذ العالمية النظامية سنة ١٣٣٧ هجرية ولم يسقط قبل أخذها فى امتحان رأسا ، وكان ترتيبه بين عموم طلبة المعاهد هو «السادس» فى العالمية النظامية والرابع فى الشهادة الثانوية ولم يتجاوز السابع فى عموم سنى النقل ، ولم يوظف فى وظيفة حكومية ولا غير حكومية طول حياته ، ولم ينقطع عن العلم يوما واحدا كذلك ، وتعرف بالمتصوفة فى سن مبكرة ولازم حدودهم بقدر استطاعته ، ولم يبارز ربه قبل أن يعرفهم ولا بعد أن عرفهم بمعصية واحدة،

وأمره الآن معلق بقضاء الله الحكيم بعد اتصاله به ان شاء قبله وان شاء رده عن أعتابه ، وكانت اقامته موزعة بين المدن الثلاث « طنطا » مدة طلب العلم كله ، ثم بعد العالمية غادرها وأقام بالقاهرة ست سنوات ، ثم غادرها الى الاسكندرية وأقام بها أربعة عشر عاما ، ثم غادر الاسكندرية الى طنطا ثانيا فى أواخر العقد الخامس من حياته واستوطنها نهائيا ، ثم شرع فى كتابة هذا الكتاب سنة ١٣٧٨ هـ وأتمه فى بضعة أشهر راجيا به وجه الله الكريم ومريدا به الدفاع عن أحبابه ، وايقاف المعترض عندحده ، ورده الى صوابه .

والله أسأل أن يجعله خالصا لوجهه الكريم ، وأن يديم به النفع للمسلمين .

كلمة المؤلف

أحمد الله ، وأصلي وأسلم على رسول الله .

وبعد : فان سيدى أحمد البدوى فى غنى تام عن الاشـادة بفضله ، والتعريف بمركزه الصوفى ، وقيمته الروحية ، لأن الله تعالى قد وضع له في القلوب منزلة لاتبارى ، وأبقى له لسان صدق فى الآخرين لايمحى فمن تحصيل الحاصل أن يحاول مثلى أن يرفع من شأن هذه المنزلة أو يعمل على تثبيت قواعدها وتشييد دعائمها فى قلوب الناس ، وهذه الحالة قد لازمته فى حياته ، ولم تفارقه بعد مماته ، فأينما حللت فى أى بقعة من بقاع الدنيا وجدت فيها سيرته . وأينما توجهت الى أى جهة من جهاتها سبقتك اليهـا شهرته ، ولاحقتك فيها ذكراه المجيدة ، وقد يرجع السبب فى ذلك الى ما ورد فى الحديث من أن الله اذا أحب عبدا نادى جبريل عليه السلام أن الله يحب فلانا فأحبه فيحبه جبريل ثم ينادى جبريل فى أهل السـماء ان الله يحب فلانا فأحبوه فيحبه أهل السماء ويوضع له القبول فى أهل الأرض

فكان من العجيب حقا أن يظهر بين الناس من يتجـاهل هذه المنزلة ويتغافل عما أجمعت عليه القلوب . وتطابقت عليه الألسنة ، فيحاول أن ينقص من قدرها وأن يحط من شأنها بلا مبرر وبدون سند .

كان ذلك هو السبب فى انى أجمعت أمرى وتوكلت على الله فى أن أكتب رسالة فى تاريخ حياة السيد البدوى الدنيوية وفى حياته البرزخية لا لأرفع من شأنه ولا لأشيد بفضله فانه كما قلنا فى غنى عن كل ذلك ولكن لأضع الأمور فى نصابها ، ولأوقظ الغافل ، وأنبه الجاهل ، وألفت نظره الى أن ما بناه الله ورفعه لايمكن أبدا نقضه ولا هدمه ، ولا يفيد عند أحد التقليل من شأنه .

كنـاطح صـخرة يوما ليوهنها   فلم يضرها وأعيـا قرنه الوعـل

وربما كان الأبلغ والأوفق أن أسكت عن الرد على ماكتب هـذا المعترض فى السيد البدوى من هذيان واختلاق ، لأن الرد عليه يثبت له صفة الاعتبار ، ويثبت لكلامه صفة الاعتداد به ، والواقع أنه لااعتبار له عند أحد ، ولا اعتداد بكلامه — فى شأن البدوى — عند الناس ، وكل ماكتبه ونقله فى الطعن عليه هو هراء فى هراء ، وصرخة فى فضاء ، لاشبه له فى نظرى الا بطنين أجنحة الذباب فهل تراه يضير ، وهل تحس له من أثر ، وهل تسمع له ركزا ، نعم : كان من الأبلغ ومن الأوفق أن أسكت عن الرد على هذا المعترض ولكنى آثرت العظة والذكرى بما كتبته فى حياة هذا البطل العظيم فان الذكرى تنفع المؤمنين ، فكتبت هذه الرسالة وأوضحت لهذا المعترض عدم سلامة عقيدته فى انكار الكرامات اطلاقا ، وزيغه عن طريق الصواب فى بعض معتقداته الفاسدة ، ووضعت يده على موضع الخطأ فيها ، وبينت له الصواب وكشفت عن شىء من حياة البدوى البرزخية وكيف يربى أولاده وهو فى هذه الحياة وأزحت الستار عن السر فى تزاحم ملايين البشر على زيارته ، وعن مدى علوم البدوى ومعارفه ومبلغ درجته العلمية والروحية ، وأعماله وآثاره فى شتى أطوار حياته وبعد مماته ، وأوضحت الكثير من كلماته التى لم تحل ألغازها الى الآن لأبين لهذا المعترض خطأه فى التقليل من شأن البدوى مقلدا فى هذا الخطأ دائرة المعارف للمستشرقين ، ثم تعرضت لطرف هام من رحلته الى العراق أغفله كل الكاتبين لخفاء عناصره ، يتعلق بقصة بنت برى وأعوانها وماكان من سيدى أحمد معها ومع أعوانها ، وأوقفت المعترض على أخطائه فى وجه الطعن فى النسب عند الكلام على النسب الشريف ، وكشفت للقارىء عن جميع ألقابه وما ترمى اليه من دلالة ، وكيف لقب بها عن جدارة كما بينت فرائده الثمانية التى تتعلق بطريقته وذكرت للعظة والاعتبار أيضا أكثر من عشرين كرامة لبعض الأقطاب الكبار شاهدتها بعينى ، ثم أتبعت ذلك «برسالة» واضحة تثبت بحق صحة التوسل بالأنبياء والمقربين أحياء أو أمواتا ، كما استطردت فى التعرض للموالد ومحاسنها ومثالبها والحكم لها أو عليها ، الى غير ذلك من الموضوعات التى تهم القارىء فى هذا الميدان الدينى الفسيح

ولا سيما فيما يتعلق بالله جل جلاله وما يتعلق بمحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأرجو الله أن أكون قد وفقت فيما كتبت ، كما أرجوه أن يجعل لي القبول في قلوب المؤمنين وأحبـابه المخلصين ، وأن يجعلني من المقبولين عند حضرته والمشمولين برعايته وعنايته لا لأني أدفع الأذى عن أحبابه ، فان دفع الأذى عنهـم واجب على كل مسلم يؤمن بالله واليـوم الآخر ، ولكن لأني معترف بقصوري وتقصيري في هذا السبيل والسلام .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين . والصلاة والسلام على أفضل المرسلين . وامام العالمين ، وعلى آله الطاهرين وخلفائه الراشدين ، وأصحابه أجمعين .

« أما بعد » فان الله تعالى جلت قدرته ، وتعالت حكمته ، اصطفى من عباده رجالا لحضرته، أقامهم فى خدمته ، وحققهم بأخلص عبوديته، ومتعهم بشرف محبته ، اصطفاهم لا ليلتفتوا الى غيره ، ولا ليشتغلوا بأنفسهم عن نفسه ، ولا لتلهيهم الدنيا بزخرفها عن ذكره ، اصطفاهم ليكونوا له أبدا ، وليجعلوه نصب أعينهم سرمدا ، لا تفكير لهم الا فى الثناء عليه ، ولا اعتداد لهم ، واذا قيل لهم كيف ذلك ؟ لا يسعهم الا أن يجيبوا بلا كيف ولا ويتكلمون وهم للحق يناجون، وينامون وهم عن ربهم لايغفلون، ويستيقظون وهم فى طلبه دائبون ، قلوبهم أبدية الحركة بذكره ، وجوارحهم معصومة عن معصيته ، وعيونهم أينما تقلبت لاتقع الا على ما فيه زيادة استبصار ، وبصائرهم مستضيئة بأقدس الأنوار يشاهدون بها عظمة جلال الله الواحد القهار ، الذى لاتدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار ، قائما بنفسه مستويا على عرشه ، استواء مشهودا لهم ، ومعروفا عندهم ، وكما أشار القرآن لهم ، واذا قيل لهم كيف ذلك لا يسعهم الا أن يجيبوا بلا كيف ولا انحصار ، أولئك هم الأبرار المقربون ، وحزب الله المفلحون ، لم ينالوا هذا الفضل من ربهم الا بصدق اتباعهم للشريعة المحمدية ، وصادق تمسكهم بالسنة النبوية ، نالوه باعتصامهم بحبل الله المتين ، واستمساكهم بكتاب الله المبين ووقوفهم أبدا مع مارسمه الصادق الأمين، واختطه لهم هديه المستقيم وكلما كان استمساكهم بكتاب الله تعالى وسنة رسوله على مستوى أعلى وطريق أرفع ، كلما كانت معارفهم الالهية وفيوضاتهم الربانية أعظم وأوسع، وكلما كانت أعمالهم أكثر انطباقا على تعاليم الشرع وأخلاقهم أشد اتصالا

بأخلاق القرآن كلما قرب وجه الشبه بينهم وبين حضرة الرسول الأكبر صلوات الله وسلامه عليه ، ومن شدة التشابه فى الأعمال والتقارب فى الأخلاق قد يقوى وجه الشبه بينهم وبينه فتتجلى حقيقته فى حقيقتهم وتتحلى روحانيتهم بروحانيته ، وأحيانا تبدو روحانيتهم وشعارها المنطبع معها فى حضرتها صورة قدمه الشريف ايذانا بأنهم على قدم وسيرة سيد المرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين — ومن هنا تفاوتت أقدار الرجال وتفاضلت علومهم ومعارفهم وتنوعت مشاربهم وتمايزت قواهم الروحية ، وتباينت قدرهم المعنوية . فكان منهم الأثبت قدما والأوسع علما ومعرفة ، والأعلى مشربا والأقوى روحا ، والأقدر على فعل ما تعجز عنه القوى والقدر ، وكان فيهم القريب من ذلك ومنهم الأشد قربا ، وكان ممن نال قصب السبق فى هذا الميدان الفسيح الأرجاء ، وبلغ الذروة العليا فى هذه الفضائل الروحية ذلك الامام العلوى والسيد الشريف النبوى سيدى وأستاذى (السيد أحمد البدوى) الذى يعد بحق فخر الأمة المحمدية ، والباب المفتوح للحضرة المصطفوية والوارث الجامع للعلوم الربانية ، والمربى الأول فى حياته البرزخية . والمثل الأعلى فى مراعاة آداب الربوبية ، والامام الممتاز فى الولاية الصديقية ، والعبقرى الفذ الذى لم أر مثله ثباتا فى قدم ، واتساعا فى معرفة ، وعلوا فى مشرب . وقوة فى روح وقدرة على فعل الأعاجيب التى يعجز العقل عن تصويرها ، والفهم عن تقديرها فى سماحة وظرف وهمة وشجاعة منقطعة النظير ، ولما كان من سنة الله فى خلقه أن عظماء الرجال وكبار الأبطال لابد أن يعترضهم فى سبيلهم كثيرا من المؤامرات ، وينتشر فى طريقهم سيل من العثرات ، هذا يناصبهم العداء . وهذا يزدريهم ، وهذا يستهزىء بهم ، وهذا يحط من قدرهم ، وكان سيدى أحمد بعظمته الروحية . ومكانته الشخصية . محلا لجريان تلك الألسنة عليه — آثرت أن ألقم المعترضين عليه حجرا يقف فى حلاقيمهم . وأشهر فى وجوههم سيفا مسلولا أدرأ به — فى نحورهم . بما بينت من فضائله وأوضحت من شمائله : فقلت مستعينا بالله متذرعا بعظمته :

مقدمة

فى تربيته البرزخية

اختص الله سيدى أحمد البدوى بهذه الفضائل الروحية لا ليختزنها فى نفسه ، ولا ليحلى بها روحه ولا ليجلى بمزاياها شخصيته . بل لينفع الله بها على يديه العباد ، وليبثها فى الناس بثا كلما وجد لها حملة ورجالا كملة ، أمناء صادقين ، وعلماء ربانيين يحفظون ميثاقه ويحافظون على طريقته ، وهو رضى الله عنه يربيهم على مقتضاها وله فى كل عصر طبقة يرعاها ويتبناها ، سنة جعلها الله له ومزية اختصه الله بها ولن تجد لسنة الله تبديلا — والمزية تقتضى أفضلية نسبية ولا سيما اذا كانت تلك المزية من نوع رفيع ممتاز . خارق لما عليه القدر ، وفوق ما تنتجه القوى ، وكيف لاتقتضى أفضلية لروح جعل الله فى استطاعتها أن تقوم بعد موتها بنفس الوظيفة التى كانت عليها فى حياتها — تربى أولادها وترعاهم وترشدهم وتنبههم من غفلتهم وتأمرهم وتحذرهم وتلقنهم مايناسبهم من أنواع الذكر ، وتعلمهم آداب صلاتهم وواجبات قيامهم ومقادير أعمالهم ، وتوجههم الى ماينبغى أن تقع عليه الطاعة ، ويكون عليه القلب فى الحضرة التى عرفتهم بها ، وأشهدتهم اياها .

وكل هذه الارشادات يحصل العلم بها لهؤلاء الأمناء الصادقين اما بطريق العبارة أو بطريق دلالة الاشارة أو دلالة المفهوم أو غير ذلك من أنواع الدلالات المعروفة على حسب ما يستدعيه المقام ، بل وغير ذلك من أنواع الدلالات الأخرى كطريقة رسم المسائل لهؤلاء الأمناء أو تمثيلها بالرسوم أو التمثيلات التى تدل عليها ، فيفهمون من هذه الرسوم أو التمثيلات ما ترمى اليه وتدل عليه ، ومن هنا لابد أن تكون الفطانة من صفاتهم ، وحدة الذكاء من مميزاتهم ، وهذه الرسوم والتمثيلات ليس لها صحيفة الا سطح الأرض أو سطوح الأحجام وكل ما يقع عليه

البصر أيا كان ، يتبلور دالا عليها كمعبر عنها ، وقد يكون الارشاد بغيرهذا وذاك كطريقة القرع أو ما يشبه القرع كالنقر والغمز لكن لا بالمقرعة ولا بما يشبه المقرعة ، وليست هذه المزية فى تربيته البرزخية مجرد دعوى يدعيها مدع وانما هى دعوى ثابتة بكل ما تثبت به الدعاوى الحقة يشهد بها المبصر ويشاهدها ذوو البصائر النيرة الذين أفاض الله على أصحابها نورا من أنواره القدسية جعل مستقره حاسة الأبصار أيضا يرى بواسطة هذا النور المحسوسات العادية وغير العادية ، سواء أغمض العينين أو لم يغمضها كما يرى النائم بنفس العينين كل ما يعرض له قريبا أو بعيدا حيا أو ميتا وهو لم يفتحهما كل أرباب البصائر فى سائر العصور يشاهدون ذلك . وكل أرباب الفضل من أهل العلم يشهدون بذلك . قال الأستاذ الشعرانى وممن بلغنا أنه يربى أولاده وهو فى البرزخ سيدى أحمد البدوى لكن ذلك خاص بمريده الصادق كسيدى محمد الشناوى فانى زرت معه سيدى أحمد فشاوره الشيخ فى سفره الى مصر ، فقال له سيدى أحمد « سافر وتوكل على الله » ، هذا كلام سمعته بأذنى الظاهرة ، وليس قول الأستاذ الشعرانى أن سيدى أحمد يربى أولاده وهو فى البرزخ ، وقوله انه سمع كلامه بأذنه الظاهرة يصرح لتلميذ بالسفر الى القاهرة الا شهادة واحدة من آلاف الشهادات التى تقع للفرد الواحد من طبقة واحدة فى عصر واحد ممن تولى سيدى أحمد تربيتهم بنفسه، ولو أتيح أو أبيح لتلك الطبقات المتكاثرة المبثة فى القرون السبعة المتقدمة. أن يفحصوا عما سمعوا عنه ويشهدوا بما علموا منه وتلقوا عنه لضاقت عن سردها الموسوعات، ولاكتظت بعجائبها المدونات، لأن الحالة فى التربية الروحية تتطلب كل ما تتطلبه التربية الظاهرية من أخذ ورد ونصح وتوجيه ، بل ان التربية الروحية أوسع مدى وأعمق غورا لأنها كما تقوم على محاسبة المربى لتلميذه على أعمال الجوارح الظاهرة وأعماله الباطنة تقوم أيضا على المحاسبة على الخواطر النفسية التى تتوارد على النفس فتصرفها عن مراقبة واستحضار مقصودها وهو الحق تبارك وتعالى ، حتى لو فرض وأوقع مثلا سجوده كاملا بطمأنيناته وتسبيحاته بدون أن يستحضر فى نفسه جلال وجه ربه تبارك وتعالى كأنه يراه ، لقرعت رأسه أثناء سجوده بما يكاد يذهله تنبيها على ذلك الخطأ الفاحش الأثيم ، وليس

هذا النوع من التربية التى امتاز بها سيدى أحمد بدعا فى الاسلام ، فقديما ربى رسول الله صلى الله عليه وسلم أويسا القرنى تربية روحية ولم يتلاقيا وهى معروفة فى لسان القوم بالتربية الأويسية نسبة الى أويس القرنى رضى الله عنه ، وطريقته فى تربيته البرزخية هى بعينها طريقته التى كان يتبعها فى حياته الدنيوية متمشية مع نصوص القرآن ، وأحكام القرآن لايمكن أن ينصرف عن ذلك أو يحيد . ومما لفت نظرى الى أن عنايته منصرفة الى القرآن والعمل بنصوصه ما لمسته منه فى واقعة حال صادفتنى فى الحياة وذلك أنه اعترضتنى فى الحياة مسألة ضاقت نفسى بها وعجزت تماما عن حلها ، وكان لهذه المسألة قصة طريفة استغرقت وقائعها أكثر من أربعين عاما ، وتتلخص هذه الوقائع فى أنى قضيت نصف هذه المدة تقريبا فى تلاوة أدعية وأذكار خاصة معروفة عند القوم وقضيت النصف الآخر من هذه المدة فى تلاوة القرآن الكريم كوسيلة الى زيادة التقرب الى الله تعالى ، وكان لذلك الذكر وهذه التلاوة آثارهما وتنائجهما المترتبة عليهما، غير أنى عندما حاولت أن أسير على مقتضى النتيجتين ، فوجئت بأن نظام السلوك يقضى بأن يكون السير اما على مقتضى النتيجة الأولى ، واما على مقتضى النتيجة الثانية لأن القلب لايتسع الا لنتيجة واحدة فلا بد للنتيجتين معا من رجل يحمل قلبين ، أو رجل يحمل قلبا واحدا صنعته قدرة تجمع بين الثلج والنار فى اناء واحد ، كانت هذه أقسى مفاجأة عرفتها فى حياتى لأن كلا من النتيجتين بذلت فى سبيلها الكثير من جهدى وطاقتى ولأن كل واحدة منهما تبذل فى سبيلها الروح نفسها ، تنازعتنى بعد ذلك الآراء وتجاذبتنى الأهواء فوقفت فى مفترق الطرق ، وأنا لا أقبل أن أختار ، ولا أن أنحرف ذات اليمين أو ذات اليسار ، أسائل نفسى هل يتطور قلبى الى مخلوق يجمع بين الثلج والنار، وهنا أسمع سيدىأحمد البدوى يقول: « القرآن القرآن » يردد هذا اللفظ مرارا وتكرارا ، لماذا ينادى هذا النداء ويؤكد هذا التأكيد ؟ لأن القرآن متمسكه ، ولأنه قدوته وعمدته ، ولأنه كان يعلن فى حياته الدنيوية أن طريقته تدور على الكتاب والسنة . وهو كذلك فى حياته البرزخية لايتحول عن ذلك ولايحيد . وقد بلغ من اعتصامه بكتاب الله أن جعل حزبه الكبير مجموعة آيات محكمات افتتحها بأم القرآن ، وأتبعها

بجميع آيات التوحيد الخالص التى ذكرت فى القرآن فى بضع وثلاثين آية والتى تشهد بأن لا اله الا الله .

السبب فى كتابة هذه الرسالة

بينما أنا سائر فى الطريق حول المسجد الأحمدى اذ وقع بصرى على كتاب عند بعض باعة الصحف عنوانه « السيد البدوى » فتناولت هذا هذا الكتاب ومررت مرورا سريعا عنى بعض محتوياته، ففاجأتنى عبارات خارجة عن الأصول المرعية فى ألسنة الكتاب ، ومن هذه العبارات قول حضرة الكاتب ويدعى « محمود أبو ريه » :

السيد البدوى ليس بسيد وليس فى الاسلام سيادة دينية لأحد ولا لمحمد صلوات الله وسلامه عليه . هكذا يسخر هذا الكاتب بالبدوى عماد بيت النبوة ، وعلى رأسه امام العالمين صلى الله عليه وسلم ، ويتجاهل أقدار الرجال الذين أنقذونا من الشرك وعبادة الأصنام ، وأدخلونا فى الاسلام ويسوقوننا الى معرفة ربهم سوقا فيحاول أن يجردهم من ثياب الشرف والسيادة التى ألبسهم الله اياها واختصهم بها وينسى مع ذلك شكر نعمة الله التى غمرته من فيض هذا السبب الكريم ، ثم سرت فى قراءتى قليلا ، فاذا هو يروى أحاديث العامة يسوقها كأنها براهين قاطعة وأدلة ساطعة، ويرتب عليها نتائج خرساء عمياء باطلة أساسها تلك الأدلة الخرافية التى استقاها من أفواه العوام وغايتها التهجين والتهوين من شأن سيدى أحمد البدوى، بهذا المرور السريع لم أستبن عقيدة هذا الكاتب المستهتر ، كما انى لم أسمع من قبل باسمه الذى كتبه مبتورا عن أى تعريف ، فأخذت أبحث عن السبب فى هذا التجنى الأثيم الذى شعرت منه بأن هناك عداوة مبيتة بين هذا الكاتب وبين سيدى أحمد البدوى ، أو ثأرا قديما أورث فى نفسه حقدا دفينا أكل قلبه فأخرجه عن صوابه ، فقلبت الكتاب من أوله فاذا هو يستهله بالعقيدة التى مجتها الأنفس ونبذها العقلاء وأهملوها فى جملة المهملات ، عقيدة انكار كرامات الأولياء ، وانكار ما أجمع عليه السلف والخلف فى الاسلام، وشهد به سواد الأمة وشاهدوه ودونوه وأثبته القرآن فى أكثر من موضع ،

-- اذ يقول حضرة الكاتب ، ان الله لايخرق العادة لأحد من خلقه الا لاظهار معجزة على يد أحد من رسله ، وبعد أن وقفت على هذه العقيدة الضـالة تأملت قليلا فيما كتبه فاذا هو يتبعها بعقيـدة أخرى أدهى وأضل ، عقيدة التحلل من الأحكام الدينية والتخلى عن الشرائع الالهية ، اذ يقول حضرته ان الله قد جعل أمر الدنيا للناس ليعملوا فيها بعقولهم وتفكيرهم وادراكهم وكسبهم وليتعاون بعضهم مع بعض على ما يقضى به الاجتماع البشرى من الأسباب العامة بينهم على أن يكون ذلك كله فى نطاق من العدل والحرية والمساواة وما اليها مما يحفظ النظام العام بينهم ثم يقول حضرته بعد ذلك هذا هو الدين القويم الذى بينه محمد فى رسالته بيـانا صريحـا بحديث صحيح أرشد به الناس أجمعين ليسيروا على منهاجه فىكل زمان ومكان ، فقال عليه الصلاة والسلام أنتم أعلم بأمور دنياكم ثم يقـول حضرته ومن ينحرف عن هذا الطريق المستقيم فانه ولا ريب يضل ضـلالا بعيدا انتهى كلامه ، وكان على حضرته أن يستر عن الناس عقائده الضالة فلا يجاهر بها فى مستهل كتابه ليوهم الناس أن ما اختلقه من أباطيل فى السيد البدوى ليس من زرع هذا الوادى ولا من نباته الخبيث ، ولكنه قد فاته حسن التدبير وخانه العقل وخذله التفكير ، فما تقول أيها القارىء فى مسلم يدعى على الله افكا وزورا انه قد جعل أمر الدنيا للنـاس وأطلقهم فيهـا اطلاقا يعملون ما يشاءون على أن يكون أساس أعمالهم على حسب ما تقضى به عقولهم ويوحى به تفكيرهم ويتعاونون كما يشاءون على أن يكون أساس تعاونهم على حسب الأسباب العامة التى يقضى بها المجتمع ، يعنى أنهم يعملون ويتعاونون بلا ضابط من شرع ولا رابط من دين ، ويدعى على رسوله كذبا أنه قد بين ذلك بيانا صريحا بحديث : « أنتم أعلم بأمـور دنياكم » . ويتمم فريته ويقول : انه عليه الصلاة والسلام أرشـد الناس بهـذا الحديث ليسيروا على منهاجه فى كل زمان وفى كل مكان .

ويختتم فريتـه بأسوأ ختام فيقول : ان هذا هو الدين القويم ومن ينحرف عن ذلك فقد ضل ضلالا بعيدا ، هل مر عليك فى تاريخ الاسلام من أول نشأته الى تاريخ هذا الكاتب فى السيد البدوى أن مسلما واحدا لا أقول عالما ولا متعلما بل أقول مسلما ولو أميا اعتدى على رسول الله صلى

الله عليه وسلم وقال انه أرشد الناس بحديث : « أنتم أعلم بأمور دنياكم » ليرسم لهم طريقة جديدة فى التشريع الاسلامى، يسيرون على منهاجها فى كل زمان ومكان على حسب ميولهم وأهوائهم غير الطريقة التى شرعها الله له من قبل، وسار على منهاجها فى صدر الاسلام ، ومعلوم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يترك بابا من أبواب التشريع الاسلامى سواء ما كان منه متعلقا بشئون الدنيا أو بشئون الآخرة الا وله فيه حكم شرعى مأخوذ من حديث له عليه الصلاة والسلام ، فكيف يتصور أن ينقض ما بناه ويرجع عما أمره الله ، وكيف يتصور أن يتراجع أمام أصحابه وغير أصحابه ويعدل عن رسالته فى التشريع لأنهم أعلم منه وكيف يبيح لهم أن يكونوا طلقاء أحرارا فى مزارعتهم ومخابرتهم ومساقاتهم وعقود شركاتهم وتعاملهم بالربا وعقود الاجازات ورهن العقارات وهو نفسه لم يترك بابا واحدا من أبوابها الا وقد بين لهم فيه حكما وشرع لهم فيه شرعا ان لم يعرف معنى الفوضى العقلية فى فهم العقائد الدينية فليقرأها فى كلام هذا الكاتب — وانى لأعجب كيف يفترى على الله ورسوله معا فى دعوى ودليلها ، يفترى على الله فى الدعوى، ويفترى على رسوله فى الدليل ، يفترى على الله فى دعوى أنه قد جعل أمر الدنيا للناس ليعملوا فيها على ما تقضى به عقولهم وبدون أن يتقيدوا بأحكامه وشرائعه ، ويفترى على رسوله فى أنه قد ساق حديث أنتم أعلم بأمر دنياكم لبيان هذه الدعوى المفتراه ، أى لبيان أنهم لايسيرون فى أمر دنياهم الا وراء عقولهم ومايوحى به تفكيرهم ، وبدون أن يرجعوا الى أحكام الله وشرائع الله لأنهم أعلم بأمور دنياهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم كبرت كلمة تخرج من أفواههم ان يقولون الا كذبا . ان هذا الكاتب لاعذر له فى افترائه على الله ورسوله وانما هو يتعمد أن يتلاعب بالأحكام الشرعية والشرائع السماوية ، ويحاول أن يسير فيها على حسب ميوله المنحرفة ونزعاته الضالة ، قاطعا النظر عن كل ما استنبطه الأئمة من أحكام واستخرجه العلماء الراسخون من تشريع . ثم يقول عن هذا التلاعب انه هو الدين القويم الذى بينه محمد فى رسالته بيانا صريحا بحديث أنتم أعلم بأمر دنياكم . وانى لأبين له الوضع الصحيح لوقائع هذا الحديث فلعله يثوب الى رشده

ويرجع عن غيه ويعترف بالحق وينخرط فى سلك القائمين على نصرته ، ان وقائع هذا الحديث تنحصر فى أن النبى صلى الله عليه وسلم مر فى طريقه بالمدينة على قوم يؤبرون نخلهم « يلقحونه » فقال ما أظن يغنى ذلك شيئا ، فهل قوله عليه الصلاة والسلام هذا اخبار منه بأن التلقيح لايفيد كاخباراته التى كان يسوقها فى تعليم أصحابه كل ما يحتاجون اليه فى شئونهم الدنيوية والأخروية أو هو ظن منه مقول بلفظ الظن حيث قال لهم ما أظن يغنى ذلك شيئا ، فاذا كان ظنا ، فان جاء الواقع موافقا لما ظنه فالأمر ظاهر . وان لم يجيء الواقع موافقا لما ظنه لم يخرج عن كونه ظنا لم يتحقق .

ولما تركوا النخل بدون تلقيح وخرج شيصا سألوه عليه الصلاة والسلام عن ذلك فبين لهم الحقيقة وقال انما كان ظنا منى وليس اخبارا عن الله وهنا اختلفت روايات مسلم الذى انفرد عن باقى الكتب الستة الصحيحة برواية هذا الحديث ، اختلفت رواياته فيما قاله لهم عليه الصلاة والسلام ففى رواية له أنه قال لهم أنتم أعلم بأمر دنياكم وهنا يجب أن نقف قليلا لنفهم ما يعنيه الرسول عليه الصلاة والسلام من ذكر هذه الجملة لهم — هل يفهم منها أن هؤلاء المؤبرين للنخيل أعلم منه فى خصوص هذا الأمر الذى ظنه وظهر خلافه أو أعلم منه فى كل ما أخبرهم به من أمور الدنيا التى ذكر فيها عشرات الآلاف من أحاديثه النبوية ، وعشرات الآلاف من الأحكام الشرعية التى انعقدت لها أبواب المعاملات فى الفقه الاسلامى — يسيء الى نفسه ويسيء الى الحقيقة ويسيء الى الرسول ويرمى نفسه بالفوضى العقلية فى فهم العقائد الدينية من يفهم أن الرسول يريد أن هؤلاء المؤبرين للنخيل أعلم من الرسول فى كل شيء من أمور الدنيا ، وكيف يفهم هذا المعترض ذلك الفهم وأمام عينيه عشرات الآلاف من القرائن الصارفة عن ارادة هذا المعنى — واذا ثبت أنه عليه الصلاة والسلام يريد أنهم أعلم فيما ظنه وظهر خلافه فهل يسوغ لعاقل أن يأخذ قوله عليه الصلاة والسلام أنتم أعلم فيما ظننته وظهر خلافه ويجعله دليلا على أن الله جعل أمر الدنيا للناس ليعملوا فيها بعقولهم وأهوائهم لأن النبى صلى الله عليه وسلم قال للمؤبرين للنخيل أنتم أعلم فيما

ظننته وظهر خلافه ، اذا كان يسوغ ذلك فى نظر هذا الكاتب فقولوا على العلم والاسلام السلام ، ولعمر الحق أن حديث «أنتم أعلم بأمر دنياكم» فى نظرى أكبر سند وأقوى برهان على أن هذا القرآن من عند الله وأوضح دليل على صدق الرسول وأنه لا ينطق عن الهوى لأنه لو كان القرآن من عند غير الله أى من عند النبى لما خفيت عنه مسألة تأبير النخيل المعروفة لكل أحد فخفاء هذه المسألة عليه دليل واضح على أن القرآن من عند الله لا من عند نفسه فان من عنده علوم القرآن التى لا نهاية لها لايمكن لها أن تخفى عليه مسألة واضحة كهذه ، فهو الزام للخصم بأقوى حجة وأوضح برهان وكأن الله تبارك وتعالى لم يبين لرسوله ما ظنه وظهر خلافه لأنه كان ظنا منه وليس اخبارا فلهذا لم يبين له حقيقة الأمر ولم يبينه له أيضا ليلزم خصومه بهذا الالزام الواضح المحسوس فان من تخفى عليه مسألة تأبير النخيل لايمكن أن تكون علوم القرآن منبثقة منه .

السيادة الدينية فى الاسلام

علمت أن هذا المعترض يذهب الى أنه ليس فى الاسلام سيادة دينية لأحد ولا لمحمد صلوات الله وسلامه عليه وانما ظهرت هذه السيادة كما يتول حضرته فى العصور المتأخرة . ونحن لانقول له ان السيادة الدينية أثبتها القرآن فى نفسه ونادت بها الملائكة «يازكريا ان الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله « وسيدا » وحصورا ونبيا من الصالحين » ، ولا نقول ان السيادة الدينية أثبتها رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه تحدثا بنعمة الله تعالى فقال أنا سيد ولد آدم ولافخر ، ولانقول له ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ثبت عنه أنه قال للانصار قوموا لسيدكم ، ولا نقول له ان الامام الشافعى رضى الله عنه ينادى هو وأصحابه وكل طبقات الشافعية ينادون فى صلاتهم من القرن الثانى الى يومنا هذا فى المساجد والبيوت وكل بقاع الدنيا اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد ولا نقول له ان لفظ السيد اذ ذكر بين الرؤساء والعلماء والكبراء وأرباب الرأى والمثقفين والشيوخ والشباب والنساء والأطفال لا ينصرف هذا اللفظ الا الى السيد البدوى ويكفى فى السيادة الدينية له هذا الاجماع فكل هذه الطوائف

لا يجتمعون على خطأ ، لانقول له كل هذا لنقنعه أن السيادة الدينية ثابتة فى الاسلام وأولى بها وأحق رسول الاسلام ، وثابتة أيضا للسيد أحمد البدوى باجماع الرأى العام لا نقول له كل ذلك لنقنعه وانما نقول له اذا كنت لا تبالى بخروجك على الرأى العام ولا تستحى من ذكر اسم رسول الله صلى الله عليه وسلم مجردا عن السيادة والشرف .. فاصنع ما شئت .

حكم منكر الكرامة :

يرى هذا الكاتب أن الكرامات شعوذات وأباطيل والعلم الحديث ينفر منها والعقل يمقتها ولا يصدقها فهو ينفى ظهور الخوارق مطلقا على يد أحد غير الرسل ، ويخالف ما أجمع عليه السلف والخلف وشهد به سواد الأمة بعد أن شاهدوه وأثبتوه وتناقلوه ودونوه فيما يعجز عن حمله ونحن نقول له ان الكرامة أثبتها القرآن نفسه فى محكم آياته ، وقد أجمع العلماء على أن من ينكر القرآن أو شيئا من آياته المحكمة أو المتشابهة أو حكما دلت عليه آية محكمة فهو كافر — وثبوت الكرامة دلت عليه آيات محكمات فى أكثر من موضع من القرآن فى قصة آصف ومريم وأصحاب الكهف وغيرهم فأخذت حكما ثابتا يجرى على قياس منطقى صحيح المقدمات مسلم النتيجة وهو أن الكرامة ثابتة بنصوص القرآن المحكمة وكل ما هو ثابت بنصوص القرآن المحكمة يكفر منكره ، فكيف يقول المعترض بعد هذا أن الكرامات شعوذات وأباطيل والعلم الصحيح ينفر منها والعقل يمقتها ولا يصدقها وكيف يقول فى مستهل كتابه ان الله لا يخرق العادة لأحد من خلقه الا لاظهار معجزة على يد أحد من رسله .

فشل المعترض فى حججه الواهية :

علمت المهاوى التى سقط فيها المعترض واطلعت على عقائده الفاسدة التى تقوده من قماطه وتدفعه الى أسوأ مصير — قرأت هذه العقائد فى صفحتين من أول كتابه ثم قرأت صفحة ثالثة ورابعة وخامسة فاذا هى صفحات سوداء جرداء سودها بالجهل قلمه وجردها عن الآداب الانسانية عدم

الحياء عنده — أخذ يجمع فيها من الخرافات كل ساقطة . ويحشو فيها من كلمات العجائز كل شائنه ويرويها للناس كأنها مقاطع اليقين ليتخذمنهاسلما للطعن وبابا للقدح فى أبطال الاسلام وعباقرة المسلمين — ومالسيدالبدوى ولعجوز شمطاء فهمت بجهلهاأوقالت علىحسب ظنها — أنزيارةسيدىأحمد البدوى سبع مرات تعدل حجة مقبولة أو تعدل سبع حجات متقبلات — وما له رضى الله عنه ولكذاب وضاع افترى على الله قوله « الملك ملكى وصرفت فيه أحمد البدوى » وقال عنه أنه حديث قدسى — فهل يليق برجل عاقل أن يتصيد هذا الكلام وأمثاله من أفواه العجائز وأقوال الوضاعين ويجعل منه أداة للطعن فى قادة المسلمين وسندا يحاجج به ويحاول أن يحط بسببه من هذه العظمة التى أرسى الله قواعدها وأقام دعائمها وباركها حتى عمت الخافقين — ان رجلا لا يملك دليلا واحدا يستند اليه فى طعنه لا يعدو أن يكونجاهلا أو معتوها ومثلهذاجدير بأنيهمل أمرهوينبذ قولهويرمى به فى زوايا المهملات ، وانى لأعجب كيف يتلقى هذه الخرافات بالقبول ويجعلها سندا له وهو فى الوقت نفسه لا يتلقى أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم بالقبول حتى ولو ثبتت فى الكتب الستة الصحيحة — ان الرجل العاقل اذا سمع طفلا يسب رجلا سأله لماذا تسبه فاذا ذكر له سببا معقولا عذره واذا لم يذكر له سببا معقولا مقته ولعنه . وها نحن أولاء نسمع سبا وهذيانا فنسأل لماذا كل هذا ونبحث عن السبب فلا نجد سببا فلا يسعنا الا أن نمقت ونلعن من يسب الناس عدوا بغير دليل .

السر فى أن ملايين البشر تتزاحم على زيارة سيدى احمد البدوى :

ان هذا المعترض لو علم البواعث الحقيقية على ارتباط القلوب بسيدى أحمد ، والأسباب التى تحمل الناس على اعتقادهم فيه لأراح واستراح ، فليعلم أن هذه البواعث ليست من عمل الناس ولا هى من قوة نفوذ سيدى أحمد ولا من عمل يده ولا هى نتيجة ظاهرة أو مستترة استطاعت أن تجمع ملايين البشر على حبه واعتقاده على رغم تفرقهم فى أنحاء الدنيا وأرجاء

المعمورة ولكنها آثار أنوار الذات المقدسة التى امتلأ بها قلب هذا الولى الكبير وامتزجت بها روحه وانمحت فيها هويته فأنـوار معرفة الحق اذا قذف الله بها فى قلب ولى انفتحت لهذا الولى القلوب النيرة ، وأجمعت على محبته واحترامه الا من طرد ربك وهرعت اليه وأقبلت بكليتها عليه حنينا من نور ايمانها الى نور أقوى اضاءة وأقرب الى أصله فهو تواصل قهرى وتجاذب روحى عبر عنه الامام فخر الدين الرازى فى تفسيره الكبير بقوله «ان نور معرفة الله مخدوم ففى أى قلب حضر صار ذلك الانسان مخدوما» .
وقال الامام أيضا : « ان الكمال محبوب لذاته لالغيره وكل من اتصف بصفة الكمال صار محبوبا لكل أحد » ثم قال «ولا كمال للعبد أشرف وأغلى من كونه مستغرق القلب بمعرفة الله ، مستغرق اللسـان بذكر الله ، مستغرق الجوارح والأعضاء بعبوديته ، فاذا ظهر على العبد أمر من هذا الباب صارت الألسنة جارية بمدحه والقلوب مجبـولة على حبـه ، وكلما كانت هـذه الصـفات أكثر كلمـا كانت هذه المحبـة أكثر » وانتهى كلامه ، وجميع المـؤرخين وكل النـاس أجمعـوا على أن سـيدى أحمـد البـدوى قد قضى حياته الطويلة منذ نعومة أظفاره الى آخر لحظة من حياته مستغرق القلب بمعرفة الله مستغرق الجوارح بعبوديته يغترف من موارد أنوار الذات ويقتبس من معينها ويستمد من فيوضاتهـا لاينثنى عن ذلك ولا يحيـد فمشاهداته كانت دائمية وجمعيته بالحق كانت أبدية كمـا يشـهد بذلك ملازمته للسطوح ومداومته الأحداق ببصره نحو السماء وملازمته للثامين ، فكان يلازم السطوح السنين العديدة لا ليستنشق الهواء ولكن فرارا من الخلطاء لئلا تحجب الأغيار صفاء الأنوار عن شغاف بصيرته ، وكان يحدق ببصره نحو السماء لا لينظر فى النجوم ولكن ليطالع تجليات الحق ويتابع أنوار الذات ومن كثرة هذه المطالعة انطبعت على محياه هذه الأنوار وتركت أثرا ظاهرا يقرؤه كل واحد ، فكان يستر وجهه باللثامين ليحجب عن الأعين آثار تلك الأنوار وهذا أمر معروف عند أهل هذه المشاهد ومشاهد لهم ، ونحن نشاهد مثله فى بعض المعادن اذا أدنيت من المصباح فانها على حجريتها تتلألأ فى الظلام ، وبهذا يظهر مدحه ونداؤه بأبى اللثامين وكأن لثاما واحدا كان ينم عنه فلهذا التزم اللثامين زيادة فى الاحتجاب عن أعين الناظرين .

من أجل ذلك توافدت ملايين البشر لزيارته مما لا تشهد مثله فى أى بقعة من بقاع العالم ولاسيما فى موالده وليحفزهم ذلك على اتهاج سيرته والأخذ بمبادئه فى الطاعة وسلوك سبيله فى المعرفة — وليشهدوا للاسلام بالصحة ولرسول الاسلام بالصدق — وليعرفوا كيف يخرج الاسلام أبطالا ربانيين وعلماء محمديين ، وما ثمرة الديانات اذا لم تثمر مثل هذا الثمر وتنتج مثل هذا الانتاج ، ومن أجل ذلك ألقوا فى صندوق نذره مالم يلق عشر معشاره فى أى صندوق آخر من صناديق النذور ، ومن أجل ذلك وقفوا عليه من الضياع والعقار ما لم يوقف مثله أو بعضه على غيره — ومن أجل ذلك قدموا له الهدايا واختصوا بها فقراءه والمساكين من حوله ، ومن اختصهم الله بالبلاء والعجز والعمى والمصائب التى عافاك الله منها أيها المعترض ولو شاء لأمسك لسانك عن الطعن فى أحبابه وأطلقه بالثناء والحمد على من تستدر الرحمات ببركتهم من أحبابه المقربين — وما كان لهذا المعترض أن يزج بنفسه فى التكلم عن شخصية ابدوى وهو لا يعرف عنها الا مثل ما يعرف الأكمه الذى ولد أعمى عن قرص الشمس اذا وصف له بأنه جسم مستدير كالرغيف ، فخيل الى هذا الأكمه أن الشمس جسم ضئيل يمكن تناوله بسهولة وهضمه بسهولة فأخذ ذلك الأعمى يهذى ويقول اسمعوا أيها الناس لا تصدقوا أن الشمس جسم نورانى ما دامت جسما مستديرا كالرغيف ، ان هذا الضوء الذى تزعمون أنه منبعث منها خيالات وأوهام انها لاتنير لكم الطريق ولا تهديكم السبل ، انها تضلكم ولا تنفعكم اسمعوا أنا النذير العريان انكم ان اعتقدتم أن فيها أى فائدة أو صدقتكم أن فيها أى منفعة فسيوقعكم هذا الاعتقاد فى عبادتها من دون الله ، وسيجركم ذلك الى الاشراك لا محالة ، فاستمتاعكم بأشعتها اشراك ، واعترافكم لها بأى فائدة اشراك ، وطلبكم لأى منفعة من منافعها اشراك وما هى الا جسم مستدير كالرغيف اسمعوا فأنا الأعمى الموحد وأنتم ياذوى الأبصار والبصائر جميعا مشركون — وليس أدل على عدم معرفته بالأولياء مما كتبه هو بنفسه فى كتابه (السيد البدوى) وهو أنه أراد أن يعرف ولى الله فعقد لذلك فصلا من فصوله العجيبة عنوانه بالحروف العريضة « من هو الولى» ثم افتتحه بما يأتى . قال تعالى: «أم اتخذوا من دون الله أولياء

فالله هو الولى » . ثم اختتمه بقوله : ونختم قولنا بقوله تعالى : « ان وليى الله الذى نزل الكتاب » .

وانى لأعجب من خلط هذا المعترض الذى يخلط بين أولياء الله وأولياء الناس ، ولا يعرف الفرق بين ولى الله وولى الناس ، فيذكر فى تعريف ولى الله ولى الناس ولا يميز الفرق بين الوليين — والفرق بين الوليين أن ولى الناس هو الله ورسوله والمؤمنون وليس لمن خالفهم فى دينهم عليهم ولاية أمامهم فبعضهم أوياء بعض قال تعالى: «انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا » . ولا يذكر ولى الناس فى القرآن الا مضافا للناس نحو قوله تعالى : «ان وليى الله» فأضاف ولايته عليه الصلاة والسلام الى نفسه ونحو قوله (انما وليكم الله) فأضاف تبارك وتعالى ولايته الى عباده المؤمنين ، وقد يذكر ولى الناس غير مضاف للناس — ولكن المعنى على الاضافة للناس نحو مالهم من دونه من ولى أى ولى لهم — أما ولى الله فلا يذكر فى القرآن الا مضافا لله نحو «ألا ان أولياء الله» — اذا علمت ما تقدم فاعلم أن هذا المعترض قد خلط بين ولى الله وولى الناس فذكر فى تعريف ولى الله وقوله «ان وليى الله» ، وقوله فالله هو الولى مع أنقوله (فالله هو الولى) وقوله « ان وليى الله » فى بيان ولى الناس لا فى بيان ولى الله فكيف يجعل هذا فى تعريف ذاك — فحضرة المعترض يعرف ولى الله بما يباينه ويغايره — ولعل هذا من العلم الحديث الذى ينفر من الكرامات ويسقتها ولا يصدقها — واذا كان حكم على البدوى بأنه درويش ضئيل الشخصية فانى أترك للقارىء أن يحكم على شخصية هذا المعترض من الناحية الدينية والعقلية والعلمية والأدبية بما سمعه من عقائده وفهمه من علمه الحديث أما أنا فأدعو الله أن يحفظ عليه الايمان والعقل ويبصره بالعلم ويمسك لسانه عن السخرية بآل بيت رسول الله الطاهرين وعلى رأسهم امام العالمين .

شخصية السيد البدوى

تعرف، شخصية الرجل بقوة عزيمته ، واعتزازه بنفسه . وتفانيه فى التمسك بمبادئه الحقة ، وبذل روحه وراحته فى سبيل الحصول على غايته الشريفة ، ووصوله الى قمة المجد بعمله ، وصموده فى مواجهة الشدائد بمفرده ، وقوة جلده على تحمل شظف الحياة وتكاليفها الشاقة عن طمأنينة ويقين ، وحدبه على الضعفاء ، وعطفه على الفقراء وتبوئه فى النفوس أسمى منزلة بقوة شخصيته، واختراقه لحجب المستقبل ببعد نظره، ومساهمته فى تثبيت دعائم الحق وتقويم المعوج فى أمته ، وتعرف أيضا بعلو الهمة ، ونبل المقصد ، وطهارة النفس وتعدى النفع ، وكل هذه الصفات يلمسها المتتبع بامعان لصفات سيدى أحمد البدوى يلمسها متمثلة بكل معانيها فى تاريخه اللامع واحدة واحدة ولو شئنا أن نفرد لهذه الخصال الشريفة فصولا مستقلة ، نوضح فيها بالأدلة والوقائع التاريخية كل خصلة منها لفعلنا ذلك . ولكنا نكتفى ببعض الأمثلة حذرا من التطويل .

قوة عزيمته :

عنوان شخصية الرجل قوة عزيمته فالرجل القوى العزم هو الذى لايعرف معنى هوادة ولا لين ولا يعترف باعتراض أى مشكلة من مشاكل الحياة أمامه مهما كانت وكيفما كانت عظيمة حتى يفوز ببغيته ويصل الى غايته وقد تصل به قوة العزيمة الى بذل روحه وراحته فى سبيل الحصول على غايته الشريفة ، ومن يمعن النظر فى سلوك سيدى أحمد البدوى يجد أنه بصدق عزيمته كأنه يسابق ركب الحياة ليسبقه ويناهض متن الوجود ليعلوه، سبعون عاما من حياته يقضيها كلها فى طلب غاية واحدة وحاجة واحدة يقوم لها الليل ويصوم لها النهار . ويقطع لذيذ الطعام، ويمتنع لأجلها عن

الكلام ، ويفنى فى سبيلها حواسه وجوارحه ، فتتوقد عيناه فى طلبه كالجمر وتلتهب أحشاؤه من الشوق اليها حتى يصبح مستغيثا وينادى مستجيرا ، ويقيم على ضيم فى سبيلها عشرات السنين بين عشائر غير عشيرته ، وأهل غير ذوى قرباه ، يهيم فى طلبها . ولا يتحول الى غيرها ، بين قائم وساجد وذكر لها مستديم ، حتى‌تحولت نبضات القلب اللا ارادية الى نبضات ارادية ، تنطق بذكر الله وتتوالى فى سرعة البرق وخفة الريح مرددة الله ... الله ، حتى غلبت تلك النبضات على ذكر اللسان وشقشقة البيان ، فأى عزيمة هذه وعلى أى أى شىء تدل ، واذا كانت العزائم تعبر عن أقدار الرجال فجدير بهذه العزيمة أن تضرب مثلا أعلى فى علو القدر وقوة الشخصية وعلو الهمة وانقطاع النظير .

اعتزازه بنفسه

كان رضى الله عنه يعتز بنفسه أيما اعتزاز ولا يعول الا عليها فى بلوغ أهدافه وفى سبيل الوصول الى غايته . ويؤثر عنه أنه عرضت عليه مفاتيح الشام والعراق من سيدى أحمد الرفاعى ومن سيدى عبد القادر الجيلانى عرضا روحيا فأبى ذلك وقال كلمته المشهورة أنا منكما وأنا لا آخذ المفتاح الا من يد الفتاح ، قال هذا اعتزازا بنفسه وتجنبا لأن يكون تابعا لغيره بأى نوع من أنواع التبعية ولو كان فى تلك التبعية تسلم الزعامة الدينية فى تلك الأصقاع ، لأن نفسه وثابة الى العلا ، طموحة الى غاية لانهائية ، فهى تبغى الكمال المطلق ، والمعرفة المطلقة ، والزعامة المطلقة ، فلا تأخذ المفتاح الا من يد الفتاح ، وقد منحه الله ما أراد . وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم .

وكبار الأولياء يرون من واجب قيامهم بالدعوة الى ربهم أن يعرضوا طريقهم على كل من يرون فيه استعدادا لأن يشرب من منهلهم ويقتبس من قبسهم سواء كانوا أحياء أو أمواتا ونشاهد من بعض الأولياء من يحظر على مريديه مقابلتهم لغيرهم ونشاهد بعضا آخر يطلق العنان لمريديه فيبيح لمن يرى منهلا أعذب من مورده أن يرده . ويبالغ بعض آخر فيحظر مقابلة الأحياء وزيارة الأموات ويستثنى بعضهم من هذا الحظر آل بيت رسول الله

الأقربين ، نقول هذا ليعلم أن مقابلة الرفاعى للبدوى كانت روحية وكذلك مقابلة الجيلانى له أيضا وأن عرضهما عليه طريقهما أمر معروف عند القوم ومفروغ منه وأنه كان عرضا روحيا .

نفوذ بصـــيرته وغزارة علمه
فى الشريعة والحقيقة :

كثر الحديث عن سيدى أحمد البدوى وعن حاله الذى يتزايد يوما بعد يوم حتى بلغ الحـديث مسامع شـيخ الاسـلام الكبير تقى الدين أبى الفتح بن محمد بن على بن دقيق العيد القوصى حامل لواء العلم فى عصره فاستنهضه هذا الحديث للقيام بزيارته بطنطا ، ولـكنه تريث فى الأمر فأحب أن يستطلع حقيقة أمره قبل أن يسافر هو بنفسه فأرسل الى الشيخ عبد العزيز الدرينى يقول له توجه الى السيد أحمد البدوى واسأله عن العلم ثم اكتب لى تقريرا عن جميع مشاهداتك التى تشهدها منه فتوجه الشيخ عبدالعزيزالىطنطا وأخذ معه كتابايسمىكتاب الشجرةليمتحنهفيهوهو يشتمل على فن الحديث والفقه وبعض الفنون الأخرى، وقابل فى طنطا أول من قابل قاضيها الشرعى وكان يدعى علاء الدين وأخبره بأن شيخ الاسلام أرسله ليستطلع حالة السيد البدوى العلمية . وأنه أحضر معه كتابالشجرة ليمتحنه فيه فان هو فهم ما فيه فأنا أعتقده وأرد الجـواب عنه الى قاضى القضاة . فقال له هو فى بيت الشيخ ركين ، فلما وصل الى البيت استأذن الشيخ عبد العال فأذن له ثم سلم على سيدى أحمد البدوى فرد عليـه السلام وقال له ياعبد العزيز من وصل الى مقام التسليم فاز برياض النعيم جئت تسأل عن العلم وفى كمك كتاب الشجرة فتعجب الشيخ عبد العزيز من نفوذ بصيرته . ثم قال له سيدىأحمد سلنى عما شئتفانى أجيبك فسأله عن المسائل التى جاء ليسأله فيها فأجابه عنها بأحسن جواب فمـا وسـع الدرينى اذا سئل عنه يقول هو بحر لا يدرك له قرار ، ولما هم بالانصراف
الدرينى اذا سئل عنه يقول هو بحر لا يدرك له قرار ولما هم بالانصراف
قال له قل لقاضى القضاة يصحح مصحفه المعلق فى صدر حجرته فان فيه خطأين أحدهما فى سورة الرحمن والخطأ الثانى فى سـورة يس . وكأنه

رضى الله عنه قرأ القرآن فى مصحف ابن دقيق العيد وهو فى مجلسه مع الدرينى فلم يجد فيه الا هذين الخطأين وفى سورتين متباعدتين وهو بطنطا والمصحف معلق فى حجرة الشيخ بالقاهرة . ولم يسع الشيخ الدرينى الا أن يكتب تقريرا بما رآه وعلمه ، ولما عاد الى القاهرة ورفع تقريره الى شيخ الاسلام كشف عن الخطأين فوجدهما كما أخبره فازداد يقينهما فى صدق ولايته . فأجمع شيخ الاسلام أمره على الذهاب بنفسه الى طنطا لزيارته .. ولما صعد الى سطح البيت وجد حوله جما غفيرا من الناس ثم رآه مشغولا عنه ، فحز ذلك فى نفسه فقال سبحان الله ما هذا الأعتقاد فى هذا الرجل ثم قال فى نفسه (ما هو الا مجنون) فلما جلس فاجأه سيدى أحمد ببيته المشهور ،

مجانين الا أن سر جنونهم عزيز على أعتابهم يسجد العقل

يقول له فى رده الرائع الحكيم رأيت المظهر فقلت مجانين ولو علمت المخبر لعرفت أن على أعتابنا تسجد العقول فأخذ العجب من شيخ الاسلام مأخذه حيث علم أنه سمع منه حديثه النفسى بأنه مجنون ، ثم كان منه هذا الرد الحكيم فلم يسعه الا أن يقبل يده ويقر له بالعلم والفضل ، ثم تحادث معه فى بعض المسائل العلمية وانصرف وهو يعتقد أن ما رآه من البدوى أكثر مما سمعه عنه لأن نفوذ البصيرة الى درجة أنه يسمع منه حديثه النفسى بأنه مجنون ثم يرد على البداهة بهذا الرد الحكيم مع ماثبت عنده من اطلاعه على مصحفه وهو بالقاهرة وتعيين الخطأ فيه ثم اطلاعه على كتاب الشجرة بكم الشيخ عبد العزيز ثم اجابته عما فيه من المسائل العلمية بنصها وهو لم يطلع عليها من قبل كل هذا أثبت له أن نفوذ بصيرته أمر خارج عن حد العادة ومنتهى العقل . وقد يبدو أن سماع سيدى أحمد البدوى للخواطر النفسية ، أمر غريب لكن من يخالط سيدى أحمد البدوى روحيا يعلم أن ذلك قطرة واحدة من فيض علومه ومعارفه ، وقد علمت منه ذلك بنفسى وتحققته بسمعى — فكثيرا ما أسمعه رضى الله عنه يأمرنى بالسكوت « اسكت اسكت » مشددا نبراته بالأمر وأكون فى نفس الوقت ساكتا لا أتكلم وانما يأمرنى بالسكوت عما أحدث به نفسى وعما يجول فى

خاطرى مما لا قبل لى بدفعه عن نفسى من الخواطر النفسية وهى سلسلة من الأحاديث النفسية تتجدد فى النفس بين آن وآخر طوال اليـوم حتى فى أثناء الصلاة والعبادة تمر تباعا فى خاطرى فيسمعها بأعيانها كما يسمع أحدنا (دردشة) الناس حوله فيؤلمه ذلك فيصيح فيهم (اسكتوا اسكتوا) ولما أعود وأتحول الى ذكر الله تعالى بقلبى وبدون أن ينطق بالذكر لسانى ثم أغفل عن هذا الذكر القلبى كما هى العادة أسمعه يصيح (اذكر اذكر) وليس سماعه لهذه الخواطر النفسية أمرا قاصرا على ذلك ، بل انه قد يرد على خاطرى سؤال من الأسئلة بدون أن يتحرك بالسؤال لسانى فأسمعه رضى الله عنه يجيبنى عن هذا السؤال ، ومن العجيب حقا أنى أسمع جوابه ولا أسمع سؤالى لأنه يخطر بنفسى مجرد خطور ، ولو أن الناس يعتبرون بأن سيدى أحمد البدوى عبد مخلوق لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا وهو من سماع الخواطر النفسية على ما وصفنا لفاضت نفوسهم خجلا ، وانكمشت أرواحهـم حسرة وندامة ، مما يحملون فى أنفسـهم من الدخائل الخبيثة والخواطر الملوثة التى لاتنفك عنهم أبدا حتى فى أثناء صلاتهم وعبادتهم بين يدى ربهم ، والله سبحانه وتعالى يسمعها حرفا حرفا وكلمة كلمـة (أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم بلى ورسلنا لديهم يكتبون) هذه هى قوة الشخصية وهذا هو العلم وهذا هو النور ، فلتخسـأ دائرة معـارف المستشرقين وليخسأ ذلك المعترض الذى نقل عنها قولها (ان السيد البدوى ضئيل الشخصية) ولتخشع الأقمار الصناعية بأنوارها الخافتة ولتهبط من عليائها ساجدة تحت أقدام العلم والنور قبل أن تحترق ولم ينتفع بنورها أحد من الناس ، فهل هذه شخصية ضئيلة كما يقول المعترض المسكين وهل هذا درويش جاهل كما ينطق به لسان الغافل (كبرت كلمـة تخـرج من أفواههم ان يقولون الا كذبا) .

سبب حملة المعترض الفاشلة على السيد البدوى

ويرجع سبب هذه الحملة الى تأثر جهلاء المصريين بـكلام دائـرة المعارف للمستشرقين الذين لا يعرفون عن الاسلام وأصول تعاليمه وأسراره وأبطاله الا عبارات يقرؤنها فى موسوعاتهـم ويدرسونهـا فى مجاميعهـم

ويدونونها فى دوائر معارفهم ، ثم يلقون بهـا الى جهلاء الأمم وانصـاف المتعلمين فيتلقونها كما يتلقى الناس تعاليم دينهم المقدس وقرآنهم الكريم ، وكأن كتاب دائرة المعارف للمستشرقين فى نظر هؤلاء الجهلاء وأنصـاف المتعلمين حبل الله المتين ، وكتـابه المبين وطريقـه الهـادى الى الصراط المستقيم ، وكأن أحكامها التى تصـدرها على الناس هى منزل الوحى وفصل الخطاب .

اسمع أيها القارىء ما تكتبه دائرة المعارف التى يتهافت عليها جهلاؤنا ويهرعون الى المكاتب للنقل عنها ويبثون بين الناس معارفها الزائفة وضلالاتها التى يقدسها جهلاؤنا كل التقديس . قالت دائرة المعـارف (من عجائب الحياة الدنية أن يتأثر رجل مثل الشعرانى بسحر السيد البـدوى مع أن هذا الأخير دونه من الوجهتين العقلية والأدبية) هذا ما تكتبه دائرة المعارف عن اعلامنا وأبطالنا لتعرفنا بهم فتصف السيد البدوى بأنه ساحر وتقول عنه أنه أقل من الشعرانى عقلا وأدبا ، أكاذيب ثلاثة تختلقهـا دائرة المعارف على السيد البدوى فى سطر واحد من سطورها ، وفقرة واحدة من فقراتها، لتطعن بها المصريين من الخلف وتبث فيهم روح الفرقة، وتسخر بعقولهم من حيث لا يشعرون من ذا الذى أطلع دائرة المعارف على ان السيد البدوى ساحر ، ومن ذا الذى أعلمها بأنه أقل من الشعرانى عقلا وأدبا ، قالت ذلك دائرة المعارف وهى تعرف أن فى المصريين جهلاء سيتقبلون هذا الكلام بالتسليم والقبول وسيهرعون لتلقفه عنها ، ونشره بين الناس وفعلا صـدق تنبؤها فسارع هذا المعترض ونقل عنها هذه الضلالة الكاذبة وقلده آخر وقال ان الشعرانى قد اندفع الى احترام هذا الدرويش — ولا تعدم فى المصريين عشرات من امثال هؤلاء الذين ينقلون عن المستشرقين والمستعمرين هذه الضلالات التى تولد فيهم روح الفرقة وتبعث فيهم المخاصمات والمجادلات والخلافات التى تمكن المستعمرين من رقابنا وتجعله يسود على حسابنا — هذه هى الغـاية من وصف دائرة المعـارف للسيد البدوى بأنه ضئيل الشخصية والعقلية ليتلقف قولها قـوم وينفيه قوم آخـرون فتقع بينهم الحزبية والتفرقة من أجل كلمة قالها هـؤلاء الخبثاء الشـياطين فمتى كان المستشرقون خلصاء النية ، ومتى كانوا يريدون خيرا بالمسلمين ؟ .

هذا لون من ألوان الاستعمار ومكر ودهاء ، وخيبة أمل من أبنـاء المصريين وخيبة رجاء ، يهرعون اليهم وينقلـون عنهم هـذه الخبائث التى نفرقهم وتجعلهم أحزابا وشيعا من حيث لا يشعرون ، ولا تلبث أن تتسـع بينهم دائرة الفرقة من أجل كلمة دائرة المعارف ، ومن أجل حكمها الخبيث على السيد البدوى فتتعدى الأفراد الى الجماعات وتتعدى الجماعات الى أوسع دائرة فى كيان المسلمين ، والمسلمون من جهلهم يظنون أنهم يبنون ويصلحون وهم فى الواقع انما يهدمون فى كيانهم ويوجهون السهام الى نحورهم ، فمتى نعقل ومتى نتدبر ومتى نتبصر ؟.

أطلع مفتون على كلمة دائرة المعارف وحكمها على السيد البدوى بأنه أقل من الشعرانى عقلا وأدبا فشمر عن ساعديه الهزيلتين وقام وألف كتابا هزيلا أسماه « السيد البدوى » وجعل محور طعنه على السيد البدوى فى كتابه هو كلمة دائرة المعارف فى السيد البدوى ، وحكم دائرة المعارف على السيد البدوى وفى كل صفحة من صفحاته ترى عنوانا بهذه الكلمة ، وفى كل صفحة ترى اعادة وتكرارا لهذا الحكم ، وكأن كلمة دائرة المعارف فى السيد البدوى آية من آيات الله المحكمات أنزلها الله على رسوله للتعبد بها ولتحفظ للاستشهاد بها وبناء الأحكام الشرعية عليها ، وكان حكمها من أحكام الله يجب العمل به والايمان بشرعيته ، فاللهمأعذنا من جهل الجاهلين واحفظنا من فتنة المفتونين ولعنة اللهعلى دائرة معارف المستشرقين ولعنة الله على كل من يقيم لكلامها وأحكامها وزنا .

البدوى يقول ... أنا زيت من لا زيت له :

الأعمال الاصلاحية التى يقوم بها الأصلاحيون تختلف وتتباين عـلى حسب اختلاف حاجات الناس وتباينها ، فالناس من ناحية حيويتهم يحتاجون الى سعادة دنيوية تكفل لهم رغد العيش وبسط الرزق وتيسـير سـبل الراحة لهم فى كل أطوار حياتهم الى مماتهم وهـذه قد تكفل بها القادة الاصلاحيون الذين يعملون ويكافحون فى سـبيل الحصـول على رغيف العيش الذى يلتهمه من أفواههم المستعمرون ، هذا ما يحتـاجه الناس من ناحية حيويتهم ، أما من ناحية روحانيتهم فهم يحتاجون الى سعادة دينية تكفل لهم تقوية أرواحهم وانارتها واخراج ظلمات الجهل منها ومحو الحوائل

التى تعوقهم فى طريقهم الشائك الممتد الى غاية لا يعلم الا الله مداها والتى تنتهى بالشقاء الدائم أو النعيم المقيم ، وهذه قد تكفل بها القادة الدينيون الذين يجاهدون فى سبيل ايصال الناس الى ربهم ويعملون على ازالة كل ما يعوقهم عن بلوغ أهدافهم فى هذا السبيل ويوضح سيدى أحمد البدوى أنه من هذا الطراز الدينى الممتاز فيقول « ان الفقراء كالزيتــون وفيهم الصغير والكبير ومن لم يكن له زيت فأنا زيته أسـاعده فى جميع أموره وقضاء حوائجه لا بحولى ولا بقوتى ولكن ببركة النبى صلى الله عليــه وسلم » يريد رضى الله عنه أن الفقراء كالزيتون متفاوتون فمنهم الكبير ومنهم الصغير فالكبير هو الذى امتلأ قلبه نورا من أنوار الحق نتيجــة لذكر الله ذكرا كثيرا — وشبهه رضى الله عنه بالزيتون الكبير لأن الكبير من الزيتون غنى بالمادة التى تحصــل بها الانارة وهى الزيت فالكبير من الفقراء كالكبير من الزيتون لاشتمال كل منهما على مادة النور ، ومن كان من الفقراء بهذه الصفة فهو متصل بالله ورسوله يستمد انواره ومعارفه منهما بطريق مباشر ، أما الصنف الصغير من الفقراء فهو الذى حافظ على قواعد الشرع ولكنه لم يخرق العادة بذكر الله ذكرا كثيرا فلم تخرق له الحجب فلم يكمل فى قلبه النور ، وشبهه رضى الله عنه بالزيتون الصغير لأن الصغير من الزيتون ليس غنيا بالمادة الزيتية بل هى فيه قليلة أو هــو منها خلاء — فالصغير من الأولياء كالصغير من الزيتون لخلو كل منهما من مادة النور ، ومن كان من الأولياء بهذه الصفة فهو فى حاجة الى من يعاضده ويسانده حتى يصل الى درجة الكمال والاتصال بالله تعالى ورسوله صــلى الله عليه وسلم — يقول ومن لم يكن له زيت فأنا زيته أى من لم يكن على نور من ربه فهو نوره يرشده الى طريق الحق ويهديه السبيل ويكون له عونا فى الوصول الى غايته وقضاء حوائجه لا بحوله ولا بقوته ولكن ببركة النبى صلى الله عليه وسلم — يقرر رضى الله عنه فى هذه الوصية أن مبادئه مبادىء اجتماعية تسير جنبا الى جنب مع مبادىء الدين الحنيف ، فهو لا يترك الفقير الصغير الشبيه بالزيتون الصغير يجف ويموت وينطرح فى العراء ، بل يوقف حياته ويهب نفسه لتنمية الفقير الصغير حتى يكبر وتغــذية الضعيف حتى يقوى ، وتعهــده بالاصــلاح حتى يتكامل ويكون كبيرا ،

ويمكن أن نخرج من هذه الوصية بثلاث حقائق هامة : الأولى أن سيدى أحمد البدوى على صلة تامة برسول الله صلى الله عليه وسلم لأن مساعدته للفقراء الصغار يستمدها من حضرته وليست بحوله ولا بقوته ، ولهذا اشتهر بأنه باب الرسول . الحقيقة الثانية أنه يستغل هذه الصلة ويستعملها فى خدمة الأولياء الصغار وتكميلهم وارشادهم الى ما فيه صلاحهم ولهذا اشتهر بأنه سلطان الأولياء .

الحقيقة الثالثة أن فى ذلك دلالة واضحة على علو همته وكبير فتحه وجريان أسباب الخير على يديه ؛ ولهذا اشتهر بأنه مربى السالكين ولهذا أيضا أجمعت الأولياء على احترامه وتعظيمه ومحبته على اختلاف مشاربهم وتنوع طرقهم ، وتراه رضى الله عنه أورد هذه الحقائق الهامة وأثبتها لنفسه فى كلامه بطريق تشبيهى مستملح ومبتكر لا يدرك الانسان فيه شيئا من التعالى أو الفخر ، بين فيه أنه يمد الناس بمواهبه ويفتح القلوب بمعارفه وينير الطريق أمام كل سالك حيران بدون أن تأخذ عليه كلمة واحدة فيها ادعاء أو كبرياء .

البدوى يوضح العوائق التى تعوق الفقراء عن ان يكونوا كبارا :

بين رضى الله عنه فى وصيته لخليفته الحوائل النفسية التى كانت سببا فى تخلف الأولياء الصغار عن أن يكونوا كبارا فحصر تلك الحوائل فى التعلق بالدنيا ، وعدم مراعاة الاحسان فى العمل ، وشح النفس بالعطاء ، وعدم استدامة ذكر الله ، والغفلة عن قيام الليل، وسوء الخلق فى المعاملة ، وعدم الصبر على تحمل أذى الناس ، وعدم ملازمة الصدق ، وخلو القلب من الصفاء وحسن الوفاء وحفظ العهود فقال فى وصيته بعد ما تقدم : يا عبد العال اياك وحب الدنيا فانه يفسد العمل الصالح كما يفسد الخل العسل ، فالعمل الصالح كالعسل الأبيض وحب الدنيا كالخل الأسود فاذا مزجت العسل بالخل حصلت على مشروب متنافر لا يستقر فى معدتك ولا تقبله كمقوم للحياة بل تدفعه المعدة وتلقيه الى الخارج بدون أن تنتفع به ، واذا مزجت عملك الصالح بحب الدنيا تغلب لا محالة حب الدنيا على

عملك الصالح فأخمد نوره وأطفأ جذوته وأذهب من القلب ثمرته فلا تبصر بقلبك الا الظلمات ، ولا تجنى من وراء ذلك الا الحسرات ، ثم أخذ يبين الحائل الثانى وهو عدم ملازمة التقوى وعدم الاحسان فى العمل فقال واعلم يا عبد العال أن الله يقـول (ان الله مع الذين اتقـوا والذين هم محسنون) فان أردت أن يكون الله معك بالمعـونة والنصر أو بالمعاينـة والمشاهدة ، فها هو السـبيل الى ذلك ، وهو ملازمة الخوف من الله مع الاحسان فى العمل . والاحسان فى العمل هو أن تعبد الله كأنك تراه ، فاذا كنت فى صلاتك مثلا فاستحضر أنك قائم بين يدى الله تقـرأ كأنك تراه وتخاطبه كأنه حاضر يسمع ثناءك عليه بالحمد ونعمتك له بالربوبية المطلقة والمالكية المطلقة ويسمع خطابك له بافراده بالعبودية دون غيره ، وافراده بطاب الاستعانة وطلب هدايتك الى الطريق المستقيم أى الطريق الموصل اليه مباشرة وطلب تبعيدك عن طريق المغضوب عليهم والضالين من الكافرين ، ثم اذا ركعت أو سجدت فاستحضره فى طمأنينات الركوع والسجود كأنه معك على مرأى ومسمع منك يسمع تسبيحك وتقديسك له بأنواع التسبيح والتقديس ، واذا جلست فى تشهدك لتشهد له بالتوحيد ولرسوله بالرسالة فاستحضر كأنك تخاطبه بأن جميع التحيات والتعظيمات التى يقدمها العباد بعضهم لبعض من رفع اليد الى الجبهة بالتعظيم والانحنـاء بالبدن عنـد التسليم والسجود عند قوم والركوع عند آخرين وكل التعظيمات التى يقدمها العبيد للملوك وغيرهم كلها مستحقة لك لا لغيرك فالتحـيات كلها مستحقة لله ، كما أن الحمد مستحق لله رب العالمين، واذا قلت أشهد أن لا اله الا الله فكن كأنك لاترى شيئا فى السموات والأرض الا ذاته النورانية قائمة بنفسها ممدة للعالم بأنوارها كما لا ترى فيها الا الشمس ساطعة بجرمها ، ممدة للعالم بأضوائها فانك ان أديتها كذلك كان الله معك بالمعونة والنصر أو بالمعاينة والمشاهدة على قدر ما تكون عليه عبادتك من الخشية منه تبارك وتعالى ، ثم أخذ يبين الحائل الثالث وهو شح النفس بالعطاء فقال : ياعبد العال أشفق على اليتيم واكس العريان واطعم الجوعان واكرم الغريب والضيفان عسى أن تكون عند الله من المقبولين فهو يعطف عـلى اليتامى والعرايا والجوعى والغرباء والضيفان لأن من لم يكن عنده شفقة

على اليتيم الذى فقد رائده وقائده ولا وازع يحمله على كسوة الأبدان التى ابتذلت آدميتها ولا دافع يدفعه الى اشباع جائع ولا حامل يحمله على رحمة الغريب بايوائه والضعيف باكرامه فقلبه متحجر وليس من الله فى شيء ولا يمكن ان يكون عنده من المقبولين . وما نشاهده من لجوء الفقراء الى أعتابه وتدفق الخيرات حول رحابه دليل على أنه يحب الكرم ويمقت الشح ويحنو على الضعفاء كما أنه بذاته يساعد الفقراء ولذلك اشتهر بأنه باب الكرم وباب العطاء .

وقد وقعت فى كرب شديد أذهلنى وطغى على حواسى حتى كنت لا أطيق الكلام العادى مع الناس فكان يحثنى على اطعام الفقراء وكثرة التصدق عليهم ويؤنبنى على التصدق بالقرش والقرشين ولايرضيه التصدق بالورق الصغير فبذلت ما شاء الله أن أبذل فذهب عنى ما كنت أجده وعدت الى ما كنت عليه بعد اليأس من معالجتى .

ثم أخذ يبين الحائل الرابع وهو عدم كثرة الذكر والغفلة عن قيام الليل فقال : « وعليك بكثرة الذكر واياك أن تكون من الغافلين عن الله واعلم أن كل ركعة بالليل خير من ألف ركعة بالنهار » ، فهو يرى فى طريقه أن معرفة الله لا تحصل الا باستدامة ذكر الله لا باللسان فقط فانه لا ترضيه شقشقة اللسان بل بجريان الاسم الكريم فى القلب بصفة مستديمة لا ينفك عنها القلب أبدا فلا يلبث المستديم لذلك زمنا ما حتى يقذف الله فى قلبه نورا ساطعا تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم فيتولد عنه شوق فى القلب الى رؤية الحق ليراه بواسطة ذلك النور ومن شدة الشوق يلحقه الوجد فيتعلق بالله كله فاذا أفرط الوجد صار ولِهاً فيحصل للعبد فناء فى مشاهدة الذات واستغراق فى مطالعة أنواره تنمحى فيه بشريته ويبلغ الدرجة العليا فى التسامى الروحى — وبعد أن يفيض الله عليه من أسرار ذاته ما يطيقه استعداده يعيده ثانيا الى حالته الطبيعية كاملا مكملا وتعرف هذه الحالة بحالة الصحو بعد المحو أو حالة البقاء بعد الفناء — هذا ما يراه رضى الله عنه عملا للقلب ، أما عمل الجوارح فهو قراءة القرآن ولا سيما فى الصلاة بالليل كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم الليل

الا قليلا يتلو القرآن فى صلاته — وهـو يرى أن ملازمة ذلك باب من أبواب الفتح ولهذا كان يقول واعلم أن كل ركعة بالليل خير من ألف ركعه بالنهار لما يحدث من المشاهدة بسبب صلاة الليل فى أثنائها أو فى أعقابها .

ثم أخذ يبين الحائل الخامس وهو سوء الخلق فقال أحسنكم أخلاقاً أكثركم ايمانا فميزان الايمان عنده حسن الخلق فكلمـا حسنت الأخلاق كلما قوى الايمان ، وكلما ساءت الأخلاق كلما نقص الايمان ، والخلق السيء يفسد العمل الصالح كما يفسد الخل العسل فسـوء الخلق وحب الدنيا صنوان فى افساد العمل الصالح .

ثم ختم وصيته بقوله : هذه هى طريقتنا بنيت على الكتاب والسـنة والصدق والصفاء ، وحسن الوفاء ، وتحمل الأذى ، وحفظ العهود ، ولو تخلق الانسان بالصدق فى القول والعمل وصفا قلبه لله وللعباد فلا يجد فى نفسه اعتراضا على قضاء ولا امتعاضا من عباده فأحسن لله الوفاء بالطاعة وأحسن للعباد بتأدية ما عليه من حقوقهم مادية كانت أو أدبية ، وتحمل حسبة ما يصيبه من أذى العباد حتى يراه كأنه نعمة أنعم الله بها عليه لأنه اما تكفير لذنب أو رفع لدرجة عند الله ، وحافظ على عهوده لايحنث فيها ولا يخون ... نقول لو تخلق بهذه الصفات التى يريدها السيد البدوى لتلميذه لأزال عن نفسه كل الحوائل التى تعوقه عن معرفة الله ولثبتت قدمه على قدم الأنبياء . قال سيدى عبد العال : خدمت الشيخ أربعين عاما ما رأيته غفل عن طاعة الله طرفة عين ، وجدير بمن كان هذا شأنه أن يتبوء قمة المجد بعمله .

تبصرة وذكـرى

لا أترك القارىء يمر على هذه الظاهرة التى سمعها عن سيدى أحمد البدوى من سماعه للخواطر النفسية وأحاديث القلوب بدون أن ألفت نظره الى أن سبب ذلك يرجع الى ما هو معروف من الحديث الصحيح عن الله عز وجل وهو قوله ولا يزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصربه ويده التى يبطش بها ورجله

التي يمشي بها — وفي رواية كنت هو — فمن كان الله سمعه على أي معنى ذكره العلماء العارفون فانه ولا ريب يسمع كل شيء يسمع السر وما هو أخفى من السر ويسمع الخواطر النفسية وما هو أخفى من الخواطر النفسية — ومن كان الله بصره الذي يبصر به فانه ولا ريب يبصر كل شيء سواه ما كان فوق العرش أو تحت العرش في الصدور أو خارج الصدور ، ومن كان الله يده التي يبطش بها أو رجله التي يمشي بها فان يده لاتقف عند حدها المحدود لها فقد يظهر آثارها بالضرب أوبالبطش أو بالعطاء والنوال أو بالتسليم بها أو الاشارة بأصبعها من مسافة قريبة أو بعيدة سواء أكانت هناك حوائل أو لم تكن — وكذلك لاتتغير رجله بالخطوات المحدودة لها فقد يخطو خطوة أوسع من خطواته المعهودة بآلاف المرات أو أكثر أو أقل — فسماع سيدي أحمد البدوي للحديث النفسي لايبدو بعيدا ما دام الله تجلى عليه بصفة السمع — وخروج يده من القبر ليسلم على الشناوي أو الشعراني لايبدو غريبا مادام يمدها بربه — وكذلك القول في قطعه للمسافة البعيدة في خطوة أو ظهوره عند ندائه وقت الشدة في صحراء أو في الحجاز راجلا أو راكبا — كل هذه الأشياء سببها ما تقدم والشك فيها شك في الحديث الصحيح وليس بعد المشاهدة والعيان حاجة لاقامة برهان

وليعلم أن الاقتصار على السمع والبصر واليد والرجل لايعني أنه تبارك وتعالى لايمد أحبابه الا بخصوص هذه الأربعة بل قد يتجلى عليهم بصفة العلم فيشرح صدورهم ويوسعها لانطباع كل معلوم فيها — ويتجلى عليهم بصفة القدرة فيقدرون على نقل الأشياء البعيدة في أقل من ارتداد طرف العين كما وقع من آصف ونقله عرش بلقيس في مثل هذه المدة وهكذا القول في باقي صفاته — ولا يشك في ذلك الا محروم أو مطرود .

من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب

أعلن الله حربه على من عادى أولياءه فان عداوتهم في حقيقة الأمر عداوة لله لأن الأولياء ما كانوا أولياء الا بالله تعالى كما سمعت بيانه في الحديث المتقدم — فمن كان عدوا لله فلا محالة ينتصر منه لنفسه أما بسلب

ايمانه عند الموت وهذا أشد العقاب وأنكاه ونعيذ بالله منه كل مسلم ينطق بالتوحيد — واما ببعض العقوبات الدنيوية العاجلة أو الآجلة على حسب ما تقتضيه حكمة الله وعدالته — وهذه أخف ضررا من سابقتها وفيما يظهر لى أن عداوة الأولياء تظهر فى بعض الناس بصفة قهرية عنهم خارجة عن ارادتهم وهم لا يملكون دفعها عن أنفسهم حتى ولو أرادوا التخلى عنها لأن الله تعالى هو الذى اختص هذا الصنف من الناس بهذه النكسة الدينيــة وجعل هذه المصيبة لازمة لهم لاتنفك عنهم جزاء كسب كسبوه أو جرم ارتكبوه — قال تعالى « وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا شياطين الانس والجن » وبضرورة قيام الأولياء بما يقوم الأنبياء من الدعوة الى الله ، وبضرورة أنهم أحبابه كما أن هؤلاء أحبابه جعل سبحانه لكل ولى عدوا من شياطين الانس والجن، جعلهم أعداء لرسله وأعداء لأحبابه يقاتلونهم ويشاكســونهم ويــكذبونهم وينقصون من قدرهم ويحطون من كرامتهم ويرمونهم بالافتراء والجنون والجهالة والضآلة ويسبونهم عدوا بغير علم ليمحص الله الذين آمنوا ويمحق هؤلاء الآثمين — ولا يعدم هؤلاء الشياطين سببا وأكثر من سبب يبررون به شنيعتهم ويسترون به فضيحتهم فى معــاداتهم لله وأحبــاب الله فيظهرون أنفسهم بمظهر الغيرة على توحيد الله والمحبين لدين الله وهم فى الوقت نفسه يعادون الله « يستدرجهم من حيث لا يعلمون » ويعلم الله أنهم لا يعرفون عن توحيد الله ولا عن أسرار دينه الحنيف الا الألفاظ التى ينطقون بها والعبارات التى يرددونها والرسوم التى يؤدونها ان كانوا يحافظون على الرسوم .

ان توحيد الله فى قلوب العــوام أثبت وأركز منــه فى قلوب هؤلاء المدعين — وانك لو قطعت أجسام هؤلاء العوام وأطعمتهــا اياهم ما نطق أحدهم بأن السيد البدوى شريك لله فى ملكه — وما اعتقد فيه أكثر من أنه عبد مخلوق صفت روحه لايملك لنفسه ضرا ولا نفعا لأن توحيــد الله فى قلوبهم فطرى وجبلى لايمكن نزعه ولا محاولة خلعه الا بنزع أرواحهم وخلع قلوبهم من أبدانهم شأن الاسلام اذا خالط بشاشة القلوب .

أعماله التي قام بها في حياته
وآثاره التي تركها بعد ممـاته

أكبر عمل يقوم به الانسان فى حياته هو أن يعمل على اصلاح نفسه وتقويمها وازالة ما فيها من عيوب ونقائص حتى تسمو روحه وترتفـع من حضيض الجهل والعمى الى أعلى مستوى العلم والمعرفة فتتهيأ للخلافة عن الله فى أرضه والنيابة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى اقامة دعوته ثم يعمل ثانيا على اصلاح غيره كما عمل على اصلاح نفسه — فالرجل الكامل هو الذى يعمل ليصلح نفسه ثم يعمل ليصلح غيره وكلماسما عمله فى اصلاح نفسه كلما سما عمله فى اصلاح غيره — واذا كانت الأعمال تعبر عن أقدار الرجال فان أعمال السيد البدوى لم يكن لها نظير فى أعمال المصـلحين — فكان رضى الله عنه يصنع الرجال ويصوغ الأبطال بنظرة واحدة من نظراته الثاقبة فيحولهم بقدرته الربانية وقوته الروحية من أشباح آلية الى أرواح نورانية ومن صور آدمية الى حقائق انسانية فيصبح الواحد منهم بعد أن كان فردا آليا وشبحا آدميا يزن أمة برأسها ويملأ البلاد بحذافيرها علمـا وهديا ونورا مبينا — هكذا كان يصنع الرجال ويصوغ الأبطال ، يأتى اليه خليفته بالرجل العادى وهو قائم على السطوح فينظر اليه نظرة واحدة فيمتلىء بها هداية وتقوى ومعرفة — ويأمره بالانصراف ثم فى الوقت نفسه يحدد له البيئة التى تتوافق مع طباعه ومعارفه ويعين له الجهة التى يقيم فيها والتى تصلح لأن يبث فيها دعوته ، ويمكن أن تنجح فيها مهمته، لأن معادن الناس فى كل جهة تختلف ، كما أن الأرواح تأتلف وتختلف فينصرف الى تلك الجهة التى عينها له لا يتخطاها يعمل ويكافح ويرشد الناس الى ربهم الى أن يموت فى تلك الجهة وقد أثمرت فى الناس دعـوته ونفـذت الى قلوبهم محبته ولا يسعهم الا أن يبنوا له فى تلك الجهة قبرا يزورونه فيه تخليدا لذكراه وليبقى حدثا تاريخيا لهم ومثلا أعلى لأعقابهم — أربعـون مصباحا من مصابيح الاسلام يشعلهم السيد البدوى وهو قائم فوق السطوح ويبثهم فى طول البلاد وعرضها يضيئون للناس طريقهم ويقومون معوجهم ، ويعلم الله كم من الناس قوموا وكم من البلاد أصلحوا وكم لله قدموا ،

ويعرف هؤلاء المصابيح بالسطوحية أما غيرهم فكثير وكثير ولأن يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم ولأن يصلح الله بك قرية خير لك عند الله من الف ضيعة ، أما آثاره التى تركها بعد مماته فنحن لا نطالب القارىء بتتبعها فى الفرق الأربع عشرة التى تشعبت عن طريقته الأحمدية والتى لا تزال آثارها باقية الى اليوم بعد سبعة قرون تعمل جاهدة فى هداية الناس ودعوتهم الى ربهم — ولا نطالبه فى أن يتتبعها فى تربيته للعلماء العاملين والفقراء الصادقين الذين تولى تربيتهم بنفسه وهم يعدون بالألوف وانما نوجه نظره الى تتبع تلك الآثار فى النواحى الاجتماعية الصرفة التى يخدم بها الشعب وينفع بها الأمة ببركاته ونفحاته التى تتزايد على مر السنين وتتابع الأيام فمن آثاره التى تركها بعد مماته هذا الدخل العظيم والخير العميم الذى يعترف به المعترض نفسه ويعده من السيئات وهو من أفضل الحسنات والذى يعود على المصالح العامة فى الدولة بالنفع من أوقافه التى تعد بآلاف الأفدنة ويعود على بعض أفراد الشعب بالانتفاع بعقاراته التى رسمت باسمه وكان لها أكبر فضل فى ايوائهم فى جنباته الرحيبة — وهذه الآلاف من الجنيهات التى توضع فى صندوق النذور ويحول معظمها الى منافع الدولة — وبعضها الآخر يحول الى الفقراء من حوله ولولا ذلك لأقفلت بيوتهم وسدت بأبواب من حديد ، وان معظم مساجد القطر لينالها أكبر نصيب من خيراته وبركاته ولولا ذلك لخربت بيوت الله ولم تجد من يقوم بتعميرها وفرشها ممن ماتت نفوسهم وخمدت أرواحهم وانشغلوا بأمور دنياهم عن دينهم ، هذه ذرة من آثاره التى تركها بعد مماته وكم له رضى الله عنه من آثار اجتماعية يسديها الى الناس ولكنه يخفيها لأنه يعمل لوجه الله ولا يريد من أحد من الناس جزاء و لاشكورا نفعنا الله به وعمنا بخيراته ونفحاته وشملنا ببركاته أمين .

علامة الولى كما يراها البدوى

لا تتحقق ولايتك لله تعالى الا اذا تحققت فيك العلامات التى ذكرها سيدى احمد البدوى لخليفته الأول حينما سأله عما هو الفقير الشرعى يريد

الولى الشرعى الذى تنطبق ولايته على قواعد الشرع وسماه فقيرا لأنه يرى تسمية الولى بالفقير لأنه فى حالة احتياج وفقر الى الله دائما فأجابه رضى الله عنه بأن الولى الشرعى له ثنتا عشرة علامة .

العلامة الأولى أن يكون عارفا بالله تعالى — وليس المراد بالمعرفة بالله أن تكون عارفا بالدليل العقلى أو النقلى أن الله موجود لا شك فى وجوده بل المراد أن تعرف الله وتتحققه لا أن تعلمه وتتخيله لأن هناك فرقا بين معرفتك للشىء وعلمك به فأنت تعلم مالا تراه ولكنك لاتعرفه فاذا شاهدته عرفته — فاذا حصلت على هذه العلامة حصلت على أم هذه العلامات الأثنى عشرة فهى أصلها وبقية العلامات وسيلة لها — واذا حصلت على هذه العلامة أيضا تمكنت فضل تمكن فى مقام الاحسان لأن الاحسان هو أن تعبد الله كأنك تراه فاذا عرفت الله كما قدمنا سهل عليك أن تستحضر فى عبـادتك بقلبك أو فى خيالك ما سبق أن عرفته فأمكنك فى يسر أن تعبده كأنك تراه فعلى من يريد أن يصل الى مقام الاحسان فى العبادة أن يجتهد فى معرفة الله فاذا عرفه تحقق بمقام الاحسان .

العلامة الثانية أن يكون مراعيا لأوامر الله فلا يترك شيئا مما أمر الله به ولا يؤخره عن وقته الشرعى المحدود له ولا يؤديه أداء ناقصا بل يراعى فى أدائه جميع ما يتطلبه من وجوه الاحسان .

العلامة الثالثة أن يكون متمسكا بسنة النبى صلى الله عليه وسـلم فلا يترك سنة من سنن صلاته المفروضة ولا يترك سنة مسنونة من رواتب صلاته ولا يترك صلاة مسنونة غير الرواتب كالتهجد والضحى وغيرهما ولا يترك سنة من سنن العبادات المشروعة غير الصلاة كسنن الحج والصوم وغيرهما .

العلامة الرابعة : أن يكون دائم الطهارة فلا يرى فى ليل أو نهار الا وهو متطهر كأنه متهيىء للصلاة لأنه بصدد أن يشاهد ربه فلابد أن يكون دائم الطهارة .

العلامة الخامسة : أن يكون راضيا عن الله على كل حال سواء أحزنه أو أفرحه أعطاه أو منعه أدناه أو ابعده أصحه أو أمرضه احياه أو اماته أقبل

عليه بالدنيا أو حرمه منها متعه بنعيم معرفته أو أذله بذل الحجاب ، فاذا تواردت عليه هذه الأمور ولا بد أن تتوارد على أوليائه فلا يكون فى قلبه الا الرضا عن ربه رضا ينفتح له القلب وتنبسط معه أسارير الوجه .

العلامة السادسة أن يكون موقنا بما وعده به الله من رزق دنيوى أو نعيم أخروى فيقطع قطعا لا شك فيه أنه سيحصل عليه لا محالة .

العلامة السابعة أن ييأس مما فى أيدى الناس فاذا يئس مما فى أيديهم سلم من آفة التملق لهم فلا يكون عبدهم بل يكون عبدا لله وعاش حرا كريما .

العلامة الثامنة أن يتحمل أذى الناس فلا يلتفت بوجهه الى من صفعه ولا يلقى سمعه الى من قذفه ولا يحرك لسانه فى سب من شتمه ولا يتبع نظره الى من سخر منه ولا يمد يده باساءة الى من أساء اليه لأن شأن من عرف ربه أن لا يشاهد عملا لأحد غيره بدون أن يشهده قبله أو بعده أو فيه أو معه .

العلامة التاسعة أن يكون مبادرا لأوامر الله فان المبادرة بالأمتثال أمارة الاهتمام بالآمر وأمارة العناية بالمأمور به ويصف لنا بعض أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم حاله اذا حان وقت الصلاة فيقول كان يحدثنا ونحدثه فاذا حضرت الصلاة فكأنه لا يعرفنا ولا نعرفه وليس المراد المبادرة بخصوص الصلاة بل بكل أمر من أوامره فلا يتثاقل ولا يتمهل فى أداء أى أمر من أوامره سواء كان بدنيا أو ماليا أو مركبا منهما مأمورا به على سبيل الوجوب أو الندب أو الأستحباب .

العلامة العاشرة أن يكون شفوقا على خلق الله ، وله رضى الله عنه فى باب الشفقة على الخلق والرحمة بهم القدم الراسخ والباع الممتد الى أبعد حد كما يؤخذ من قوله فى بعض وصاياه من لم تكن له شفقة على خلق الله لم تكن له شفاعة عند الله ، ومن قوله ياعبد العال اشفق على اليتيم واكس العريان الى آخر ما تقدم فالشفاعة لا توهب فى الآخرة الا لمن فى قلبه شفقة على خلق الله ، وقد تبلغ الشفقة بأحدهم أن لا ترضى نفسه أن يلحق أعداءه سوءا وان أساءوا ، ولا ضررا فى النفس وان قتلوه .

العلامة الحادية عشره أن يكون متواضعا للناس فيتواضع لهم ولا يتعالى عليهم ويرى فى نفسه أنه اقلهم .

العلامة الثانية عشرة أن يكون عالما بأن الشيطان عدو له كما اخبر الله بقوله (ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا) فان الولى فى اثناء سيره يتعرض له الشيطان فى كل خطوة يخطوها وفى كل منزلة يصل اليها - ولديه من وسائل الحيل والمكر والدهاء والخديعة ما هيأه ان يكون رسول الضلالة فى الأرض كما أن النبى صلى الله عليه وسلم رسول الهداية فيها — وحسبك أن الفساد الذى ظهر فى البر والبحر على أيدى الناس لا تخلو مفسدة منه من اغوائه فهو بطبيعة وظيفته يتعرض للأولياء فى طريقهم ويصف مقاعده ويرتب أعوانه ومساعديه على حسب مؤهلاتهم فى الفساد ودرجاتهم فى الأغواء فترى منهم هذا العجوز من عهد آدم عليه السلام يحاول فى اغوائه أن يظهر بمظهر الناصح فيلقى من نصائحه ما يخيل لسامعه أنه له ناصح أمين ليستذل بنصيحته المموهة قدمه ليخرجه معه من دار النعيم وترى منهم هذا الذى سقطت أسنانه وبرزت أنيابه يلقى من الشبهات المضللة ما يعجز عن دفعها الحاذق الفطن الأريب ، وهكذا تتوارد نصاحهم ووعاظهم على الأولياء من كل با بومن كل جهة من الجهات فمن لم يتخذ الشيطان عدوا وتجاهل عداوته اغتر بما يسمعه من نصائح قد لا يعرف مصدرها احيانا وتأثر بما يلقى اليه فيتعثر فى سيره ويضل عن قصده ويقع فى الضلال المبين . فلهذا كان سيدى احمد البدوى موفقا كل التوفيق فى عد هذه العلامة بالذات من علامات الولى الشرعى ليحترس من عدوه وليتذرع فى احتراسه بالقرآن الكريم فيطبق كل ما يعن له فى سلوكه على احكامه وتعاليمه فما كان موافقا لمواصفات القرآن قبله وما كان مخالفا لها ضرب به عرض الحائط والقى به فى الطريق .

أخلاق البدوى من أخلاق أولى العزم

لا يرشدك الى أخلاق الرجل ان لم تكن ثبرت أخلاقه فى معاملة مثل ما يرشدك كلامه فمن كلامه تعرف منزلته الأخلاقية من كرم نفس أو جفوة

فى الطباع لأن الكلام معبر عما أرتكز فى النفس ووقر فى القلوب يقول سيدى احمد فى بعض وصاياه التى تعبر عن أخلاقه . يا عبد العال لاتشمت بمصيبة احد من خلق الله ولا تنطق بغيبة أو نميمة ولا تؤذ من يؤذيك واعف عمن ظلمك واحسن الى من اساء اليك وأعط من حرمك — هـذه كلمات معدودات هن أم الأخلاق الفاضلة وأس الفضائل النفسية التى لا يمكن أن يتخلق بها الا أولوا العزم من المرسلين — ومن كان على قدمهـم من الصديقين — تأمل قوله لا تشمت بمصيبة احد من خلق الله فهـو يلفت نظره الى أن الكافر والفاسق والظالم كلهم خلق الله ويرشده الى أنه لا يشمت بالكافر اذا اصابته مصيبة لأنه من خلق الله مولا يشمت بالفاسق اذا أصابته مصيبة لأنه من خلق الله ولا يشمت بالظالم اذا اصابته مصـيبه لأنه من خلق الله ومن باب أولى الطائع اذا اصابته مصيبة لا يشمت به لأنه من خلق الله ثم أخذ يحذره من الغيبة والنميمة لأنهما مضغة الأفواه وظلمة القلوب وهما أكبر نكسة اخلاقية عرفها الانسان ولا يمكن ان يعف عنهما لسانه فقال له اقطع لسانك قطعا عن هاتين الخصلتين الذميمتين لئلا تطمس ظلمتها انوار قلبك فلا تنطق بغيبة احد كائنا من كان و لاتسعى بالتفرقة بين الناس لتسود أنت على حسابهم ومن آذاك منهم فلا تقابل أذاه بأذى مثله بل اعف عنه ولا تقتصر على مجرد العفو بل أتبع عفوك عنه بالاحسان اليه بالمال على سبيل البر ان قدرت أو بالمسالمة بالكلام الحسن ان عجزت حتى ان من حرمك عطاء فبادر انت بأعطائه بعد ان حرمك — من هـذه الكلمات المعدودات تعرف مكانة البدوى الأخلاقية — ومدى مطابقتها لأرفع أخلاق القرآن وانطباقها على أخلاق الرسول عليه السلام فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعامل اعداءه بهذه الأخلاق الفاضلة فلم يؤذ من آذاه منهم بل عفى عمن ظلمه واحسن الى من اساء اليه وأعطى من حرمه ولم يظهر شماتته بأحد منهم ، ولم يزد — يوم الفتح بعد أن تمكن من رقابهم — عن قوله : « ما تظنون أنى فاعل بكم ؟.. » . فقالوا : خيرا ، أخ كريم وابن أخ كريم . فقال : « اذهبوا فأنتم الطلقاء » . وكأن لم يكن بينهم وبينه حرب ولا قتل ولا قتال ولا محاصرة ولا مؤامرة ولا

اخراج من الديار ولا تجريد من الأموال ولا تشريد ولا تجويع ، وكأنا أبا سفيان كان صديق رسول الله الحميم فجعل داره أمانا لمن يدخل فيها ، وذلك أفضل ما نعرف من كمال الأخلاق .

تاريخ ميــــلاده

اتفق المؤرخون على أن ميلاد سيدى أحمد كان بمدينة فاس احدى مدن مراكش فى سنة ٥٩٦ هجرية ويحتفل أولو الأمر قديما وحديثا فى المسجد الأحمدى بعيد ميلاده فى ليلة آخر أربعاء من شهر ذى الحجــة فى كل عام ، ويظهر من تخصيصهم الاحتفال بهذه الليلة بالذات أن ميلاده كان فى الشهر الأخير من سنة ٥٩٦ .

نســـــبه الشريف

كان سيدى أحمد يحمل نسبه معه حينما رحل من الحجاز الى طنطا مع بعض كتبه التى كان يعتز بها ، وفى ذلك يروى الخفاجى ما قاله أخوه الحسن حينما أصبح فوجد سيدى أحمد شرع فى رحلته الى طنطا قال الحسن فأصبحنا فلم نجد أخى أحمد ولم نجد كتاب النسب وراح وتركنا كالحداد بلا فحم ـ ولقد كانت الدواعى متوفرة على العناية بالأنساب لدى السادة الأشراف بعد أن تفرقوا فى البلاد من بطش الظالمين فكانوا يثبتونها بعناية ويشــهدون على صحتها ويعتمدونها من الرؤساء والحكام ويسجلونها فى دور خصصت لذلك ويحملونهــا معهم أينمــا كانوا محافظــة منهم على شرف الانتساب لأشرف المرسلين واحتفاظا منهم بما فيه مصدر فخرهم وظهــور فضلهم على النـــاس أجمعين ـ وكان من الطبيعى أن يتناقل الناس عن سيدى أحمد البدوى هذا النسب الشريف فى حياته وبعد مماته لاسيما تلامذته الذين انتشروا فى أنحــاء البلاد وأطرافهــا وكان لهم السـبق فى القيام بأمر دعــوته ليثبت لهم شرف الانتســاب الى أصل من أصــول أهل بيت رسول الله الطاهرين ـ وكان من أوائل من روى هذا النسب من المؤرخين القدامى الشيخ يونس الشهير بابن أزبك الصوفى الذى يعتبر فى حكم المعاصر لسيدى أحمد لأن وفاته كانت فى

أوائل القرن الثامن الهجرى فى عصر سيدى عبد العال ـ ثم رواه من مشاهير المؤرخين المقريزى الذى توفى فى أواسط القرن التاسع ثم رواه جلال الدين السيوطى الذى توفى فى أوائل القرن العاشر والأستاذ الشعرانى الذى توفى فى أواسطه ورواه غير هؤلاء المشهورين كثير من معاصريهم كما رواه كثرة لا تحصى من المؤرخين المحدثين ـ وكان اعتمادهم فى أول الأمر فى هذا التناقل على مخطوطاتهم لأنه لم تكن لديهم طباعة حينذاك فكان بعضهم يروى النسب ويضيف لكل اسم لقبه المعروف وبعضهم يرويه مجردا عن اللقب ولتشابه الأسماء فى المرحلة الوسطى من النسب وقع اختلاف فى اضافة الألقاب الى أسمائها ـ ولهذى رأى المقريزى اثباتها جميعها بدون ألقاب وكأن ذلك وقع منه من باب الاحتياط ونحن نثبتها كما أثبتها احتياطا فنقول .

هو السيد أحمد البدوى بن السيد على البدرى بن
السيد ابراهيم بن السيد محمد بن
السيد أبو بكر بن السيد اسماعيل بن
السيد عمر بن السيد على بن
السيد عثمان بن السيد حسين بن
السيد محمد بن السيد موسى بن
السيد يحيى بن السيد عيسى بن
السيد على بن السيد محمد بن
السيد حسن بن السيد جعفر بن
السيد على بن السيد محمد بن
السيد على بن السيد موسى بن
السيد جعفر بن السيد محمد بن
السيد على زين العابدين بن السيد الحسين بن
الامام على كرم الله وجهه

وقد اتفق جميع المؤرخين على أن فى أجداد سيدى أحمد البدوى من الأئمة الأثنى عشرية تسع أئمة وهم الامام على كرم الله وجهه وابنه الامام الحسين المتوفى سنة ٦١ هـ وابنه الامام على زين العابدين المتوفى سنة ٩٤ وقيل سنة ٩٩ وابنه الامام محمد الباقر المتوفى سنة ١١٣ وقيل سنة ١١٧ وابنه جعفر الصادق المتوفى سنة ١٤٨ وابنه على الرضا المتوفى سنة ٢٠٢ وابنه محمد الجواد المتوفى سنة ٢٢٠ وابنه على الهادى المتوفى سنة ٢٥٤ وهم على هذا الترتيب مثبتون فى النسب الذى رواه المقريزى وأثبت المقريزى من بعدهم جعفر وابنه حسنا وجعفر هو أخو حسن العسكرى الشهير وحسن هو ابن أخى حسن العسكرى الشهير سمى باسم عمه ومن بعد جعفر وابنه حسن أثبت المقريزى محمدا وابنه عليا ومحمد هذا غير محمد الجواد المتقدم وابنه على غير على الهادى المتقدم بن محمد الجواد ثم أثبت المقريزى عيسى من بعد محمد وابنه على وبالتأمل فى رواية المقريزى تجد من بعد عيسى أن محمدا وابنه عليا تكررت مرتين وأن حسن بن جعفر أثبتت بينهما وأن الأولى منهما محمد الجواد وابنه على الهادى ، هذه هى رواية المقريزى على هذا الترتيب أما رواية ابن زبك فلم يتكرر فيها محمد وابنه على مرتين فلم يكن حسن ابن جعفر بينهما ولم يجعل الأولى منهما الكائنة فى أعلى النسب والمتصلة بالأئمة الاثنى عشرية هى محمد الجواد وابنه على الهادى بل جعل الثانية منهما هى محمد الجواد وابنه على الهادى وأثبت حسنا ابن جعفر بينهما وبين الأئمة الاثنى العشرية ولم يذكر محمدا وابنه عليا الاولى لأنها عنده هى الجواد وابنه على الهادى وقد ذكرهما فلم يكررهما هذا هو الفرق بين الروايتين من أثبت الألقاب ومن لم يثبتها ، وليس من بين أجداد البدوى من الأئمة الاثنى عشرية باتفاق السيد الحسن شقيق مولانا الامام الحسين ولا السيد حسن العسكرى الشهير بابن على الهادى ولا ابنه محمد المنتظر ، وقد اشتبه على بعض الناس حسن بن جعفر ابن أخى حسن العسكرى باسم عمه فظنه حسنا العسكرى وهو ظن خاطىء لأن حسنا العسكرى وجعفر ابنان لعلى الهادى بن محمد الجواد فكيف يكون العسكرى ابنا لأخيه ، وكل المؤرخين لم يكتبوا الا حسنا مقرنا بجعفر فتسمية حسن بن

جعفر بالعسكرى تسمية خاطئة نشأت من اشتباه اسمه باسم عمه ولا يبعد أن يكون حسن بن جعفر لقب بالعسكرى تشبيها بعمه فظنه بعض الناس العسكرى الشهير .

الاعتراض على سيدى احمد البدوى

أذكر لك قصة مخزية ومحزنة جادت بها قريحة نفس متأزمة حصرت همها فى الطعن فى أحباب الله وأضاعت حياتها تعمل على اطفاء نور الله ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الظالمون فكان من المخزى حقا أن يظهر بين الناس من يرفع رأسه ويمد عنقه ويحرك بدنه ويقول فى نعابه هل كان أحمد البدوى من نسل على وكأنه كان فى نومة أهل الكهف فلم يسمع ما دونه المؤرخون فى نسب السيد البدوى واتصاله بعلى كرم الله وجهه حتى قام من سباته يستفهم عن ذلك معلنا غفلته عما توافق عليه كل المؤرخين قال ذلك المتأزم : يذكرون أن سبب هجرة أجداده الى الغرب أن جده محمدا الجواد بن حسن العسكرى هاجر خوفا من الحجاج حين نكل بالأشراف ثم قال حضرته والتاريخ الصحيح يدحض هذه الرواية ويقطع بكذبها من وجوه كثيرة منها أن محمدا الجواد هو ابن على الرضا وليس ابنا لحسن العسكرى انتهى الوجه الأول من الوجوه الكثيرة ، ثم قال ومنها أن محمدا الجواد الذى قيل انه هاجر خوفا من بطش الحجاج كان ميلاده سنة ١٩٥ هجرية وتوفى فى بغداد سنة ٢٢٠ أما الحجاج فتوفى سنة ٩٥ أى أن وفاته كانت قبل ميلاد محمد الجواد بمائة سنة ، ثم قال وبانهيار هذه الحجة ينهار معها نسب أحمد البدوى الى العترة النبوية ولا يستحق هذه السيادة المزورة . انتهى الوجه الثانى من الوجوه الكثيرة واختتم بعد ذلك فصله المضحك ولم يذكر وجوها كثيرة ولا قليلة .

ونحن نقول له ان التاريخ الصحيح يدحض روايتك ويقطع بكذبك فان أحدا لم يقل أن سبب هجرة أجداده أن جده محمدا الجواد بن حسن العسكرى هاجر خوفا من الحجاج بل الذى قاله الشعرانى فى سبب الهجرة هذا نصه : كان مولد سيدى أحمد بزقاق الحجر ببلدة فاس بالمغرب الأقصى لأن أجداده انتقلوا أيام الحجاج اليها فتراه قال أجداده ولم يقل محمدا الجواد ابن حسن العسكرى كما تقول والذى قاله ابن أزبك الصوفى فى سبب

الهجرة لم يذكر فيه أن محمدا الجواد هو ابن حسن العسكرى وهذا هو نصه كما فى صحيفة ٦٤ من الخفاجى قال ابن أزبك فلما قتل الحجاج جماعة من الأشراف خافوا وتفرقوا فى البلاد ولم يتخلف فى مكة غير الشريف محمد الجواد بن على الرضا بن موسى الكاظم فتراه قال محمدا الجواد بن على الرضا ولم يقل ابن العسكرى كما تزعم وبذلك انقطعت حجتك وظهر كذبك أما اذا كان قد اشتبه عليك حسن بن جعفر باسم عمه فظننته حسنا العسكرى فاختلقت هذه الرواية من خيالك فقلت يذكرون أن سبب هجرة أجداده الى الغرب أن جده محمدا الجواد بن حسن العسكرى الخ والواقع أن أحدا لم يذكر ذلك كما بينا فانك بذلك تكون واهما ومدلسا فيدور أمرك بين شيئين لا ثالث لهما اما الكذب واما الوهم والتدليس وقد نبهنا على هذا الخطأ فيما سبق وقلنا قد يشتبه على بعض الناس حسن بن جعفر ابن أخى حسن العسكرى فيظنه حسنا العسكرى وهو ظن خاطىء وقلنا كل المؤرخين لم يكتبوا فى النسب الا حسنا مقرونا بجعفر فتسمية حسن بن جعفر بالعسكرى تسمية خاطئة نشأت من اشتباه اسمه باسم عمه .

أما ما ذكرت فى بيان سبب هجرة أجداده من المقارنة والمفارقة التاريخية بين الحجاج وبين محمد الجواد ثم انتقالك من ذلك الى الطعن فى نسب السيد البدوى فهذا يدلنا دلالة قاطعة على أنك لا تتدبر الأمور على حقيقتها ولا تعرف كيف تصدر حكمك فى أبسط القضايا الضرورية ولا تدرى معنى للانصاف فى الحكم ، وما هى العلاقة بين نسب السيد البدوى وبين كاتب أخطأ فى تاريخ هجرة جده ـ ان خطأ الكاتب أمر يرجع الى عدم عنايته بتاريخ الهجرة وان شئت قلت الى جهله بهذا التاريخ .

فاذا كان هناك كاتب ذكر ان هجرة جده محمد الجواد كانت فى القرن الأول والواقع أنها كانت فى القرن الثالث فهل من العقل أن تتخذ ذلك ذريعة الى الطعن فى النسب المجمع على اتصاله من جميع المؤرخين وتقول ما دام هناك كاتب أخطأ فى تاريخ هجرة جده فان نسب السيد البدوى الى العترة النبوية ينهار وهو لا يستحق هذه السيادة ، المزورة لست أدرى ما هى علاقة الأنساب بخطأ بعض الكتاب فى تاريخ الهجرة لو أن كاتبا ذكر أن هجرة

الرسول صلى الله عليه وسلم كانت عام الفيل ومعلوم أن عام الفيل هو عام ولادته لا عام هجرته فهل يصح أن نقول لن هذا الكاتب قد أخطأ فى بيـان هجرة الرسول فاذن يكون نسب الرسول صلى الله عليه وسـلم الى عدنان نسبا غير صحيح هذا هو منطق المعترض وهذا هو علم المعترض ليته سكت وليته ستر نفسه ولم يكشفها بقوله هل كان أحمد البدوى من نسل على.

هجـرة أجداده الى بلاد المغرب

أسرة سيدى أحمد لم توجد الا أيام أن وجد هو فى سنة ١٩٦ هجرية ووجد أبواه واخوته فاذا قرأت فى كلام المؤرخين أن أسرته هاجرت من مكة الى بلاد المغرب فاعلم أن ذلك المهاجر هو أحد أجداده لا أسرة سيدى أحمد لأنه لم تكن له أسرة الا فى ظهر ذلك الجد ، واذا قرأت أين كانت أسرته فى هذه القرون الستة قبل ميلاده فابحث أين كان أحد هؤلاء الأجداد فحيثمـا كان فى هذه القرون كانت هذه الأسرة منطوية فيه.

وقد ابتدأت أسباب هجرة أجداده من انحجاز حينما استأثر بنو أمية بالملك ونحوا عنه أبناء على كرم الله وجهه . ولخشيتهم على ضـياعه منهم ورجوعه ثانيا الى أبناء على فى زمن محاربة الحجاج لابن الزبير أمعنوا فى مطاردتهم وبالغوا فى قتلهم واخراجهـم من ديارهم ، وبالضرورة لم تكن هجرة هؤلاء الأشراف دفعة واحـدة بل كانت فى فتـرات متطاولة ممتـدة بامتداد عهد بنى أمية فى الملك ومن ورثه عنهم من العباسيين لأنهم ماكانوا يطاردون الا من وجدوا فيه كفاءة للخروج عليهم وشعروا بأنه يعمـل لسلب الملك منهم أما غيرهم ممن لم تجتمع فيهم صفات الملك فكانوا على حالهم الى أن يجدوا فيهم تلك الصفات فيطاردونهم ـ فأجداد سيدى أحمد الأوائل أعنى محمدا الباقر وابنه جعفر الصادق وابنه موسى الكاظم وابنه عليا الرضا ولدوا جميعا بالمدنة ومنهم من توفى بها ومنهم من توفى ببغداد مسـجونا فى عهد الرشيد وهو الكاظم ومنهم من توفى خيانة فى عهد المأمون سنة ٢٠٢ وهو على الرضا ومعنى ذلك أن هجرة أجداده الى المغرب لم تكن قبل القرن الثالث الهجرى فرواية بعضهم أن هجرة أجداده كانت خوفا من بطش الحجـاج فى

القرن الأول غير واضحة ــ ويظهر أن الحجاج لما أصبح حجر الزاوية فى فتنة مطاردة الاشراف وقتلهم بغــير حق بسبب أن هذا الحــدث التاريخى كانت نتيجة من نتائج تصرفاته وجبروته صار يذكر فى كل فتنة من هذا النوع سواء باشرها أو لم يباشرها فيقال فلان من الأشراف هاجر فى أيام فتنة الحجاج ولو لم تكن فتنة الحجاج لأنه أصل هذه الشنيعة النكراء فصار الناس ينسبونها اليه ولو لم تكن من عمله ، ويروى المؤرخون أن أول من هاجر من أجداد سيدى أحمد البدوى الى بلاد المغــرب هو الشريف محمد الجــواد بن على الرضا بن موسى الكاظم كما ذكر ذلك الخفاجى نقلا عن ابن أزبك وذكر أن سبب الهجرة هى فتنة الحجاج وقد ذكرنا أن هذه الرواية غير واضــحة ــ والذى يظهر أن سبب هجرة محمد الجواد هو أنه لما رأى أن الخليفة محمدا المهدى العباسى استقدم جده موسى الكاظم من المدينة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام وسجنه ببغداد ولم يطلقه من سجنه الا برؤيته لعلى كرم الله وجهه يقول له يامحمد فهل عسيتم ان توليتم أن تفسدوا فى الأرض وتقطعوا أرحامكم ، ثم رأى الجواد أن الرشيد من بعد المهدى سجنه ثانيا فى بغداد ولم يخرج من السجن الا ميتا ودفن بالكاظمية هناك ، ورأى الجواد أن عمه زيدا بن موسى الكاظم خرج على الخليفة المأمون بن هارون الرشيد ، بالبصرة وفتك بأهلها ثم كانت بينه وبين المأمون مناورات انتهت باخلاد زيد لطاعة المأمون ، ورأى الجواد أيضا أن أباه عليا الرضا مات خيانة على ما قيــل .. أقول ان محمــدا الجــواد لما رأى هذه التعسفات من الخلفــاء العبــاسيين مع جده وعمــه وأبيــه وجد أن الاقامة بالحجاز أصــبحت متعــذرة فى ظل العباســيين وأضحت خطرا على نفســه لأن اضــطهادهم للعلــويين كان يتجــدد بين آن وآخر وبصــورة تدعو الى الخوف وعدم الاطمئنان ، هاجر الى بلاد المغرب الأقصى بعيدا عن سيطرتهم ونفوذهم وتجنبا لاضطهادهم وروى ابن أزبك فى كتاب النســبة انه نزل بفاس وتزوج من ابنة السلطان وأنجب منها ابنه عليا الهادى ، ثم تزوج أحمد البدوى رضى الله عنهما ، وظاهر هذه الرواية يدل على أن نزول محمد الجواد كان بفاس فى القرن الثالث وأن أجداده لم يسكنوا البادية بدليل

تزوجه من ذوى السلطان فى تلك البلاد وهم لا يزوجون عادة سكان البوادى ومصاهرة محمد الجواد لذوى السلطان من سكان فاس أسبابها واضحة ، لأنه كان من الظهور بحيث لا تخفى مكانته على أحد فى سائر البلاد الاسلامية لاسيما وقد كان هـو وآباؤه طلاب أكبـر خلافة فى الأرض انتزعهـا منهم الأميون والعباسيون بغير حق وبالضرورة كان بيتهم فى المدينة مقصدا للتبرك بهم من كل وافد لزيارة قبر جدهم من حجاج بيت الله الحرام مغربيا كان أو غير مغربى فلم يكن محمد الجواد نكرة فى المغرب حتى لا يرغب فى مصاهرته ذوو السلطان حين نزل بأرض فاس بل ان هذا الظهور وتلك المكانة لم تفارق أجداد السيد أحمد البدوى وآباءه مدة هجرتهم الى بلاد المغرب وبعد عودتهم من تلك الهجرة الى الحجاز بدليل ما رواه المؤرخون من تلك التوديعات التى ودعهم بها أمراء فاس وشعبها حين عودتهم وبدليل تلك التلقيات التى تلقاهم بها القبائل فى كل مرحلة من مراحل تلك العودة بل وأمراء الحجاز نفسه حين عودتهم الى أوطانهم سالمين .

عودة الاسرة من فاس الى مكة والسبب المباشر لهذه العـــودة

كانت الاسرة حـين عودتهـا من فاس الى الحجـاز مكونة من عشرة أشخاص عميدها الولى الكبير السـيد على البدرى الذى نظمه سيدى أحمد البدوى فى سلك الأئمـة الاثنى عشرية فى أبياته التى كان يرددها فى منامـه وأجمع المؤرخون على صحة ما ورد فيها من تواريخ الأئمـة الاثنى عشرية حيث قال فى ختامها بيتا خاصا بأبيه عـلى البدرى معبرا فيـه عن مركزه فى الخلافة الصوفية وهو .

وأمـا على فالخليفـة بعـدهم   على سائر الاقطاب وهـو مؤدب

وزوجته عربية الأصل فاطمة بنت محمد بن احمد بن عبد الله بن موسى ابن شعيب المزنية من بنى مزينة، وأولاده الثمانية سيدىأحمد وهو آخرهم ولادة ، وأكبرهم مقاما ، وأخوه الحسن وهو أكبرهم سنا وكان على بصيرة

ومعرفة بالله تعالى وعلم تام بأرباب الأحوال وذوى المقامات وما يجرى بينهم فى عالم الأرواح والأشباح كما يؤخذ من بيانه لسيدى أحمد حينما أراد الرحلة الى بلاد العراق ، وأخوه محمد ولم يرو لنا المؤرخون شيئا نعرفه به الا أنه مات بمكة ولم يعقب ـ أما أخواته الخمسة الاناث فهن فاطمة وزينب ورقية وفاطمة وأم كلثوم عاش منهن بعد سيدى أحمد فاطمة وزينب ورقية وفضة ، ورثينه بمرثيات ذكرها الخطابى فى تاريخه . كما عاش من بعده أخوه الحسن ويظهر أنه دفن بمكة ـ ويذكر بعضهم لعودتهم أسبابا منها اضطراب أحوال بلاد المغرب فى ذلك العهد ويظهر أن السبب المباشر لهذه العودة هو ما ذكره المؤرخون من أن سيدى على البدرى رأى فى المنام من يقول له ارتحل من هذا المكان الى مكة فان لنا فى ذلك شأنا لا سيما وهو يعلم أن المتصوفة أجمعوا على أنه اذا أمر أحدهم بالانتقال من مكان الى مكان فانه تجب المبادرة بهذا الانتقال حتى ولو لم يكن لذلك الانتقال وجه ظاهر فى نظر العقل ـ واذا خير فى الانتقال الى مكانين فليختر أثقلهما على نفسه لأن الخير فى ذلك أكثر ، وفى سبيل امتثال هذا الأمر ترك سيدى على البدرى بيته وضياعه وتجرد من كل ما يملك طالبا مع زوجته وأولاده مكة ـ وقد ظهرت عروبته الأصيلة فى بيتين أنشدهما يوم الرحيل حنينا منه الى وطنه الأصلى وهما .

رحلنا الى أرض يفوح شذاؤها　　الى عرب مالى سواهن مدخر
رحلنا اليها نستظل بظلها　　يصير لنا فيها مقام ومصدر

والمصدر كالصدر أعلى مقدم كل شىء وقد صار له ولأبنائه بعد العودة الصدارة فى الولاية الكبرى ، وكأنه فهم أنه سيصير لهم ذلك من قول الآمر له بالرحيل فان لنا فى ذلك شأنا .

بدء العودة ونهايتها وسنه حينذاك

اتفقوا على أن بدء العودة كان سنة ٦٠٣ واختلفوا فى نهايتها فالأكثرون على أنهم وصلوا مكة سنة ٦٠٧ وغيرهم على أن سيدى أحمد حج مع أبيه سنة ٦٠٩ فيكون وصولهم فى ذلك العام فتكون مدة الرحلة أربع سنوات أو ست

سنوات على الخلاف المذكور . وقد اتفقوا على أن ميلاده سنة ٦٩٦ فتكون سنه حين بدء العودة سبع سنوات باتفاق وحين نهايتها أحد عشر عاما أو ثلاثة عشر عاما على الخلاف فى مدة الرحلة ــ والأظهر أن مدة الرحلة أربع سنوات كما روى عن الشريف حسن ــ ويقال انهم مروا فى طريقهم بمصر وأقاموا فيها نصف هذه المدة .

ماذا بعد العـــودة الى مكة

أقام سيدى أحمد بالحجاز الى حين رحلته الى العراق ســبعا وعشرين سنة قضاها على النحو الآتى ــ اتم حفظ القرآن ثم تعلم علم القراءات وتفقه على مذهب الامام الشافعى ــ ويظهر أنه لقوة بنيته وشجاعة قلبه مارس فن الرياضة أيضا وفى ذلك يقول أخوه الحسن لم يكن فى فرسان مكة والمدينـــة فارس أشجع من أخى أحمد وبعد ان كملت فيه صفات الرجل العالم والمؤمن القوى تحول بكليته الى ناحية العمل فأخذ يعالج نفسه بشتى أنواع العلاج فلازم الصيام ثم أدمن عليه حتى كان يطوى أربعين يوما لا يتناول طعاما ولا شرابا وداوم على السهر فى العبادة حتى كان لا ينام الليل كله وكان أحيــانا يتعبد فى الكعبة وأحيانا فى جبل أبى قبيس وقال أبو الســعود الواسطى فى تاريخه انه فتح عليه فى جبل ابى قبيس ثم لازم الصمت واعتزل الناس جملة ــ ثم ظهر عليه الوله وهى حالة عرضية تعرض للمريد السالك حين استغراقه فى مشاهدة انوار الذات العلية تتلاشى معها الأعراض البشرية من أكل وشرب ونوم وكلام ــ ثم يعقبها حالة أخرى تعرف فى لسان القوم بحالة الصحو بعد المحو وحالة البقاء بعد الفناء فتعود معها تلك الأعراض لكن بصورة مخففة وفى أثناء هذه المدة حج والده سنة ٦٢٧ هجرية ومات فى سنته ويظهــر من متابعة عادة سكان مكة أن سيدى أحمد حج كثيرا وزار قبر جده كثيرا ولم يذكر المؤرخون كم مرة حج ولا كم مرة زار ويؤثر عنه بيت من أدبه الرقيق قاله عند انصرافه من احدى زياراته لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

يقولون :

زرتــــم بمــــا رجعتـــــم يا أكــرم الرســل مــا تقــول

فسمع من يقول له بيتا أرق أدبا وأبعد مغزى وهو يدل على شدة اتصال سيدى أحمد بحضرة الرسول وهو :

قولوا رجعنا بكل خير ... واتحد الفرع والأصول

كما يدل على شدة هذا الاتصال قول سيدى أحمد .

ليس لى شيخ ولا لى قدوة ... غير خير الرسل طه الأولا
قرشى الوقت حقا نسبتى ... تنتهى للمصطفى من قد علا
كل ولى آخذ عهدى كما ... كل قطب كان قبلى أولا
ما عطى قبلى ولا بعدى أحد ... من علومى واتصالى خردلا

ويوضح قوله واتحد الفرع والأصول ما خفى فى البيتين الأخيرين فان كل ولي وكل قطب قبله يأخذ عهده عن شيخه بالضرورة وشيخه انما يعطى ذلك العهد بالنيابة عن حضرة الرسول فاذا اشتد قرب أحد بحضرةالرسول ساغ أن يقول كل ولى وكل قطب آخذ عهدى وساغ أن يقول ما أعطى أحد من علومى واتصالى خردلا .

لماذا لم يتزوج السيد احمد البدوى

كان انصرافه الى العبادة على النحو الذى سلف اكبر صارف له عن الزواج فان من أدمن على أن يقطع ليله قائما ونهاره صائما فقد أحيا فى نفسه عوامل الروح ودوافعها وأمات فيها دوافع البشرية ونوازعها وتموت معها رغباته الطبيعية ويتجه بطبيعة الحال الى ما تقتضيه دوافع الروح وهو طلب معرفة الله وينصرف عما تقتضيه دوافع البشرية وهو طلب النساء لانعدام تلك الدوافع فيه . وقد يكون من عوامل اعراضه عن الزواج ما رواه المؤرخون من أن أخاه الحسن تزوج سنة ٦١٧ وأن أخاه محمدا تزوج سنة ٦٢٦ ولكون سيدى أحمد يليهما فى السن كان زواجه تاليا لزواج أخيه محمد الا أن الذى تلا زواج محمد هو وفاة والدهم سنة ٦٢٧ ، ثم وفاة محمد سنة ٦٣١ وبذلك تفككت الأسرة وكان لتفككها فى نفس سيدى أحمد أثره المعروف فعززت هذه العوامل عزوفه عن الزواج لما عرضه عليه أخوه الحسن .

رحلته الى العراق وأسبابها

ترجع أسباب هذه الرحلة الى أنه رأى وهو نائم بجوار الكعبة من يوقظه فاستيقظ وتوضأ وقرأ ورده الذى نام عنه وفهم أن ايقاظه لهذا السبب ثم نام فجاءه وأمره بالرحلة الى العراق فأخبر أخاه الحسن بذلك فحذره من السفر الى العراق لأنه برزخ الأولياء والصالحين وبين له ما يقع أحيانا بين أربا ب الاحوال وأصحاب المقامات العالية من المنازعات والمخاصمات فى الأمور التى تتعلق بآدابهم وعاداتهم وكأنه كان بصيرا بهذه الأمور ملما بها عالما حق العلم بها كما يبدو واضحا من كلامه بل الذى يظهر من كلامه أنه خاض تلك الأمور واصطلى بنارها ـ ولهذا كان شديد الخوف على أخيه من تلك الرحلة وحذره منها كل التحذير الا أن السيد البدوى أصر على هذه الرحلة لما رآه أولا ولأنه رأى الكيلانى والرفاعى يستحثانه على السفر ويعرضان عليه الزعامة الدينية فى بلادهما فقال لهما أنا منكما ولكن أنا لا آخذ المفتاح الا من يد الفتاح . ورافقه أخوه فى هذه الرحلة شفقة عليه فسافرا يوم الاثنين عاشر المحرم سنة ٦٣٤ ووصلا فى شهر ربيع الأول من تلك السنة ، فزارا جدهما السيد موسى الكاظم ثم السيد عبد القادر الكيلانى والحلاج وأبا الوفا والزوالى والبزار وعدى بن مسافر وغيرهم ، ويقول الحسن انهما كانا يلقيان فى كل منزل ينزلان فيه كل تقدير وأنه بنيت باسمهما أروقة وزاوية للاقامة فيها ، ولكنهما أبيا ذلك وواصلا سفرهما الى قرية أم عبيد لزيارة السيد أحمد الرفاعى . وبعد تمام هذه الزيارة رأى السيد أحمد البدوى أن الرفاعى يأمره بالذهاب الى بنت برى ليكفها عن سيرها المعوج فى طريق القوم ويردها الى الصواب فيما يقع منها من تعرضها للرجال وسلبهم رأس مالهم فى طريق القوم . فبدا له أن يذهب اليها ليقوم بهذه المهمة الدينية ، الا أن أخاه الحسن غلبت عليه شفقته على أولاده فبدا له أن يعود الى مكة ويترك سيدى أحمد بالعراق ليقوم بهذه المهمة ، فودع كل منهما أخاه ، فانصرف الحسن الى مكة ، وانصرف سيدي أحمد فى طلب بنت برى .

قصة بنت برى

كانت مفارقة سيدى احمد لأخيه الحسن فى رحلتهما الى العراق هذا الى مكة وذاك الى بنت برى ميقاتا أقت به المؤرخون مبدأ هذه القصة وكانت دليلا واقعيا على أن لها أصلا فى تاريخ رحلته الى العراق وأنها جزء متمم لهذه الرحلة وقد اشتهرت هذه القصة بين الناس وتناقلوها جيلا بعد جيل كما تناقلها المؤرخون بصفة مفصلة تارة وبصفة مجملة تارة أخرى ويظهر أن السبب فى هذا الأجمال هو غموض عناصر هذه القصة وكثرة المبالغات التى داخلتها من تحريف الناقلين أو المتحيزين فقد بالغوا فى عدد الجمال التى كان يرعاها سيدى احمد لبنت برى حتى أوصلوها سبعة آلاف وقد لا تتجاوز السبعين ، وبالغوا فى أن سيدى أحمد خسف ببنت برى الأرض فغاصت فيها هى وفرسها الى حماليق العيون وبالغوا فى الموقعة التى خاضها سيدى أحمد وأعوانه من الأرواح الصالحة مع بنت برى وأعوانها من أرواح الصالحين بما لا يتفق مع الحقيقة فى شىء وبالغوا فى كيفية تعرض بنت برى لأرباب الاحوال من الرجال حتى أظهروها بمظهر المستهترة المبتذلة كل هذه المبالغات التى ادخلت عى هذه القصة شوهت جمالها وسترت جلالها وأبرزتها فى صورة القصة المزدراة . فأجملها بعضهم اجمالا ، ولكونها كما قدمنا لها أصل فى تاريخ السيد البدوى وجزء هام من أجزاء رحلته الى العراق آثرت أن أكتبها مجردة عن تلك المبالغات موضحا ما يمكن ايضاحه بقدر ما يقتضيه المقام فأقول :

كانت فاطمة بنت برى سيدة غنية بالمال رائعة فى الجمال وعليها مسحة من الجلال لا تقع عليها العين حتى تقع هى فى القلب ــ ولها أيضا رأس مال من العمل الصالح اكسبها بعض منازل أهل القرب من ارباب الأحوال . ويذكرون من حالها أن لها فرسا معلمة كانت تركبها بغير لجام وأينما أرادت ان تسير هى سارت فرسها تبعا لما تريد ــ وقد أحبها الناس واشتغلوا بها طلبا لتحصيل رضاها وقد يكون أيضا طمعا فى مالها وجزيل بذلها . ويظهر انها لم تحسن التصرف فيما كسبته من حال ومنحته من جمال فاعتمدت فيهما على ثقتها بنفسها ولم تراع مع تلك الثقة قواعد الشرع وصريح الأحكام ، فالعادة المتبعة عند أرباب الأحوال وذوى المقامات أن يمتحنوا من توسموا

فيه صدق النية وسلامة القصد بأن يأمروه ببذل شيء من حطام الدنيا يعز على نفسه ويعظم عليها أن تخرج عنه للفقراء والمحتاجين ، لينظروا منه عمليا صدق نيته وسلامة قصده ، وهل خرج حب الدنيا من قلبه أو لم يخرج . وهذه سنة من سنن الله فى امتحان عباده كما هو واضح من مشروعيـة الزكاة . أما فاطمة فقد جعلت مقياس صدق النية وسلامة القصد عندها هو أن تتعرض بوجهها الفاتن لمن تريد امتحانه فاذا تتابعت منه النظرات علمت أنه ليس من الصادقين ، واذا لم تتابع منـه النظرات أولته مكان القـرب والتكريم ، وقديكون ذلك منها اعتمادا على ثقتها بنفسها كما تقدم ، الا أن الشرع لا يمكن أن يعفيها من ذلك مهمـا حسن القصـد وقويت الثقة بالنفس ، لا سيما وقد يترتب على ذلك سلب الرجال أحـوالهم وضياع ثمرات أعمالهم من حيث لا يشـعرون ، ويظهر أنه تكرر منها اجراء هذا الامتحان ، ويظهر أن كل الممتحنين سقطوا من أول نظرة فى صحيفة الامتحان وقد يكون هذا التعرض من طغيان حالها الذى كسـبته بعملها الصـالح ، فان لكل حال عال ومقام سام طغيـانا كطغيان العلم وطغيان المال ، فقـد يكون هذا الذى رسمته لنفسها من طغيان حالها الذى لم تتفطن له فاطمة فسلبت حالها وخسرت أرباحها ونعوذ بوجهه الكريم من السلب بعد العطاء ويجوز أنها توسعت فى اجراء هذا الامتحان فأجرته مع الأقربين منها وغير الأقربين .

لم ترض هذه الطريقـة أهل العلم والنظر من سـكان العراق لا سـيما الرفاعي والكيلانى حاملا لواء العلم والمعرفة فى هذه الأصقاع ، ولم يجدا أحدا يملك زمام نفسه ويقدر بقوته الروحية على ازالة هذه الفتنة الدينية الا سيدى أحمد البدوى فانتدبه الرفاعى مناما لهذه المهمـة أثناء زيارته له فى رحلته اذ رآه يأمـره بالذهاب الى بنت برى ليؤدبها ويرجعهـا عن التعـرض للرجال وسلبهم أحوالهم فصدق سيدى أحمد هذه الرؤية خير تصديق وقاسى فى سبيل تحقيقها ما تعجـز عنه همم الرجال فانطلق هو وأخـوه من قرية أم عبيدة مقر الرفاعى الأخير الى بغداد وهنا فارقه أخـوه كما قدمنا وذهب هو وحيدا بنفسه قويا بربه فى طلب بنت برى بناحية العشائر فى شمال العراق ـ

ولما نزل بعشيرة بنت برى تظاهر بحيلة غريبة ليحفظ بها نفسه وليطمس بها ما قد يتسرب الى علمها من خبر رحلته اليها لأنها من أرباب الأحوال كما قلنا فربما ينكشف فى علمها معرفة وجهة نظره قبل أن يصل اليها وقد نفعته هذه الحيلة أعظم نفع وأتمه ـ فتظاهر بأنه أصم لا يسمع وأبكم لا يتكلم ـ قال سيدى أحمد لما أقبلت على بنت برى جعلت نفسى أخرس أطرش ووجدتها تقول كل غريب يجيء اليكم « هاتوه هنا » ، وكأنها عرفت قصده قبل أن يصل اليها ، فلما أقبل على فتياتها كلمنه فلم يجبهن ، ولكنه فلم يجبهن ، فأخذته الى بنت برى ، فلما وقف بين يدها نادته فلم يجبها . فقالت : سبحان الله ، متعجبة من أن نظرها يخيب وفراستها لا تصيب ، فقال لها من حولها ان الناس تتشابه وهذا أخرس وأطرش وأبله . فقالت : أخاف أن يكون الذى رأيته . وكانت قد رأت أن عاقبة أمرها صائرة للزوال ممثلة فى صورة رجل بدوى يقدم عليها ويقضى على طريقتها ويسلبها حالها ، كما يرى أحدنا عاقبة أمره فى أحداثه وشئونه مناما . وقد تكون قد رأت ذلك بصورة واضحة لأنها كما يذكرون أعطيت عطاء جزيلا .

ولهذا كان عجبها شديدا حينما نادته فلم يجبها، وقالت الشخص شخص الذى رأيت فسبحان من ليس له شبيه ، ثم أمرت باخلاء سبيله ، الا أن النقيب أشار عليها بأن يرعى جمالها ، وكأن هذا منه من باب الشفقة والرفق برجل أبله أطرش أخرس لا يعى مايقول فناداه النقيب وقال له ترعى الجمال فلم يجبه قال سيدى احمد فصرخ فى أذنى صرخة تزعزع الجبال مبالغة فى شدتها فأشار برأسه الى أسفل ـ أى نعم أرعى الجمال ـ فقالت بنت برى يانقيب بالله شيعه عنى فان قلبى خائف منه ـ ولما وصل مع النقيب الى الجمال ألفته وكرفت رائحته ـ لأن بيت النبوة لهم رائحة خاصة يعرفون بها وأعرفهم أنا بها اذا شممتها منهم وأميزهم بمجرد استنشاقها من عرقهم أو ثيابهم أو أبدانهم ولو كانوا فى عرض الطريق وقد رأيت فى كتب المؤرخين أن سيدى أحمد كان يعرف الشريف من غيره اذا شم منه رائحته ـ فأشار الى الجمال كما هى عادة الأخرس أن تسير الى المرعى فسارت وانتشرت ترعى ليلا وتعود نهارا ـ قال سيدى أحمد وفى اليوم السابع قلت فى نفسى أقضى أربى من

بنت برى فتمنى سيدى أحمد على الله أن تموت تلك الجمال لأنها سبب من أسباب غرورها ، وعنصر من عناصر اعجابا بنفسها فان الانسان ليطغى أن رآه استغنى . فما يشعر الا وقد رآها تساقطت بنفسها وماتت باذن ربها ، عندئذ قويت ثقته بنصرالله فتمنى علىالله ثانيا أن تحضر بنت برى الى المرعى ليرى فيها رأيه وليتمم أربه ولسبب من الأسباب رأت أن تذهب الى المرعى فلما رأت سيدى أحمد قالت لنقيبها ما أخوفنى أن يكون هذا هو الذى رأيته فى المنام ثم التفتت لنقيبها وقالت فقير حال أم محال بفتح الميم ـ أى هذا رجل من الأولياء أرباب الأحوال والمقامات العالية أو هو رجل محـل والمحل هو الذى لا ينتفع به ـ فقال لها النقيب وما هو فقير الحال ياسيدتى فقالت يكون هكذا وغرفت بيدها غرفة من الهواء كما يغرف الحاوى فاذا بقدح مملوء ماء فى كفها . قال سيدى أحمد فأشارت الى بالقدح ، قال فأخذته منها لئلا أخزيها ودحوته فى الهواء ، وكأنها بذلك أرادت أن تظهر له قوتها الروحية على اعتبار أنه جاء ليسلبها حالها ، فسأل الله فى نفسه أن يظهر فيها من بطشه وجبروته مايردعها عن غيها ويردها الى صوابها ، فلم تشعر الا وقد نزل بها وهى على فرسها ما أعجزهما عن الحراك والسير ، وكأنها تصلبت هى وفرسها فى الأرض فلا يستطيعان سيرا ولا حراكا ، وبالضرورة لم يظهر سيدى أحمد نفسه بمظهر الخصومة والمحادة لها لا سيما وهـو يعلم أنه وحيد فى أرضها وتحت متناول عشيرتها وأنه لا يسلم من بطشهم اذا ظهر لها بمظهر الخصومة والعداء ، بل كانت هذه الحوادث من موت الجمال جميعها وتصلبها هى وفرسها فى الأرض تتوالى وهو ساكت أخرس أطرش أبله لا يعى ما يقول ، وهم لا يجدون ما يوجهونه من لوم أو عتاب ، ولما رأت بنت برى أنها أصيبت بهذا التصلب وأن فرسـها المعلمة أصبحت غير قادرة على أداء مهمتها على اثر ما كانت تفخر به من أن الهواء ينقلب فى كفها ماء فى اناء ، أدركت أن الأمر جد خطير ، وأنه لابد أن يكون الرجل البدوى الذى رأته فى منامها يقدم اليها ويسلبها حالها ويقضى على طريقتها هو ذلك الرجل الأخرس العجيب . عنئذ صرخت واستغاثت بمن يغيثهـا ونادت ياآل برى ياآل نعيم . تنادى أهل الفضل عليها وأصحاب النعمة التى منحتها على أيديهم وساداتها فيما وصلت اليه من فتوح .

فرآهم سـيدى أحمـد يقبلون عليهـا من كل الجهات . قال سيدى أحمد فأيقنت حينئذ بالهلاك ــ وماذا يعمل وحده فى هذه القوة المستترة فى أعوان بنت برى والبادية فى أتباعها من آل برى وآل نعيم ــ لم يسعه الا أن يستغيث بربه ويستعين بأجداده من آل محمد وآل على فلحقه الغوث وجاءه العون من كل مكان ، ولما رأى أعوان بنت برى أعوان سـيدى أحمـد واقتنعوا بأن الحق فى جانبهم لم يسعهم الا التسليم لأعوان سيدى أحمد ولم تثبت لأعوانها قدم مع أعوانه لان النصر مقرون بالحق فحيثما كان الحق كان النصر ــ وفاطمة قد أخلت بواجبها وتمادت فى غيها وخرجت عن حدودهـا فاستحقت ما ألم بها فلم يسعها الا أن تعتذر عما فرط منها من سلب الرجـال وتعرضها لأرباب الأحوال فطلبت العفو من سيدى أحمد وأخذت تذكر له قول على كرم الله وجهه عجبت لمن يشترى العبد بمـاله ولا يشترى الحـر باحسانه وعفوه وامتنانه أى بالأحسان اليه والعفو عنه والمنة عليه ولم يسـع أتباعها حين سمعوها تعتذر اليه وتطلب العفو من هذا الأخرس الأطرش الأصم لم يسعهم الا أن يطلبوا منه العفو عنها واذا بالأخرس يتكلم وبالأصم يسمع ويملى عليهم شروط العفو ويقول بشرط أن لا تعود للتعرض للرجال من أرباب الأحوال وأن تعيش برأس مالها من الايمان فرضيت بتلك الشروط وحرمت عطاءها وسلبت حالها وانفض الناس من حولها وعلمت أن الابتلاء كما يكون بالشر يكون بالخير . قال تعالى : « ونبلوكم بالشر والخير فتنـة والينـا ترجعون » .

وقد ذكر الشعرانى هذه القصة مختصرة جدا ، فقال : كانت بنت برى امرأة لها حال عظيم وجمال بديع وكانت تسلب الرجال أحوالهم فسلبها سيدى أحمد البدوى حالها وتابت على يديه وتفرقت القبائل الذين كانوا اجتمعوا حولها أعوانا لبنت برى وكان يوما مشهودا بين الأولياء رضى الله عنهم .

والذى يلفت النظر فى هذه القصة هو مسألة حضور أرواح الصالحين ليكونوا طرفا ثالثا فى الخصومة ــ وهل يقع تخاصم بين الأرواح كما يقع بين الناس تخاصم ؟ والذى يظهر من قوله تعالى «ماكان لى من علم بالملأ الأعلى اذ يختصمون) ومن المقاولة التى حصلت من الملائكة فى شأن استخلاف آدم

وذريته فى الأرض ، ومن مقاولة ابليس فى أغواء آدم وبنيه ، ومن قوله تعالى : « ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة » أنه قد يقع بين الأرواح تخالف فى الرأى وقد يؤدى الى التخاصم والى ما هو أبعد من التخاصم كما يقع بين الأرواح وبين غيرها من الأحياء تعاون وتناصر ، لا سيما الأرواح الخيرة ونقل العلماء أن روح السيد الصديق رضى الله عنه تهزم جيشا بمفردها ، أما الأرواح غير الخيرة فقد قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك ، وانى عليه لقوى أمين . وذكر بعض المؤرخين لفاطمة أبياتا تنوف على خمسين بيتا تتضمن هذه القصة قالتها بعد توبتها وبعد أن عرضت نفسها للزواج من سيدى أحمد فأبى .

ومن هذه الأبيات قولها

يا قارىء الخط فاقرأ ما كتبت وكن ... ذا فطنة فهما حاذقا حذرا
وافهم كلاما رمزناه ليعرفه ... أهل الحقيقة ان هم أمعنوا النظرا
كتبت للحب فى قلبى محبته ... هذا الذى غاص فى قلبى وما ظهرا
يا طال ما كنت للفرسان أقتلهم ... فأسلبهم سرا كذا جهرا
قضيت دهرى والأيام تخدمنى ... فى صفو عيش ولم أنظر له كدرا
فتاهت النفس فى الأفعال واعتجبت ... وقالت الآن فقت البدو والحضرا
رأيت فى النوم أن القوم قد بعثوا ... لى الملثم ذا عزم له اشتهرا
فصاد قلبى بسر منه صيرنى ... عصفورة وهو لى كالسبع اذ كسرا
كتمت سرى وأمرى لم أبح بهما ... للخلق كلا ولم أظهر له خبرا
عرفت وصفا له فى النوم حليته ... ليست بخافية عمن له نظرا
وقلت ان جا غريب ليس نعرفه ... ملثم بلثام يشبه العذرا
هاتوه لى سرعة أو عاجلا بهتا ... واكرموه ولا تبدوا له ضررا
لما أتانا عرفناه بحليته ... حقا يقينا ولكن ذاك قد سترا
ناديته باسمه جهرا وكنيته ... فلم يجبنى ولم يبد لنا خبرا
فقال لى القوم والجمهور أجمعهم ... هذا أصم وأيضا فاقد البصرا
فقلت انى أخاف اليوم صولته ... لابد يبدى لنا من أمره ضررا

فقلنا له سيدى ترعى الجمال لنا ... أجابنا بنعم سرا وما جهرا
لما توجه تلقاء الجمال أتت ... اليه تكرف منه الند والعطرا
جاء النقيب وأخبرنى بقصته ... فقلت سيد قوم صار مفتخرا
ومد كفا بمتن الريح قد قبضت ... قلبى وروحى وكلى والحجا نفرا
ضاقت بى الأرض والدنيا بأجمعها ... وها فؤادى من الأحشاء قد ظهرا
لما ركبت وجئناه لننظره ... رنى الى ولى قد طول النظرا
أتى شجاعا وانى كنت أحذره ... فما سلمت وعنه ساعدى قصرا
وطاوعته الأراضى فالتطمت بها ... لما رآنى وللأرضين قد أمرا
فصحت يا آل برى من أماكنكم ... هيا سريعا فقلبى صار منحصرا
جاءت رجال على خيل مضمرة ... كما رعود تسوق الوابل المطرا
لما رآهم تحققهم وأهملهم ... وللقتال أتى بالعزم وابتدرا
شال اللثامين عن وجه وبينه ... كأن عينيه جمرا يقدح الشررا
وقال يا ربنا انصرنى وساعدنى ... يا ناصر الرسل يا مولى قد اقتدرا
يارب عونا بمولى المؤمنين على ... فحل الرجال ومردى كل من كفرا
فجاءت الخيل فى الميدان واعتركت ... وأظلم الجو والاقطار واعتكرا
فصاح فى الخيل والفرسان جند لها ... وابن الرفاعى وعبد القادر اشتهرا
لما رأت آل برى صول خيلهم ... راموا الفرار وولوا منهم الدبرا
فقلنا لهم سادتى أنتم ذخيرتنا ... بكم نصول على الأعدا لننتصرا
نفارس منكمو فردا يعجزنا ... فكيف تقوى جيوش خصمهم قهرا
يا جاهلا عن كلام لست تعرفه ... فانما يعرف الأشيا من اشتهرا
ختمت قولى بتقبيلات نعلكم ... يا سيدى وأمير الناس والفقرا

ما هو أثر رحلة العراق فى سلوك البدوى

كانت رحلة العراق نقطة تحول كبيرة فى حالة سيدى أحمد النفسية فقد أعقب تلك الرحلة تغير ملحوظ فى سلوكه وعبادته لم يكن معهودا عليه قبل الرحلة فكان صيامه وصالا ، وقيامه انتصابا وكلامه اشارة وتحول بوجهه نحو السماء وقطع النظر عمن فى الأرض حتى قلقت عليه أخته الكبرى فاطمة فكانت تنبه أخاها الحسن من نومه ليلا وتشكو اليه من حالته وتبث له قلقها

على أخيها احمد وتقول يابن والدى ان أخى أحمــد قائم طول الليل وهــو شاخص ببصره الى السماء ونهاره صائم وانقلب سواد عينيه بحمرة تتوقد كالجمر وله مدة أربعين يوما ما أكل طعاما ولا شرابا ـ والذى يظهر لى أنـه استفاد من رحلته الى العراق كثيرا بسبب خلوص نيته فى زياراته لأجـداده وأبناء عمومته والصالحين فى العراق كما يظهر أنه كوفىء على ما بذل من جهد وضحى من راحته فى سبيل مرضاة ربه بذهابه لبنت برى ، فانه ليس بالهين على نفسه أن يذهب من بغداد الى العشائر شمال العراق وحيدا فريدا متحملا وعثاء السفر ووحشة الطريق ليزيل منكرا رآه منابذا لقداسة الدين الحنيف وقد يرى الواحد منا الف منكر من هذا النوع أمام عينيــه جهارا نهــارا ولا تتحرك فيه شعرة واحدة من ايمان ، ولا تنس مع ذلك أنه امتهن ولكز واقتيد واستخدم كما تستخدم العبيد ، وعرض نفسه للهلاك وأيقــن به كل ذلك فى سبيل مرضاة ربه وازالة هذا المنكر البغيض ، وكأنه لما أزال فتنة بنت برى التى كانت سببا فى سلب الرجال ثمرات أعمالهم كافأه الله بأن جعله سببا فى امداد الرجال بما يقوى روح الايمان والعمل فى نفوسهم جزاء وفاقا وانمــا كان جزاءا وفاقا لأنه أزال سبب السلب فوهبه الله سبب الامداد .

أمره بالانتقــال الى طنطا

كان انتقاله بناء على أنه سمع من يأمره ثلاث مرات بالسير الى طندتا ليقيم بها فانه يربى فيها أبطالا ورجالا وهذا الانتقال من نوع الانتقالات التى تحدث للربانيين الذين عناهم الله بعنايته وعهد اليهم أمر القيام بدعوته ليقوموا بنشرها فى الأمكنة التى يمكن أن تثمر فيها الدعوة وتلاقى فيها قبولا ـ وهو على نمط الهجرة التى كانت تحدث للمــرسلين ، وعلى غرار ما حدث لابــن العربى والشاذلى والمرسى وغيرهم كثيرون رضوان الله عليهم أجمعين ، وقد تكون لتلك الهجرة أسباب تقتضيها كظلم بعض الحكام وتوافق اعدائهم من شياطين المجرمين على ظلمهم واضطهادهم واخراجهم من ديارهم بغير حق ، وقد لا يكون لتلك الهجرة أسباب خارجية تقتضيها وقد يجتمع السبب الخارجى مع الأمر بالانتقال ، ولم تدم اقامته بمكة طويلا بعد رحلته الى العراق لأنــه وصل الى مكة سنة ٦٣٥ ودخل طنطا سنة ٦٣٧ ـ وقيل كان وصوله الى مكة

سنة ٦٣٤ أى فى نفس السنة التى أنشأ فيها رحلة العراق ودخل طنطا سنة ٦٣٥ وأيا ماكان فان اقامته بمكة لم تدم طويلا، ولايترتب على الاختلاف فى وقت دخوله طنطا الا أن اقامته بطنطا كانت ٣٨ سنة أو كانت أربعين ، وظاهر قول سيدى عبد العال خدمت الشيخ أربعين سنة فما رأيته غفل عن ذكر الله ، أن دخوله طنطا كان سنة ٦٣٥ لأنه توفى سنة ٦٧٥ وما بينهما هو أربعون سنة كما يقول سيدى عبد العال .

وكان نزوله بطنطا بشيرا بحلول الخير فيها وفتحا عمرانيا لها وسببا مباشرا لاشتهارها واقبال الناس عليها من كل صوب بسبب اقترانها باسمه وانتسابها اليه حتى صارت ثانية المدن التى تلى العاصمة فى علو الشان ووفرة السكان ، وأول مدينة تلى العاصمة فى القوة الروحية والنهضة العلمية والحركة التجارية ، وربما كانت أم المدن فى هدوء الحياة وطيب العيش وراحة الضمير ولم يكن لها من قبل شىء من هذه الميزات التى لازمتها وتتزايد فيها على مر السنين ، وكانت تعرف قديما قبل الاسلام باسم طنتثا ثم عرفت بعد الاسلام الى زمن سيدى أحمد باسم طنتدا ، وبعده عرفت بطنت ثم عرفت بطنط ، ثم عرفت بطنطا ، ويظهر أنها كانت فى الأصل اسما مركبا من طن ومن ثثا تركيبا يشبه فى لغة العرب التركيب المزجى كبعلبك فانه اسم مركب من بعل ومن بك وقد يكون ثثا اسم لمن أنشأ قرية طن مثل بشا الذى أنشأ قرية طن الثانية وبول الذى أنشأ قرية طن الثالثة من أعمال الدقهلية ثم دخل التحريف والتبديل على ثثا أربع مرات ولم يدخل على طن فى جميع العهود — ويظهر أيضا أن طنتثا أنشئت على ربوات عالية أو تلال متقاربة مرتفعة عن سطح الأرض قليلا بدليل تلك التدرجات والانحدارات التى تنتهى بها مسالكها وتتخلل بعض أجزائها ، وكان من بين تلك التلال التل الأحمر المجاور لدار شحيط والذى بنى مكانه سيدى عبد العال زاويته الاحمدية بعد أن أزاله بأمر سيدى أحمد البدوى قبل وفاته ، ولا يزال جزء من هذا التل الأحمر تقوم عليه أبنية مرتفعة بارتفاعه عن سطح الأرض فى الجهة المحاذية للباب الشرقى للجامع الأحمدى — ومن بينها أيضا التل الذى أقيم عليه مسجد البوصة (البهى الآن) ولعل الحداديين اختصوا بتل من تلك التلال ونسب اليهم

وعرف بتل الحدادين ، واشتهر على ألسنة الناس أن سيدى أحمد قال لا تقوم الساعة حتى تتصل أبنية طنطا بأبنية قحافة وكانت المسافة بينهما على عهده تقرب من كيلو مترين من الفضاء الفسيح والأرض المنزرعة وبعض المستنقعات ، ويوشك الآن أن تندمج أبنيتهما فى صعيد واحد .

المنازل التى نزل بها مدة اقامته بطنطا

أول دار سعدت بنزوله فيها دار الشيخ ركن الدين ، وكان يدعى بالركن أيضا ، واشتهر بركين . وكانت على مقربة من مسجد البوصة المعروف الآن بمسجد البهى ولعله أول مسجد نزل به وصلى فيه ، وقد يكون مبدأ التعارف بالشيخ ركن الدين وقع فيه أيضا وأقام فى هذه الدار اثنى عشر عاما تتابعت فيها الخيرات الدينية والدنيوية على ركين ، وذكروا من هذه الخيرات أن سيدى أحمد أخبر ركينا بأن البلاد ستواجه غلاء شديدا ترتفع فيه الاسعار ارتفاعا فاحشا ويكثر فيها الطلب ويقل العرض وأشار عليه بأن يشترى قمحا ويختزنه عنده بقدر ما تتسع له قدرته لينتفع الناس به ولا يحتاجون فى طلبه الى مشقة وعناء ثم قال له واكراما لهم ولنبيعهم أرخصه لهم اذا احتاجوه فامتثل ركين لمشورته وصار يشترى قمحا بكل شىء يملكه أو تملكه نساؤه من حلى أو متاع حتى اختزن عنده ما يستطيع اختزانه وبعد أن حصل الغلاء وارتفعت الأسعار عماكانت عليه خمسة أضعاف استأذنه فى البيع فأذن له وقال بع للناس وسامحهم وأرخص لهم فى الثمن وادخر ذلك عند الله فربح من بيعه ربحا عظيما قام على أثره بأداء فريضة الحج وتكاملت عليه نعمة الدنيا والآخرة ، ويروى بعض المؤرخين أن هذا الغلاء وقع فى سنة ٦٣٩ أى بعد دخوله طنطا بسنتين أو بأربع سنوات على ما علمت ، وذكروا لسيدى أحمد مع ركين قصة وقعت له أثناء حجه تشبه فى موضوعها قصة آصف بن برخيا أحد كتاب سليمان عليه السلام ، وقد ذكرها القرآن وذكر أنه أحضر عرش بلقيس من سبأ باليمن الى سليمان بالقدس فى مقدار ارتداد الطرف فلما رأى سليمان العرش بين يديه قال هذا من فضل ربى . ونحن نورد هنا هذه القصة كما ذكروها لأن فضل الله ليس حبسا على فريق دون فريق قالوا لما أراد ركين الخروج للحج استأذن سيدى أحمد فأذن له وقال له سافر

وتوكل على الله ويلاحظ أن اذنه له بالسفر قد اشفعه بطلب التوكل على الله وهذا الاذن بعينه وصورته الاذن الذى رواه الشعرانى ، وقد سمعه بأذنه الظاهرة من سيدى أحمد وهو فى قبره وبعد وفاته بما يقرب من ثلاث مائة عام حينما استأذنه سيدى الشناوى فى السفر الى القاهرة لقضاء بعض مصالحه ، فقال له من القبر : سافر وتوكل على الله ، وهذا مما يدل على شدة حرص سيدى أحمد حيا وميتا فى اخباراته الغيبية وأنه لا يسابق القضاء وممن لا يسبقونه بالقول ولما قال لركين سافر وتوكل على الله استأذنه فى أخذ عباءة له مفروشة بين يديه فلم يأذن له فأخذها ركين خلسة من غير اذن على سبيل التبرك باستصحابها ، وبينما هو راجع فى الطريق عند العقبة تفقد العباءة فلم يجدها ثم نظر فاذا هى تحت أقدام الجمال وقد أصابتها نجاستهم فأسف ركين ثم غسلها ونشرها ثم انشغل عنها ببعض مصالحه ثم جاء ليرفعها من مكانها فلم يجدها فأمعن فى البحث فلم يعثر عليها ولما وصل من العقبة الى مصر اشترى عباءة أرفع منها ثمنا ليقدمها الى سيدى أحمد بدلا من عباءته المفقودة ولما دخل عنده وجد العباءة مفروشة بين يديه فى المكان الذى اختلسها منه قالوا فتعجب ركين حتى كاد يذهب عقله ، فقال له سيدى أحمد لاتعجب ياركين فانك لما نشرتها خفت عليها فأخذتها ونشرتها فى مكانها والحمد لله على السلامة .

لماذا أخلص فى خدمة البدوى

ان ركينا ككل الناس وككل تاجر لا يمكن أن يخلص كل هذا الاخلاص ولا يمكن أن يتسع رحابه للفقراء كل هذا الإتساع ولا يمكن أن يتفانى اثنى عشر عاما فى خدمة رجل بدوى لا يعرفه الا اذا كان عنده سند قوى ودليل واضح يحمله على تقديم هذه الخدمات وبذل هذه التضحيات وكان هذا السند القوى وذلك الدليل الواضح هو تلك الكرامات التى ذكرها المؤرخون والتى خلص بها قلب ركين من الشك والقلق وعادت على تجارته بالربح الوفير فالشك فى هذه الكرامات شك فيما يقتضيه العقل وتشهد بصحته الوقائع ، وذكروا أيضا من هذه الكرامات أن بعض الحكام أراد الاستيلاء على تجارة ركين فى الشعير لعلف الخيل والدواب ؛ وكان ركين يتجر فى العسل والزيت

والعلف ولم يكن يومئذ لدى التجار هذا النوع من العلف نظرا للغلاء الذى تقدم ذكره فخاف ركين على تجارته واشتكى الى سيدى أحمد أمره فقال له لا تخف يا ركين واذا سألوك عن الشعير فقل لهم الذى عندى ذريعة أى تقاوى من الشعير النقى الذى يصلح للزرع وليس علفا للدواب فاذا قلت لهم ذلك صرفهم الله عنك ، فلما طالبوه بالشعير قال لهم عندى ذريعة فنظروه فوجدوه شعيرا نقيا يصلح للزرع ولا يصلح للعلف فانصرفوا عنه ، ولم تزل السعادة تلازم ركينا حتى لقى أجله فانتقل سيدى أحمد من داره الى دار بن شحيط شيخ البلد ـ واختتم فيها حياته ودفن فيها على عادة الصالحين فى زمانه بعد أن مكث فيها ستا وعشرين سنة أو ثمان وعشرين سنة ربى فيها رجالا وأبطالا .

كيف تعرف على سيدى عبد العال وهو طفل

لم يكن تعلق عبد العال الطفل بسيدى أحمد وهو فى بلده فيشا اعتباطا وبدون مقتض بل لا بد أن يكون هذا الطفل شاهد بعينه ما حمله على أن يخلع نفسه من أحضان أمه ويلزم خدمة هذا البدوى الغريب ، وذكروا فى أسباب تعلقه به أن سيدى عبد العال كان يلعب مع الأطفال ، ولما رأى سيدى أحمد ورأى بيده سعفة من سعف النخيل بادر بطلبها منه على عادة الاطفال فطلب منه فى نظير هذه السعفة بيضة يضعها على عينة الرمداء يستشفى بها ، ولم يتنزل سيدى أحمد بعمل معاقدة بيع وشراء مع هذا الطفل الا لأنه يعرف أن هذا الطفل هو ضالته المنشودة وأمنيته التى وعد بتعهدها وتربيتها بل ربما كانت مغادرته طنطا وترك عادته فى العبادة وملازمة السطوح لهذا الغرض النبيل فرضى الطفل بهذه الصفقة الرابحة فذهب الى والدته السيدة زينب وذكر لها قصته فردت عليه بما اعتادته النساء من انكار كل ما هو موجود اذا طلب منهن فلم يراجعها طفلها بل صدقها فيما قالته وذهب الى البدوى وأخبره بما قالته فأراد سيدى أحمد أن يعرفه بنفسه ويغرس فى قلبه محبته بما يظهره له من صدق ويقين ، فقال له اذهب أنت بنفسك الى الصومعة تجد فيها بيضا فائتنى بواحدة منها فتعجب الطفل من أن أمه التى فى البيت تنفى وجود البيض والرجل البعيد عن البيت الغريب عنه يعلم أن فيه

صومعة وأن فيها بيضا فذهب ليتأكد صدقه فوجد الامر كما أخبره فأخذ له بيضة وأعطاه اياها ، ومن هذا الدرس العملى تعلق سيدى عبد العال بسيدى أحمد ولازمه ولم تقدر أمه على أن تحول بينه وبينه ، ولمرارة فراق ابنها لها كانت تذكر ولدها فى غيبته عنده وتقول يابدوى الشؤم علينا فكان اذا بلغه قولها وهو بطنطا يقول لو قالت يابدوى الخير علينا لكانت أصدق ، ويظهر أن السيدة زينب أظهرت قلقا كثيرا على فراق ولدها وفهمت أن البدوى قد اغتصبه منها اغواء واغراء فأرسل اليها وهو بطنطا يطمئنها على ولدها وقال فى رسالته هو ولدى من يوم قرن الثور ، وذكر لها أن له يدا عليهم من ذلك اليوم فتذكرت حادثة الثور التى حدثت لابنها وهو فى المهد اذ وضعته بالقرب من معلف الدواب أو على حافة المعلف كما هى العادة فطأطأ الثور رأسه ليأكل من المعلف فتعلق قماط سيدى عبد العال بقرن الثور بسبب التحركات والاهتزازات التى تحصل من الدواب عادة عند بحثها فى معلفها عما تتخيره من علفها فرفع به فى الفضاء وهو مشدود بقرنه وفوق رأسه وأعجزهم تخليصه من رأس هذا الثور الثائر ولم ينج من هذا الحادث الا بأعجوبة ، وذكر لها سيدى أحمد أنه كان مصدر هذه الأعجوبة ، ذكر لها سيدى أحمد هذه الحادثة وهى تعلم أنه لم يشهدها ليبعث فى قلبها الطمأنينة على ولدها وأنه فى رعاية صادقة وعناية ربانية تحوطه الى الأبد وقد كان . فلم يكن بدوى شؤم عليهم بل كان بدوى خير على ولدها وعلى سائر أسرته وذريته أجمعين .

ألقابه وما ترمى اليه من دلالة

لسيدى أحمد ألقاب كثيرة اشتهر بها على ألسنة الناس انتزعوها مما شاهدوه من صفاته الجليلة واقتبسوها مما عرفوه من مساعيه الحميدة . وأطلقوها عليه بدون أن يكون له غرض فى وضعها له ، وحاشاه أن ينصرف عن الجوهر ويلتفت للعرض ، ولكونها ذات تأثير عظيم فى ايضاح درجته الروحية والعلمية آثرت أن اتعرض لها موضحا ما يمكن ايضاحه مبتدئا بأحد ألقابه التى لم يشتهر بها بين الناس من قبل .

البـــدرى

لقب البدرى فيما نعرف هو لقب أبيه ولم يجل بخاطرى أنه لقب لسيدى أحمد وربما لم يجل ذلك بخاطر الكثير من الناس الا أنى سمعت له هذا اللقب وقد القى الى كما يلقى بعض الكلام على الناس فى أثناء نومهم سمعت من يكلمنى ويقول « لن وقوفك مع البدرى كان سليما » وسبب ذلك انى كنت رجوته فى مسألة اقصد منه معاونتى على قضائها فبدالى منه أنه على أهبة المعاونة الا ان الذى حدث بعد ذلك هو أنى كظمت نفسى ، وتراجعت فى رجائى حسبة لوجه الله أو خشية من الله ، فسمعت من كل الجهات من يقول لى « ان وقوفك من البدرى كان سليما » فقلت لعل لقب البدرى عرفت به الأسرة كما عرف به والده فذكرت ذلك فى أشرف القابه تأسيا .

البـــدوى

هذه النسبة لأنه يشبه أهل البادية فى ملازمة اللثام ولم يثبت اطلاقا أن أحدا من اخوته لقب بالبدوى غيره حتى يكون سبب هذه النسبة سكناهم للبادية ، كما لم يثبت أن أحدا منهم التزم اللثام مثله حتى تكون عادة له موروثة عن أهل البادية ، على أنه لم يثبت فى التاريخ اطلاقا أن أحدا منهم أقام فى البادية كما قدمنا ، ولو كانت نسبة البدوى لأنه كان يسكن البادية لكان حسنا وجميلا لأن سكنى البادية هى عادة العرب وفيها سعادتهم وهناءتهم ، وقديما قال يوسف عليه السلام لأبيه واخوته وقد أحسن بى اذ أخرجنى من السجن وجاء بكم من البدو . ولكننا نقرر الحقيقة كما قرأناها فى تاريخه ، فنسبة البدوى لأنه كان يشبه أهل البادية فى ملازمة اللثام .

الملثـــم

اللثام غطاء يثبت فوق الرأس فتتدلى جوانبه على الوجه فتستر جميع أجزائه ما عدا العينين ، والتزامه رضى الله عنه لبس لثامين متطابقين بعضهما فوق بعض صيفا وشتاء يدل دلالة واضحة على أنه لم يكن غرضه مجرد لبس اللثام كما هى عادة بعض الأعراب والا لتأدى هذا الغرض بلبس لثام واحد وأيضا لما كان هناك ما يدعو الناس لامتداحه بالملثم ما دامت هذه عادة

لبعض الأعراب ، وانما كان غرضه من التلثم هو ستر أحواله التى تظهر على وجهه ، والتى تنشأ عن مشاهدته التى كانت تتوالى عليه قبضا وبسطا فتتغير أعراض وجهه تغيرا ملحوظا تبعا لتلك المشاهدات فعلى أثر تلك المشاهدات يبدو الوجه أبيض شديد البياض من غير سوء بحيث يسترعيك بياضه وأحيانا يبدو الوجه أحمر شديد الحمرة يشبه أطباق الورد بحيث تسترعيك حمرته وتلك فى حالات البسط والرضى ، أما فى حالة الخوف والقبض فيبدو الوجه أصفر شديد الصفرة بحيث تستنزف الدمع صفرته لشبهه حينئذ بالأموات — فلتوالى تلك الأعراض على وجهه كان يتستر باللثام ولشدة وضوحها من علوه فى المشاهدة كان يبالغ فى سترها بلثامين اثنين ، وقد شاهدت شيئا من تلك الأعراض كانت تبدو على وجه سيد شريف مقعد يناهز التسعين عاما كنت أعرفه من عهد بعيد ، وكان متمكنا فى طريق القوم فضل تمكن ، وكان رضى الله عنه صريحا اذ يقول لى أنهذه التعبيرات والأعراض التى تظهر على وجهه من أوضح العلامات التى يتميز بها الولى من الدعى لكننى لم أصعق من مشاهدتها فى وجهه كما صعق سيدى عبد المجيد أخو سيدى عبد العال لما شاهدها فى وجه سيدى أحمد البدوى حين كشف له اللثام ليعرف وجهه ، ولعل سيدى أحمد قد خص بمزية موسوية تبدو على وجهه من كثرة مشاهداته واتخذ من أجلها اللثام كما خص سيدنا موسى ببياض يده معجزة اذا أخرجها من جيبه ، وخر سيدى عبد المجيد من أجلها صعقا حينما فاجأته تلك الظاهرةالعجيبة ولذلك نصحه وحذره سيدى أحمد فلم يسمع النصح ولم يقبل التحذير .

[أبو الفتيان]

الفتوة درجة من درجات الصديقين . والمتصف بها يسمى فتى وأهل الفتوة يسمون بالفتيان ، وقد وصفهم ابن العربى بأنهم أهل علم وافر لاتصدر عنهم حركة واحدة عبثا ، سواء كانت حركة قلبية أو حركة بدنية فاذا صدرت عنهم حركة من هذا النوع عوقبوا عليها عقابا صارما مقارنا لصدورها منهم ، يدركون ألم العقاب ويحسون أثره ولايرون وقعه، ومن آبائهم الروحانيين أبو الفتيان سيدى أحمد البدوى الذى كنى بحق بهذه الكنية واشتهر بها

حتى غلبت عليه فى عرف الناس ، وله فى تربيتهم باع طويل يصعب فهمه كما يصعب وصفه ، وأقل وصف له هو دوام اشرافه بنفسه على مراقبة جميع حركات فتيانه سواء كانت حركات بدنية أو حركات قلبية وانزال عقابه الصارم بهم عند الاخلال بأى حركة من الحركات أو خطرة من الخطرات غير المشروعة أو المشروعة التى انصرف القلب معها عن توجهه الى الله كأنه يراه .

والفتى فى اللغة هو الشاب وهى حالة بلوغ الأشد الى حالة الكهولة ، ولملازمة القوة لحالة الشباب أخذوا الفتوة الروحية من مادة الفتى لأنها تنبىء عن القوة الروحية التى لا تضارعها قوة ، كما أخذوا الفتوة البدنية التى لاتضارعها شجاعة من هذه المادة أيضا وقد قيل عن سيدى أحمد أنه لم يكن فى سكان مكة والمدينة أشجع منه ، وقيل عنه ليس فى أولياء مصر من هو أكبر فتوة منه كما اشتهر بين العلماء وغير العلماء الذين لايتسرب الشك الى صدقهم فى اخبارهم بتربيته الروحية لأهل الصدق فى الدين من المؤمنين العاملين كما شوهد فى حياته أنه ربى أبطالا ورجالا لا يحصون وكل ما قيل عنه واشتهر به وشوهد منه له من أعماله الصالحة ما يدعمه ومن أحواله الصادقة ما يصدقه فكان جديرا بكل معنى الجدارة بأن يلقب بالفتى وأن يكنى بأبى الفتيان وأن ينادى بها فى كل زمان ومكان .

السيد والسيد بكسر السين

السيد هو أجل القوم قدرا ، وسائد القوم دون السيد فى الشرف ، والسيد بكسر السين السبع وفى كل من السيد والسيد معنى الرياسة والزعامة المنبئتين عن الشرف ، واشتهر بالسيد كل من ينتمى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنسب لشرفهم المكتسب من بضعته الطاهرة . ولجلالة قدره عليه الصلاة والسلام وظهور فضله على العالمين أطلقوا عليه سيد المرسلين، وسوغوا عرفا بعد الغاء الألقاب فى الدولة اطلاق السيد على كل مواطن حر كريم ولاجتماع أسباب السيادة فى سيدى أحمد وتوافر صفاتها فيه أطلقوا السيد عليه حتى صار لا يعرف من السيد عند الاطلاق الا البدوى وحده ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقب أصحابه القابا لمعان نفسية امتازوا بها ، وظهرت فيهم واضحة من بين صفاتهم التى اتصفوا بها فيقول فلان

أسد من أسد الله أو سيف من سيوف الله ، ولو راعينا المعانى الحقيقية التى أشربتها روحانية البدوى ولاحظنا مشربه من بين المشارب المعروفة عند القوم لم تتخط الحقيقة قيد أنملة اذا قلنا عنه فى صراحة يقينية انه أسد من أسد الله تبارك وتعالى فلم يكن تعرضنا فى أول الكلام لبيان معنى السيد بكسر السين استطرادا بل لنلفت النظر الى أن ما اتسمت به روحه القوية من هـذا المعنى الذى تتمثل به كلما عن لها ذلك لمما يجوز أن يكون هذا اللقب عند المعنيين بالحقيقة هو السيد بكسر السين ولكنه اشتهر بالسيد لأنه الظـاهر المعروف عند الناس ، ولما كان حقيقا بهذا الظاهر المعروف كما قدمنا لقبوه به أيضا .

وما أنذر به البدوى الأسـتاذ الشعرانى حينما تخلف عن الحضور فى مولده من تركه سبعين أسودين عظيمين يشبهان الفيلة لايفارقانه حتى يحضر مولده فيه تعزيز قوى لهذا اللقب الفريد لأنه لايتحكم فى الأسود الا سيدهم.

وقد وقعت لى فى مقامه الطاهر قصة تعزز ذلك أيضا ، وهى تتلخص فى أنى كنت جالسا فى المقام فاذا أنا برجال يقومون بعملية كنس للمقـام غير من أعرفهم من الكناسين كأنى أنظر اليهم عيانا وأنا جالس فاستغربت ذلك فى نفسى وقلت هل هناك من يقوم بعملية كنس المقـام غير الكناسين المعروفين فجمعوا الكناسة أمامى كلها وبعـد أن جمعوها اذا بسبع عظيم زيتى اللون يميل الى الخضرة لا أنسى ملاحته وأنسى به جاء من أعلى الضريح ومد يده الى الكناسة التى جمعوها أمامى فالتقط ببراثينه حصاة دقيقـة ثم عاد الى مكانه فى الضريح ولم أفهم ما يعنيه هذا الأسد ولكنى بعد أيام حصل عندى حصر تام فى البول هدد حياتى بالخطر فذهبت الى ثلاثة من الأطباء فى ساعات معـدودات أمكن لآخرهم أن يخرج البول بآلة خاصـة بذلك ثم عاد البول فاحتبس فأعدت عملية اخراج البول المتقدمة ومكثت على تلك الحالة سـبعة أيام تغير بعدها لون البول كأنه انذار بتسممه فدخلت احدى المستشفيـات الكبيرة لاجراء عملية جراحية مهما كانت نتيجتها ، وبعد مكثى يوما ثامنـا على النظام المتقدم أحضروا أدوات العملية وألبسونى لباسها فقمت لقضـاء حاجتى فى بعض المرافق وبعد خروجى من قضائها مباشرة ـ وقع بصرى على حمام متسع مرصوف بالرخام الأبيض النقى فدخلت الحمام لا لسبب وجلست

القرفصاء فى متسعه الفسيح ثم عن لى آن أنظر ثانيا هل ينزل منى البول قبل اجراء العملية فلم ينزل ولم أر أمامى الا قطعة سوداء تشبه « شوك الغنم » وقدر نواة الزيتون الصغيرة ، فقلت عجيب أن تكون هـذه القطعة السوداء متروكة وحدها فى هذه الأرضية البيضاء ولما تأملتها قلت هـذه لاشك هى الحصاة فسألت نفسى كيف خرجت ولم أشعر بها مع أنها ذات أشواك ومع أنه لم ينزل معها شيء من البول فأخذتها وأطلعت عليها رجال العمليـة الذين كانوا فى انتظارى فهللوا وكـانت دهشتهم عظيمة وقالوا جميعا هذه كرامة من السيد البدوى أكرمك الله بها فتذكرت سريعا عملية كنس المقام ودور الأسد فيها والتقاطه الحصاة من بين الكناسة ببراثينـه وتحققت أن هذه العمليـة العجيبة هى عملية ذلك الأسد العظيم .

القطب النبوى

قطب الرحى هو العمود المثبت فى قاعدتها القائم فى مركز القـاعدة ، وعليه يدور جزؤها الأعلى اذا تطابق مع القاعدة بواسطة هذا العمود والنجمة القطبية هى النجمة السابعة فى طرف الدب الأكبر الذى يظهر فى السماء بعـد العشاء فى كل ليلة اذا جعلتها خلف الأذن اتجهت بواسطة هـذه النجمة الى قبلة الصـلاة ، ولكون الرحى لاينتظم دورانها الا بواسطة قطبهـا ، ولكون التوجه الى قبلة الصـلاة لا يتم الا بواسطة النجمة القطبية السابعة ، أطلق علماء التصوف لفظ القطب على كل من ينتظم أمر العبـاد به وترحم الأمة بواسطته وكل من يوجهك الى الله ويعرفك به ، وقطب رحى الوجود وقطب الهداية الى الله هو رسول الله صلى الله عليـه وسلم لأنه هو الذى انتظم أمر العباد به ورحمت الدنيا بواسطته وهو الذى وجهنا الى الله وعرفنـا به وقطب زمانه هو كل من سار سيرة الرسول فى العمل وقام مقامه بطـريق النيابة فى هداية الناس الى ربهم وتعريفهم به .

والقطب النبوى والشريف العلوى هو سيدى أحمد البدوى ، وانمـا سمى بذلك لأن المعانى التى من أجلهـا سمى القطب قطبا والصفـات التى لوحظت حينما وضعوا هذا الاسم للدلالة على مسماه كل هذه المعانى اجتمعت

له وتحققت فيه ، يعرف ذلك كل من درس بعناية تاريخ حياته وتفقد بنفسه خلاله وأعماله وأدرك بنور عقله ماجرى على يديه ويجرى من هداية الناس وتعريفهم بالله تعالى ولا يعلم الا الله كم قدم من أعمال وكم هدى الى الله من رجال وكم عرف بالله من أبطال ، وانما سمى نبويا لأن كل قطب ينال هذه المنزلة عن شيخه الذى رباه وشيخه ينالها عن شيخه الى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ويظهر أن سيدى أحمد لم ينل هذه المنزلة عن طريق أحد من الشيوخ بدليل مقالته الشائعة فى تاريخه : أنا لا آخذ المفتاح الا من يد الفتاح . فلم يأخذه من الكيلانى ولا من الرفاعى ، وانما مفتاح فتحه من يد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلذلك اشتهر بأنه القطب النبوى منسوبا الى شيخه الذى رباه .

جياب الاســـير

قال السيوطى والشعرانى وغيرهما أوثر عن البدوى كرامات وخوارق أشهرها قصة المرأة التى أخذ الفرنج ولدها فلاذت به فأحضره اليها فى قيوده، وقد انتشرت هذه القصة بين أفراد الشعب وتناقلها المداحون على أبواب البيوت عدة قرون فكان هذا دليلا واضحا على ثبوت هذا اللقب له ـ ولهم فى ذلك عبارة عامية بحتة كثيرا ما طرقت الأسماع ببساطة مبناها ولكن معناها يتضمن معنى ذا مغزى عميق الأثر وهو قولهم «الله الله يابدوى جاب اليسرى» فهذه الكلمة على بساطتها احقاق للحق أنطق الله بها ألسنة الخلق وأقلهم شأنا ليكون عظة واعتبارا لقوم يعقلون ، اذ معناها الله الله يابدوى هو الذى جاء باليسرى لا أنت ، فهو تذكير للخلق بقدرة الحق ليوحدوه فيجدوه عند حاجتهم اليه فهو على غرار قوله تعالى (ومارميت اذ رميت ولكن الله رمى) وجياب السير كلمة منحوتة من جياء بالأسير وهى تدل على المبالغة فى كثرة مجيئه الأسارى، كما تقول فلان خراج من البيت وولاج فيه اذا دخل فيه كثيرا وخرج منه كثيرا وهذا اللقب بما فيه من المبالغات يدل على كثرة مجيئه بالاسارى من بلاد النصارى على حد تعبيرهم ـ ولعله أحضر من الأسارى أكثر من واحد ـ لأنهم ذكروا أنحراس الأسارى من الصليبيين كانوا يوقعون

عقابهم الصارم على من ينطق باسم البـدوى من الأسارى فى معتقـلاتهم ــ وما ذاك الا لتكرر مسئولياتهم أمام رؤسائهم عما يختفى من الأسـارى من معتقلاتهم ؛ ولأن الصليبيين اختطفوا ظلما واقتنصوا غدرا عددا كثيرا من طبقات الشعب المصرى والشعب لايمكن أن يصبر ويقتنع من سيدى أحمد بمجىء أسير واحد لامرأة واحدة من بين تلك الطبقات ، وقـد أظهر استعداده لمثل هذه العملية عفريت من الجن على عهد سليمان . وباشر مثلها آصف بن برخيا كاتب سليمان . وما كانت روح البـدوى أقل استعدادا من روح شـيطان . وما كان الله ليكرم كاتب سليمان ولا يكرم خادم القرآن وتلميذ سـيد ولد عدنان ــ وليس الاحتفاظ الى الآن بالقيود والأغلال التى كانوا يغلونهم بهـا وبقاؤها فى أيدى أبناء الأسارى وذرياتهم الى الآن يظهرون بهـا فى موالد البدوى السنوية فى العهود الأخيرة الا من أقوى الشواهد على صحة هـذا اللقب واثباته للبدوى .

بحر العلوم ومعنى قوله سواقى تدور على المحيط

بحر العلوم لقب من القـابه يناديه الناس به ولقبه به الدرينى بعد أن تناقش معه فى بعض المسائل العلمية فكان اذا سئل عنه يقول هو بحر لايدرك له قرار ، والحقيقـة أن من يمارس سيدى أحمد البـدوى يدرك أن علومه ومعارفه الربانية من طراز فوق متنـاول العرف ومنتهى العقل ولا يسع من يسمعها الآن يعترف بما اعترف به الدرينى ويعجب كيف تصدر هذه المعارف من عقل انسان ــ وقد وصف لنا علومه وأسراره ومعارفه فى عبارته المشهورة التى نقلها عنـه كثير من المؤرخين وهى قوله « وعزة ربى سواقى تدور على المحيط لو نفد ماء سواقى الدنيا مانفد ماء سواقى » فليس البحر المحيـط الذى يعنيه فى هذا التمثيل الا سيد المرسلين وليست هذه الميـاه الا العلوم والمعارف والأسرار النبوية التى يستقى منها علومه ومعارفه وأسراره كما قال المفسرون فى قوله تعالى «أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها» فأرادوا من الماء المعارف والعلوم ومن الأودية القلوب التى سـالت بهذه العلوم والمعارف ــ ولا يتضح معنى هذه العبارة تمام الاتضاح الا اذا بينـا ما هو المراد بالسواقى ــ قال فى القـاموس السواقى جمع سـاقية والساقية النهر

فالسواقى الأنهار الكثيرة يقول سيدى أحمد انه له سواق كثيرة أى أنهار كثيرة يستقى من هذه الآنهار علومه ومعارفه وأسراره المتنوعة بتنوع تلك الأنهار ، ويعنى بهذه الأنهار السادة العمرين رضى الله عنهما والسيدةالفاضلة الزهراء وكريمتها السيدة الطاهرة وأمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنهم أجمعين فان مدده متصل بهؤلاء جميعهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مباشرة ــ فالسيدة الزهراء تغترف من جانب وكريمتها من جانب آخر والسادة العمرين وأمير المؤمنين يغترفون من معين آخر ، كل على حساب ما ألهم من مشروب وقدر له من شراب ، والبدوى رضى الله عنه قداغترف من هذه المشارب كلها فاجتمعت له هذه السواقى كلها يغترف منها حيث شاء وكما يشاء وليست لفظة الدوران الا ترشيح لهذا التمثيل ذكرها لما ذكر لفظة السواقى لو نفدت مياه أنهار الدنيا مانفدت مياه أنهاره لأن مياه أنهاره كما علمت مستمدة من ذلك المحيط الأعظم صلى الله عليه وسلم ولو نفدت علوم الأولين والآخرين ما نفدت علومه ومعارفه ، كيف والأنبياء جميعهم يستقون من ماء معينه .

والمعنى الحقيقى لهذه العبارة بجملتها أنمعارفه وأسراره وعلومهمتنوعة تنوعا كثيرا ومستمدة من حضرة الرسول مقتبسة منه بطريق مباشر ويصف تنوعها وتكثرها بأن معارف أهل الدنيا لو نفدت ما نفدت معارفه كأنه يقسم بعزة ربه أنه بحر العلوم الذى لاساحل له ولهذا لقب بهذا اللقب .

الزاهـــد

لقب بهذا اللقب وهو لم يتجاوز السابعة من عمره بفاس وعاش تسعة وسبعين سنة ولم يترك شيئا يورث عنه الا عباءته وقميصه وعمامته ومهراشه ومسبحته ــ ويكفى فى معرفة زهده فى الدنيا بيانه للزهد بأنه مخالفة النفس بترك الشهوات الدنيوية اطلاقا وأن يترك سبعين بابا من الحلال مخافة الوقوع فى الحرام .

أبو فـراج

فرج الله الغم بالتخفيف ، وفرجه بالتشديد : كشفه . وفراج مبالغه فى كشف الغموم ، وأبو فراج الكشاف للغموم ، وهى كيفية اشتهر بها سيدى

أحمد وانفرد بها وحده تدل على اختصاصه بمزية اقتضت هذا الانفراد ، ولعل نوعا من العطاء الذى اختصه الله به يختص بتفريج الأزمات وتيسير الحاجات وتسهيل الكربات .

وهذا النوع من العطاء يجعل باب الرجاء أمامه فى الله متيسرا واحتمال قبوله متحققا ، لا سيما فى الأزمات الخطيرة والأقضية المذهلة التى تنوء باحتمالها القدر والتى استحقها العبد بما كسب وعفى الله فيها عن كثير — وقد يمكن استخراج هذا النوع من العطاء من كلام سيدى أحمد نفسه ومن قوله ان الفقراء كالزيتون وفيهم الصغير والكبير ومن لم يكن له زيت فأنا زيته أساعده فى جميع أموره وقضاء حوائجه لا بحولى ولا بقوتى ولكن ببركة النبى صلى الله عليه وسلم فببركة النبى صلى الله عليه وسلم وبقوة اتصال سيدى أحمد بهذه الحضرة تتوالى تفريج الأزمات وتتكاثر تيسير الحاجات وتترادف تنفيس الكربات حتى عرف عند الناس بأبى فراج هذا وان كل المحاولات التى تقدمت والتى أحاول فيها أن أوضح فيها معنى هذه الكنية لم تقنعنى بأن أوقفت القارىء على معنى هذه الكنية والحقيقة أن معنى هذه الكنية سر من أسرار طريقة البدوى الخاصة به وحده ولهذا اختص هو وحده بهذه الكنية دون غيره من الأولياء — وخلاصة ما يمكن ذكره فى هذا المقام أنه رضى الله عنه اختص بباب من أبواب الفرج اختصه به رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرف بسببه بأبى فراج وما وراء ذلك ندع سره الى الله والله أعلم

أبو العباس

فى القاموس العابس والعبوس والعباس هو الأسد — وكأن معنى عبس وجهه تغير وجهه من الغضب حتى بدت عليه ملامح الأسد — ولكون سيدى أحمد أسدا من أسد الله كما قدمنا بيانه فى لقب السيد والسيد بكسر السين وضعوا له هذه الكنية فكنوه بهذه الكنية كما كنوا بها كل من تسمى باسم أحمد وكان على هذا القدم — وتوسعوا عرفا فى اطلاقها على كل من اسمه أحمد ولو لم يكن على هذا القدم كما توسعوا فى اطلاق أبى خليل على كل ابراهيم ولو لم يكن خليل الرحمن وكما توسعوا فى اطلاق أبى عوف على كل عبد الرحمن ولو لم يكن عبد الرحمن بن عوف .

القــدسى

القدوس اسم من أسماء الله تعالى معناها الطاهر وقدس الله وطهره معناه تنزهه عن كل وصف يدرك بالحس أو يتصور بالخيـال أو يقضى به التفكير وكذا تنزهه عن كل ما يعده الناس عيبا أو نقصا ـ وقدس العبد وطهره معناه تنزهه عن أن تحوم نفسه حول الخطوط البشرية التى ترجع الى لذة الشهوة ومتعة المطعم والملبس والمشرب والملمس وسائر الملذات الدنيوية وقصر همته على التوجه الى الله بحيث لايبقى له حظ الا فى الله ولا يكون له شوق الا الى اللقاء به ولا فرح الا بالقرب منه ولا أنس الا بمشاهدته وهذه الصفات التى ذكرناها فى بيان معنى قدس العبد هى بعينها التى نقرؤها فى تاريخ سـيدى أحمد من أول فصل فى تاريخه الى آخر فصل فيه وهى التى من أجلها سمى قدسيا .

الصــامت

كان البدوى يعد الذكر باللسان شقشقة ـ ويعول على الذكر بالقلب لأن الذكر بالقلب أعمق أثرا وأكثر عددا وأعظم نفعا لأنه كلما دار الاسم على اللسان مرة دار فى القلب أضعاف هذه المرة لسرعة جريانه فى القلب على سرعة جريانه فى مخارج الحروف وشتان بين جريانه فى القلب وجريانه فى مخـارج الحروف ومن ضرورة الذكر بهذه الصفة ظهور الصمت فى اللسـان وظهور السكون على أعضاء البدن ولغلبة أوقات الذكر عليه غلب عليه الصمت حتى عرف بالصامت وهذا علاوة على أن الصمت ركن من أركان الطريق المشهورة ومن هنا فضل بعضهم العزلة على غيرها .

ولى الله

فى القاموس الولى المحب والنصير ثم قال وهو أى الولى اسم مأخوذ من الولى بسكون اللام ومعناه القرب والدنو فولى الله تعالى بمقتضى الاطلاق اللغوى يعتبر فيه أن يكون محبا لله نصيرا لدينه قريبا منه قربا يدنيـه من حضرته فمن لم تجتمع فيه هذه الصفات لايكون وليا لله فى اللغة ـ ويرحم الله من أدخل فى عداد الأولياء من لا ينطبق عليهم معنى الولى حتى فى اللغة .

وقبل آن نبين للقارىء معنى ولى الله نبين له أولا معنى ولى الناس الذى ذكره القرآن فى كثير من آياته ليتميز الفرق بين الوليين، وقد قلنا فى مناسبة ان بعض الناس يشتبه عليهم الوليـــان فيخلطون بين ولى الله وولى النــاس فيجعلون هــذا فى موضع ذاك وبالعكس فيذكرون مثلا فى تعريف ولى الله قوله تعالى «ان وليى الله» وقوله «انما وليكم الله» مع أن قوله انما وليكم الله وقوله ان وليى الله ونحوها نحو فالله هو الولى كلها فى بيان ولى الناس لا فى بيان ولى الله وهو خلط واضح نشأ عن جهل هذا الفرق ، وكيف يعرف ولى الله بولى الناس .. هذا جهل .

وذكرت أن المعتــرض على ســيدى أحمــد هو الذى عرف هــذا التعريف فى كتابه السيد البدوى ، أما ولى الله أو أولياء الله فقد أوضــح القرآن أوصافهم بقوله «ألا ان أولياء الله لاخوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة لاتبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم» فبينت الآية أن من أخص صفاتهم الايمان والتقوى وقد وصف الله المؤمنين بقوله «انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم» واضطربت من مجرد ذكره هيبــة وجلالا ولا يضطربون عنــد مجرد ذكره الا اذا عرفوا هيبته وجلاله كما يضطرب قلب المحب بمجرد ذكر حبيبه وهذا أحد أوصاف خمسة للمؤمنين ذكرت كلها فى هذه الآية ويطول بنــا الحديث اذا نحن تتبعناها ويكفى هذا الوصف فى التعريف بايمان أولياء الله تعالى ، الوصف الثانى من أوصاف الأوليــاء ذكره بقوله وكانوا يتقون أى يخشون ربهم ويخافون سطوته فتجنبوا كل ما يوقع فى الاثم من فعل معصية ولو صغيرة وترك طاعة ولو مندوبة وأقبلوا على ربهم بكلهم فاذا استقاموا على الايمان كما وصفنا وعلى التقوى كما بينا استقامة مثل الاستقامة التى طلبها الله من رسوله فى قوله «فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ولا تطغوا » فقــد تحققت فيهم أوصاف الأولياء وكانوا أحقاء بأن يطلق عليهم اسم أولياء الله سواء أكانوا تجارا أم صناعا أم حكاما أم علماء أم فلاحين. أما اذا لم تتحقق فيهم هذه الأوصاف فيجب بمفهوم القرآن أن تنفى عنهم الولاية حتى يكون مالله لله وما لقيصر لقيصر ــ فولى الله عبد بلغ من تفانيه فى حضرته وتهالكه

فى خدمته أن قربه الله منه وأدناه من ساحته ، حتى أنه سبحانه شرفه أعظم تشريف وكرمه أبلغ تكريم أنظر كيف أضاف ولايتـه الى الله نفسه فسماه ولى الله وفى هذا أكبر تشريف لايخفى على الفطن الاريب لأنه تولى الله بتفانيه فى طاعته فألبسه لباس ولايته فكان لله وليا ـ والمعترض على سـيدى أحمد البدوى يطلق كلمة ولى الله على من اتقى الشرك بالله وقال لا اله الا الله هذا هو ولى الله عند حضرته ـ ومعلوم أن هذا الاطلاق لاتساعد عليه اللغة لأن الولى كما قلنـا معناه المحب والنصير ـ ومأخوذ كما قلنـا من مادة القرب والدنو فكلمة الولى من حيث اللغة ينتظم فيها بحسب معناها أن يكون العبد محبا لله ونصيرا له وينتظم فيها بحسب مأخذها أن يكون العبد قريبا من الله قربا يدنيه من حضرته ـ وهذا قد لايتحقق فى خواص الناس فضلا عمن اتقى الشرك بالله وقال لا اله الا الله ـ وكما لاتساعد عليه اللغـة يكذبه القرآن نفسه لأنه تعالى وصف عباده المقربين بأنهم قليلون فى قوله « ثلة من الأولين وقليل من الآخرين» فكيف نطلق أولياء الله المقربين على كل من هب ودب حتى من نبتت قرونه وطالت آذانه، انما ولى الله هو عبد أحب الله حبا صادقا ونصر دينه نصرا حقيقيا وقرب منه قربا حقيقيا ، ولاتتحقق المحبة الصادقة بين اثنين الا عن تعارف بينهما فهو عبد عرف ربه فأحبه ولاتتحقق نصرته لدينه الا اذا حافظ على كل ما يقتضيه الدين ثم قام بدعوة الناس الى هديه المستقيم . ولا يتحقق قربه منه قربا حقيقيا الا اذا شاهده فأدناه من حضرته فاذا أحب الله كذلك ونصر دينه على هذا النحو وقرب منه هذا القرب فهو الولى حقا وتاريخ سيدى أحمد كله يدور فى هذا الفلك فكان جدير بأن يلقب بولى الله .

العطـاب

ذكروا أنه اشتهر بالعطاب لكثرة ما كان يقع من الضرر لكل من آذاه ، وفى اشتهاره بهذا أمارة قوية على أن الله يغضب لغضبه ويحـارب من حاربه وأنه كان من الصادقين فى معاملتهم لربهم ومن المتوكلين عليـه حق التوكل ، وكثرة الضرر لمن آذاه لاتعنى اضطراد الضرر كلما أوذى فقد يكون الضرر الأنكى فى التـأخير لا فى التعجيل ، والعطب من ضروريات الفتوة التى لقب

بها وأوضحناها فيما سبق فمن ضروريات الفتوة البدنية اصابة من باراه وغالبه بالضرر والعطب ولذا سماه أخوه بالعطاب لفتوته البدنية وهو أيضا من ضروريات الفتوة الروحية ، لأن الفتى الروحى أقدر فى الانتصار واصابة الغرض من الفتى الشجاع .

العارف بالله

المعرفة بالله هى أول منزلة من منازل الولى أو آخر منزلة من منازله ولا يصح أن يطلق الولى على أحد من الناس الا اذا حصل على هذه المنزلة ، ولذا جعل سيدى أحمد المعرفة أولى علامات الولى وجعلها علماء التوحيد أول كلمة فى تعريف الولى بأنه العارف بالله تعالى المواظب على طاعته الى آخره ، وانما رددنا هذا الترديد وقلنا أن المعرفة هى أول منزلة من منازل الولى أو آخر منزلة من منازله لأن الأولياء فى معرفتهم لله على صنفين صنف يمن الله عليه بمعرفته فى بداية أمره فيشهد أول ما يشهد فى سلوكه ذات الله تبارك وتعالى وبعد أن يفيض الله عليه ماشاء من أسراره يرده الى التعرف بصفاته ثم بأسمائه ثم الى مشاهدة الآثار وصنف يشهد فى سلوكه الآثار أولا ثم ينتقل منها الى معرفة الأسماء ثم الصفات ثم الذات فلهذا قلنا أن المعرفة هى أول منزلة من منازل الولى أو آخر منزلة من منازله ، ومن هنا قال بعض كبار المتصوفة كلمته المشهورة ان بدايتنا نهاية غيرنا لأنه كان من الصنف الذى من الله عليه بمعرفته أولا فى بداية أمره .

وليس المراد بمعرفة الله تعالى العلم به عن طريق الأدلة العقلية التى لاتحتمل شكا أو عن طريق الخبر الصادق أو عن طريق الحواس الظاهرة بل معرفته عن طريق الشهود بالبصائر فتكون المعرفة غير العلم .

وتمييز العارف عن غير العارف عسير وشاق لأن معرفة الله سر من أسراره ولا يمكن أن يدعيها عارف مهما سمت درجته اللهم الا أن يكون بطريق تلميحى فقط وفى كلام المتصوفة كثير من هذه التلميحات وفى كلام الرسول بعض من هذه التلميحات ، فقد سأله أصحابه هل نرى ربنا يوم القيامة فأجابهم عليه الصلاة والسلام بقوله وهل تمارون فى القمر ليس دونه سحاب فقالوا لا يارسول الله قال فانكم ترونه كذلك ، فقوله عليه الصلاة

والسلام فانكم ترونه كذلك تلميح منه بأنه عارف بربه حق المعرفة وان كان ظاهر كلامه أن رؤية الله تكون فى القيــامة من الوضوح بحيث لاتخفى على أحد كما أجابهم أيضا فى مناسبة أخرى بقوله: نور أنى أراه، ولم يترك الله تبارك وتعالى عباده فى جهالة من معرفتــه كيف وهو لم يخلقهم الا ليعرفوه قال تعالى «وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون» ، فهو سبحانه ذكر العلة الباعثة على المعرفة وهى العبادة والا فالغاية الوحيــدة من الخلق هى المعرفة ولهذا فسر ابن عباس رضى الله عنهما العلة بغايتها فقال ليعبدون معنــاها ليعرفون ، وقد وضح لهم طريق معرفته سبحانه وتعالى بالأمثلة الواضحــة التى لاتحتمل لبسا ولا خفاء ولا لفا ولا دورانا ليعرفوه فقال لهم « الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشــكاة فيها مصــباح المصــباح فى زجاجة الزجاجة كأنها كوكب‌درى» فمن حقق عبادته لابد أن يعرفه من كلامه الذى وضحه لهم ان كانوا يعقلون . ولما كانت المعجزات هى التى ميزت لنا الصادق من غير الصادق كانت الكرامات هى التى يمكن أن نميز بها العارف من غير العارف فمتى ظهرت الكرامات على يد أحد علمنا أنه من العارفين بالله هذا هو ما يمكن أن نعرف به العارف من غير العارف وظهور الكرامات على يد سيدى أحمد شىء لايمكن احصاؤه فكان جديرا بأن يسمى سيد العارفين .

فــرائد بدوية

حث الله على التفــكر ، والذكر ، والتوبة ، والمحبــة لله ، والصبر ، والزهد ، والايمان ، فى أكثر من موضع من القرآن وقد بينها العلماء بيانات متفاوتة ، فسأل ســيدى عبد العال أســتاذه عن بيان حقيقة هذه الأشياء ، ليخرج من بيانه على نتيجة سليمة . ينتهجها فى سيره ، ويتوخاها فى سلوكه ، فيعرف كيف يفكر ، ويذكر ، ويحب ، ويصبر ، ويزهد ، ويتحقق بالايمان ، لأن هذه أبواب الوصول ومفاتيح المعرفة ، فأجابه رضى الله عنه بهذه الفرائد التى تراها مفصلة بين يديك .

الفــريدة الاولى فى التفكير

أخبر رضى الله عنه بأن يتفكر فى مصنوعات الله وفى خلق الله ، ولا يتفكر فى ذات الله ، فان الله لا تحيط به فكرة ، فجعل رضى الله عنه مجال

التفكير قاصرا على مصنوعات الله ومخلوقاته ، لا يتعداه الى التفـكير فى ذاته أو صفاته ، ولقد أحسن رضى الله عنه فى تعليل النهى عن التفكير فى ذات الله بقوله « فان الله لا تحيط به فكرة » .

وذلك لأن الشـأن فيمـن يفـكر فى أى شىء لابد أن يخـرج من تفكيره بنتيجة مرتبة على مقدمات أدركها بتفكيره « وأحاط بها علمـا ، وقد يظن من يفكر فى ذات الله أنه حصل بتفكيره فيها على نتيجة صحيحة ، ولكن هذا الظن خطأ لأن النتيجة مبنية على مقدمات هى فى الواقع خطـأ ، وانما كانت تلك المقدمات خطأ لأن النتيجة مبنية على مقدمات هى فى الواقع خطأ ، وانما كانت تلك المقدمات خطأ لأن الله لايحيط به تفكير أحد . فمهما فكر فلا يكون من وراء التفكير فى ذاته نتيجة صحيحة ، بل قد تجر صاحبها الى الـكفر كما وقع لبعض رؤساء الفرق الاسلامية فانهم بحثوا فى الذات وفكروا فيما عرفوه عنها ، فأثبتوا لهـا ما يجب تنزه الذات عنـه ، فالسبب الوحيد فى منع التفكر فى ذات الله وصفاته ، هو أن الله لايحيط به تفكير أحد من خلقه ، فأنه مهما فكر حتى فيما يشاهده منها فانه لايخرج فى تفكيره عن قياس وجوده أو قدرته أو علمه أو استوائه على ما يعرف من هذه الصفـات فى المخلوقات ، فيثبت لذاته وجودا أو قدرة أو علما أو استواء شبيها بمـا يعرفه ثم يتطرق به الأمر الى أن يثبت لذلك الوجود جهة ، وهكذا لايمكن أن يفكر فيها الا مقيسـة على غيرها فيقع فى الضـلال المبين ــ ولا يسع من يشاهد شيئا من ذلك وأراد السلامة الا أن يعرفها ثم لايفكر فيها : ولهـذا أحجم عقلاء العارفين بالله وهم فى الأمة المحمدية كثيرون عن التفكر فى ذات الله ونعوتها ، حتى أن من سئل منهم عن الاستواء لم يشأ أن يتكلم فيه بما يعلم من مشاهدته . فقال الاستواء معلوم والكيف مجهول والسؤال عنه بدعة ، ولو قال والجواب عنه ضلالة لأحسن ، فتراه فى جوابه قال الاستواء معلوم . ولكن لم يشأ أن يتكلم فيه بتفكيره ليبينه للسائل ، لأن بيانه يكون بوصفه للسائل ، واذا وصفه شبهه لامحالة ــ فيهلك من حيث أراد البيان .

الفريدة الثانية فى حقيقة التوبة

بين رضى الله عنه حقيقـة التوبة بقوله ــ التوبة حقيقتها النـدامة على

ما مضى من الذنب ، والاقلاع عن المعصية ، والاستغفار باللسان ، والعزم على أن لايعود الى المعصية ، والصفاء بالقلب فهذه هى التوبة النصوح التى أمر الله بها فى كتابه العزيز «ياأيها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا» فهو يرى أن التائب لاتتم توبته الا اذا راعى فى توبته خمسة حقائق وتحقق بها .

الحقيقة الأولى : الندامة على ما مضى من الذنب ، والندم ـ الأسف . والأسف، أشدالحزن فلابد أن يستحضر الذنب الذى وقع منه . وأن يراجع نفسه فيه باستعظام وقوعه منه . وكيف أقدم عليه على مرأى من الله ومسمع. وكيف تجاسر على مخالفة القرآن ، وخرج على تعاليم الرسول عليه الصلاة والسلام ، وكيف هتك حرمة أخيه فى الاسلام . وتعرض لأعراض الناس ظلما وعدوانا وبأى وجه يلقى ربه . وبأى جسد يتحمل عذاب النار . فاذا راجعها على هذا النحو حمله ايمانه على الندم ، واذا ندم تحققت الحقيقة الأولى وهى الندامة على ما مضى من الذنب .

الحقيقة الثانية : الاقلاع عن المعصية ، والاقلاع عن المعصية قلعها من أساسها كما تقلع الشجرة من جذورها . فلا تصلح بعد ذلك الا للاحراق . وكما لا يمكن أن تعود الشجرة بعد قلعها الى مكانها على ما كانت عليه . لا يمكن أن يعود الى المعصية بعد الاقلاع عنها كما حصلت منه ، فاذا أقلع بهذه الصفة تحققت الحقيقة الثانية .

الحقيقة الثالثة : ملازمة الاستغفار باللسان . يرجو باستغفاره غفر هذا الذنب . وستره عن الناس ، فلا يفضح به على رؤوس الخلائق يوم القيامة . وستره عن نفسه فلا يعرف به ولا يؤاخذ عليه ، ولا تشهد عليه جوارحه « يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون » وبملازمة الاستغفار بهذه الصفة تتحقق الحقيقة الثالثة .

وأينما حل فان خالفها بغض الطرف عنها ظهرت له من وراء ذلك بشهوة راسخا على ألا يعود الى هذه المعصية أبدا ، حتى اذا حانت له فرصة وقوعه فيها ثانية ارتطمت بعزيمته وتصميمه فأعرض عن إنتهازها وبقى صامدا على تصميمه متذرعا بعزيمته لا يهين ولا يلين ، أما اذا حانت له فرصةوقوعه

فيها فأسرع فى انتهازها ، وخطف خطفته ثم عاد الى عزمه فهذا فى حكم المقيم على ذنبـه ، والمتراخى فى عزمه . وبملازمة هـذه العزيمة تتحقق الحقيقة الرابعـة .

الحقيقة الخامسـة : الصفاء بالقلب لأن الغرض من الحقائق الأربعة المتقدمة وهى الندم والاقلاع والاستغفار والعزم والتصميم على عدم العود هو تطهير القلب وتنقيته وتخليصه مما يغضب الله ويحول بينه وبينه . فاذا لم يكن القلب فى حالة صفاء لله ولعباده عند التوبة ، فلا يتحقق تطهير القلب ولا تنقيته ولا تخليصه ، فاذن لا تتحقق التوبة بدون صفاء . ثم قال فهذه هى التوبة النصوح التى أمر الله بها فى كتابه العزيز، أى التوبة الصادقة الخالصة التى تقوم مقام الواعظ فى نصح الناس كأنهـا تنصحهم الى أن يتوبوا توبة مثلها بسبب ظهور أثرها واضحا على صاحبها حتى تغيرت أحواله من قبيح الى حسن ، وحكم التوبة الوجوب على الفور ، وتأخيرها اثم يضاف الى اثم المعصية وورد مرفوعا: التوبة النصوح أن يتوب ثم لا يعود الى الذنب ، كما أن اللبن لا يعود الى الضرع ، وعن حذيفة : بحسب الرجل من الشر أن يتوب عن الذنب ثم يعود اليه .

الفريدة الثالثة فى حقيقة الذكر

أجابه رضى الله عنه عن حقيقة الذكر بقوله ، الذكر هو أن يكون بالقلب لا باللسان فقط فان الذكر باللسان دون القلب شقشقة ، وأن تذكر الله بقلب حاضر ، واياك والغفلة عن الله فانهـا تورث القسوة فى القلب ، فهو يريد أن الذكر لاتتحقق حقيقته ، ولا تثمر ثمرته الا اذا كان على صفات ثلاث .

الصفة الأولى : أن يكون أساسه عمل القلب لا حركة اللسان فقط ، فلا يزال يردد اسم الله بقلبه ، سواء تحرك اللسـان تبعا له أولا ، ومن كثرة الترديد يتحرك الباطن بحركات سريعة لا تلبث أن يكون لهـا صدى يمثل الله الله .

الصفة الثانيـة : أن يكون القلب حاضرا وقت الذكر فلا يكون فى قلبه وقت الذكر شواغل معيشية أو نحوها تسيطر على عقله بالتفكير فيهـا

فيكون القلب فى واد والعقل يفكر فى واد آخر ، ويستعان على احضار القلب وحصره بالتوجه بالوجه لقبلة الدعاء وهى السماء واستحضار مقام الاحسان ، وهو أن الذى تذكره كأنك تراه . فان رفع بصره نحو السماء ودام على هذا الاستحضار كان هذا أعون على حضور القلب وحصره وحصول المقصود من الذكر وهو مشاهدة الذات .

الصفة الثالثة : أن يحذر عن طرو الغفلة عن الله بنوم أو غيره الا لضرورة قاهرة فانها بمثابة الاعراض عن جليسه ، وتتلخص هذه الصفات الثلاثة فى أن الذكر يكون بالقلب ، وأن يكون القلب فى حالة حضور مع الله ، وأن يحذر من الغفلة عنه فان الغفلة عنه تورث قسوة القلب .

الفريدة الرابعة فى حقيقة الوجد

وأجاب رضى الله عنه عن حقيقة الوجد بقوله ــ الوجد أن يكثر ذكر الحق لا اله الا هو ، فيقذف نور فى القلب من قبل الله تعالى فيقشعر منه جلده . فيشتاق الى المحبوب لا اله الا هو ، فيلحق المريد الوجد ، ويتعلق بالله كله ، وعندما يزيد الوجد يصير ولها ، وعندئذ يبلغ المريد الدرجة العليا فى التسامى الروحى . يقال وجد عليهوجدا غضب عليه ، ويقال وجد به وجدا أحبه حبا جما ، فالوجد نوع من المحبة الصادقة اذا لحقت العبد تعلق بالله كله ، ويرشده رضى الله عنه الى أن السبب فى هذا الوجد هو الاكثار من الذكر فينشأ عنه نور محسوس من قبل الله تعالى يقذفه فى قلب العبد يشتعل منه تجويف الرأس كما تشتعل الشمعة من أعلاها فيقشعر منه جلده ويشتاق الى معرفة محبوبه ليراه بنوره فانه لايدركه نور البصر ، فاذا شاهده لحق المريد الوجد فينتقل من درجة الشوق الى هذا النوع من المحبة الصادقة ، وفيها يتعلق العبد كله بالله وينصرف كل عضو فيه عن أداء وظائفه العادية ويتوجه الى الله بكله ، وعندما يزيد هذا الوجد عن حده ينتقل الى درجة فى المحبة أعلى من مرتبة الوجد وهى الوله ، والوله نوع من المحبة ينسى معه العبد نفسه ، ويسلب عنه حسه ، وفى هذه المرتبة يبلغ المريد أعلى مرتبة فى التسامى الروحى ، فيفيض الله عليه من كمالاته وانعاماته ما يقتضيه كرمه ، ثم

يمن عليه بمقام التمكين وهو مقام البقاء بعد الفناء فيرده الى نفسه ويصحو بعد محوه ليؤدى رسالته التى اقتضاها ذلك الكرم .

الفريدة الخامسة فى حقيقة الصبر

أجاب رضى الله عنه عن حقيقــة الصبر بأنه ــ هو الرضى بحكم الله . والتسليم لأمره وأن يفرح الانســان بالمصيبة كما يفرح بالنعمة قال تعــالى « وبشر الصابرين الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون » فأرشد الى أن الصبر لا يتحقق الا بثلاثة أشياء : الرضــا بحــكم الله ، والتسليم لأمره ، والفرح ببلائه ، لأن الله قال فى وصف الصابرين « الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة » ، فقولهم « انا لله » اقرار منهم واعتراف بأنه سبحانه مالك لهم وهم مملوكون له ، ولا يتحقق هذا الا برضاهم عن تصرفه فى ملكه وهذه هى الخصلة الأولى ، وهى الرضا بحكمه . وقولهم « وانا اليــه راجعون » اقرار واعتراف بأنهم هالكون لا محــالة ، ولا يتحقــق هذا الاعتراف الا بتسليم أمرهم وأنفسهم له ، وهذه هى الخصلة الثانية ، وهى التسليم لأمر الله . وقول الله بعد ذلك « أولئك عليهم صوات من ربهــم ورحمة » ، بشرى عظيمة تقتضى أكبر الفرح والسرور ، وهذه هى الخصلة الثالثة ، وهى الفرح ببلائه . فكان جميلا من سيدى أحمد أن يعرف الصبر بأنه الرضى بحكم الله ، والتسليم لأمر الله ، وأن يفرح بالمصيبة كما يفرح بالنعمة ، لأن هذا التعريف هو الذى تنطق به الآية .

الفريدة السادسة فى حقيقــة الزهد

بينه رضى الله عنه بقوله هو مخالفة النفس بترك الشهوات الدنيوية وأن يترك سبعين بابا من الحلال مخافة الوقوع فى الحرام ، فأرشد الى أن الزهد لايتحقق الا بشيئين بترك الشهوات الدنيوية ، وبترك سبعين بابا من الحلال مخافة الوقوع فى الحرام ، ولا يتصور العقل وجود انســان يتصف بالزهد على هذا النحو فان حب الشهوات من النســاء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة وسائرالشهوات الأخرى قدفاضت بها قلوب البشر، والسعى لطلب الحرام فضلا عن طلب الحلال قد تضافرت عليها القــوى والقدر ، فلا تجد فى الناس الا عبدا لشهوة ، ولا تبصر فيهم الا قائما على حرام ، فأما

ترك الشهوات الدنيوية وترك سبعين بابا من الحلال مخافة الوقوع فى حرام فهذا أمر يعلم علما ويفهم فهما ولا يمكن تحقيقه ، ويستحيل تطبيقه الا على أمثال من عرفنا الزهد بهذا التعريف .

فمن ذا الذى يقف مع نفسه موقف المخالف لها فى جميع شهواتها الدنيوية وهى تعرض عليه فى اليوم الواحد الف لون من الوان هذه الشهوات حسية كانت تلك الشهوات أو معنوية ، فانه ان نازعها فى شهوات المآكل وما أكثرها ، وردها الى الاكتفاء بما يقيم الصلب ويدفع الحاجة الى الطعام . لأن هذا أنشط للبدن وأعون على القيام بواجبه الدينى والدنيوى . ظهرت له من ورائها بشهوة المشرب ، فأخذت تزين له من أصنافها . وتروى له روايات عن فوائدها . فهذا شراب منعش . وهذا مقو . وهذا مهيج ، وهذا ملطف . وهذا مهضم . وهلم جرا . فان لم يجمع بين الروايات وردها الى الاكتفاء بالماء . لقوله تعالى : « وجعلنا من الماء كل شيء حى » ظهرت له من وراء ذلك بشهوة النساء تعج بعجيجها . وتسابقه بخيلها ورجلها ، وتلاحقه أينما سار وأينما حل فان خالفها بغض الطرف عنها ظهرت له من وراء ذلك بشهوة القراطيس المالية ، ثم من ورائها بشهوة «الموديلات» الحديثة . ثم من ورائها بشهوة الوظائف ، ثم الجاه والسلطان واللباس وهلم جرا . ولا يمكن أن يتخلص من هذه الشهوات التى لاحصر لها ، الا بأن يضيق صلته بمن فى الأرض الا بربه . ويكف نفسه على كل ما أخرجت الأرض الا عن رغيف يأكله . وشربة ماء ترويه . وثوب يستر بدنه والأرض بعد ذلك فراشه والسماء لحافه . والكعبة قبلته . والله ممده ومعينه . هذا هو الزهد الذى يعنيه سيدى أحمد البدوى . وهنا يتحرك شيطان من شياطين الانس ويقول هذا هو الذى جعلنا فى مؤخرة الأمم . وسوقة شعوب العالم . وعاقنا عن اللحاق بهم . والسير فى ركابهم . وينسى أو يتجاهل أن المسلمين لم يبلغوا مجدهم ولم يملكوا غيرهم فى أول أمرهم . الا بزهدهم فى تلك الشهوات . واحتقارهم لهذه الملذات وتجافيهم عن تلك المهلكات . فكان عملهم كله لله ، وجهادهم كله لله ، وسعيهم فى مصالح المسلمين لله ، وخدمتهم لأبناء وطنهم لله ، لا يبغون من وراء ذلك شهوات دنيوية ولا حظوظا نفسية ، ولا مالا ولا جاها ولا سلطانا ، لأنهم

زهدوا فى كل ذلك . فأمدهم الله بمعونتــه . وأقبلت عليهم الدنيا وهم لهــا كارهون . ودانت لهم بكل ما فيها وهم عنهــا معرضون . ومن يوم أن فتح المسلمون قلوبهم لتلك الشهوات . وتهافتوا عليها كما يتهافت الفراش على النار . فضحوا فى سبيلها بالدين كله والوطن كله قطع الله معونته عنهم ووكلهم لأنفسهم . فخسروا الدارين وذاقوا الأمرين . وأصبحوا مأكلة الامم . وملعبة الاستعمار .

الفريدة الســـابعة

فى بيان حقيقة الايمان الناقص والكامل والأكمل

اختلف العلماء فى أن الايمان هل هو حقيقة لا تقبل الزيادة ولا النقص . فايمان آحاد الناس لايفترق عن ايمان أبى بكر رضى الله عنه، وايمان أبى بكر لايختلف عن ايمان الرسول صلى الله عليه وسلم . أو أن الايمان تتفــاوت درجاته فى قلوب المؤمنين . فمنهم من ايمانه قوى ومنهم من ايمانه أقــوى . ومنهم من ايمانه ضعيف . ومنهم من ايمانه أضعف . الى الأول ذهبت طائفة من العلماء، والى الثانى ذهب جمهورهم. ويؤخذ من اجابة سيدى أحمد البدوى رضى الله عنه أن الايمان يزيد وينقص فى الناس . ويتفاوت على قدر تفاوتهم فى تقوى الله فهو يقول أكثر الناس ايمانا أتقاهم لله تعالى فعلى قدر درجتهم فى التقوى تكون درجتهم فى الايمان . فمن اتقى ربه بتوحيــده وتبريه من الشرك والكفر فقد وقى نفسه من العذاب المخلد فى النار . وهذه أقل درجة من درجات الايمان لأنه حصل على أقل درجة من درجات التقوى . ومن اتقى ربه بالتجنب عن كل ما يوقع فى الاثم من فعل معصية ولو صغيرة ، وترك طاعة ولو مندوبة فقد وقى نفسه من دخول النار ودخل الجنة فى عداد المتشرعين . وهذه درجة كاملة من درجات الايمان لأنه حصل على درجة كاملة من درجات التقوى ومن اتقى ربه باقباله بكله عليه ، وتنزيهه نفسه عن كل ما يشــغله عن الله تعالى حتى يكون الله سمعه الذى يسمع به الى آخره فقد وقى نفسه عن كل الأغيار ، حتى الجنة والنار ، وهذه أعلى درجة من درجات الايمان لانه حصل على أعلى درجة من درجات التقوى ، فلما كانت التقوى على درجات كان

ايمان الناس على درجات تبعا لتقواهم ــ ولما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أتقى الناس لأنه قال : « أخشاكم لله وأتقاكم أنا » ، كان ايمانه أقوى ايمان ، فمن هنا يعلم كما يقول سيدى أحمد أن الايمان يزيد وينقص تبعا لزيادة التقوى ونقصها وأن أقوى الناس ايمانا أتقاهم ثم قال رضى الله عنه كلما حسنت أخلاق المريد كلما حسن ايمانه ، وأحسنكم أخلاقا أكثركم ايمانا هذا عناية من سيدى أحمد يحث بها تلميذه على وجوب حصوله على ثمرات التقوى وهى الأخلاق الحسنة اذ لامعنى لان يعمل عملا ثم لايتخلق بما يعمله فلابد من الحصول على ثمرة الاعمال ، وهو حسن الخلق ، ولذلك جعل رضى الله عنه حسن الأخلاق صنوا للتقوى فى تقويةالايمان فقال كلما حسنت أخلاق المريد كلما قوى ايمانه ، فاذا اجتمعت فيك التقوى الكاملة والأخلاق الفاضلة فقد اجتمع فيك كمال الايمان ، واذا اجتمع فيك أكمل التقوى وأحسن الأخلاق اجتمع فيك أكمل الايمان ، واذا حصلت على أكمل الايمان ، حصلت على أثمن شيء يحصل عليه المريد الصادق وهو المعرفة بالله ، والتهيؤ لمقام النيابة عن رسول الله ، أو المقام الذى يسميه المتصوفة بالامامة العظمى أو القطبانية الكبرى .

الفريدة الثامنة

ونختم هذه الفرائد بوصيته العطرة التى تعتبر من جوامع الكلم ، وتعد بحق فصل الخطاب فى أغراضها ومراميها ، قال البدوى فى بعض وصاياه لتلاميذه التى رواها عن الحسن البصرى « من لم يكن عنده علم لم تكن له قيمة فى الدنيا ولا فى الآخرة ، ومن لم يكن عنده حلم لم ينفعه علم ، ومن لم يكن عنده سخاء لم يكن له من ماله نصيب ، ومن لم تكن عنده شفقة على خلق الله لم تكن لهشفاعة عند الله ، ومن لم يكن له صبر لم تكن له فى الأمور سلامة ، ومن لم يكن عنده تقوى لم تكن له منزلة عند الله ، ومن حرم هذه الخصال الست فليس لهمنزلة فى الجنة» ، فهورضى الله عنه يحث تلاميذه ومريديه على تعلم العلم ويبين لهم فضله وثمرته فيقول من لم يكن عنده علم لم تكن له قيمة فى الدنيا ولافى الآخرة فعلى قدرعلمك بذات الله وأسمائه وصفاته تكون قيمتك فى الآخرة ، وعلى قدر علمك فى الدنيا تكون

قيمتك بين النـاس ، ولما كان العالم الأحمق لا يفيـده علمه شيئا أتبع ذلك بقوله ومن لم يكن عنده حلم لم ينفعه علم فان العلم بدون الحلم كالتاج من الذهب على رأس حيوان شرس يعجبك منظره ، ويسيئك مخبره ، فلابد للعلم من حلم يزينه والا ضاعت ثمرته وانحطت قيمته ثم حثهم على السخاء بقوله ومن لم يكن عنده سخاء لم يكن له من ماله نصيب ، لأن الحريص على المال انما يجمعه لغيره فاذا لم ينتفع به انتقل عنه الى وارثه لا محالة ولم يكن نصيبه منه الا جمعه وعده ، ثم مناقشته عليه وعذابه به « يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسـكم فذوقوا ما كنتم تكنزون » . ثم بين لهم أن أصحاب الشفاعة عند الله هم أهل الشفقة على خلق الله فقال ومن لم تكن له شفقة على خلق الله لم تكن له شفاعة عند الله ، فالشفقة على الفراء ، والعطف على البؤساء ، والرحمة بالضعفاء عنوان صـادق على أنك سـتكون عنـد الله فى الآخـرة من الشـفعاء ، والشـح على الفقراء ، والغلظة عـلى البؤسـاء والشـدة والتجبر على الضـعفاء عنـوان صادق على أنك سـتكون هنـاك من أهل البعـد والجفاء ، ثم أرشدهم الى أن السلامة فى الأمور لا توهب الا للصابرين ، وأن المنزلة عند الله لا تنال الا بالتقوى فقال ومن لم يكن له صبر فليس له فى الأمور سلامة ، ومن لم تكن عنده تقوى فليس له منزلـة عند الله ، فالصبر لا يدخل فى شىء الا زانه ، والجزع لا يدخل فى شىء الا شانه ، وأخلق بذى الصبر أن يحظى بحاجته ، «وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا» . «ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرا» ومن يتق الله يجعل له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ، فاحرص على هذه الخصال الست فان من حرم هذه الخصال الست فليس له منزلة فى الجنة ــ احرص على العلم وزينه بالحلم ، وتوجه بالكرم والسخاء ، وباركه بالشفقة على الفقراء وجمله بالصبر على البلاء مع الخوف من الله تنل أبعد الغايات وأسمى الدرجـات فى دنياك وأخراك .

عادات البـدوى

مما يوضح لنا بعض النواحى الغامضة فى حياة السيد البدوى معـرفة عاداته لأنه اذا لم تعلم عاداته لم تعرف أحواله وما كان عليه فى سيره وسلوكه

ـ فمن عاداته ـ ملازمة الصيام ـ فكان يطوى أربعين يوما لا يذوق فيهـا طعاما ولا شرابا ، ومن عاداته ، ملازمة العبادة من قيام ، وكان يقول ركعتان بالليل خير من ألف ركعة بالنهار ـ وذكروا من عاداته حب التوسل ـ أى أنه يحب أن يسأله الناس ، وهذه سنة من سنن الله تعالى ـ فالله يحب أن يسأله الناس ويغضب اذا تركوا سؤاله ـ وكل متخلق بأخلاق الله تعالى يحب لكرم طبعه ، وخلوص نفسه وعلو همته أن يسأله الناس ، ويحب أن يسعى لهم فى قضاء مصالحهم ـ ونشاهد مثل هذه العادة فى بعض النـاس الذين صفت أرواحهم ، وخلصت نياتهم يحبون من الناس أن يسألوهم قضاء مصلحة أو تقديم خدمة عن خلوص قلب وسلامة ضمير ـ وهو رضى الله عنه من هـذا الصنف الذى يحب أن يسأل وأن يعمل لغـيره ـ ذكروا له من عاداته هذه العادة ، وذكروا أن تخلقه بها ناشىء عن اعتزازه بنفسه ، وبشخصيته ، لأنه من عرب البادية الذين يعتزون بشـخصيتهم ، ونحن لا نوافقهـم على هذا التعليل لأن الأصل فى محبته للتوسل يرجع الى سلامة نيته ، وخلوص فطرته التى فطره الله عليها ، ونشاهد مثلها فى كثير من الناس الذين لم يكونوا من عرب البادية . ولم يعاشروا فى حياتهم أحدا من الأعراب ، فحب التوسل هبة من الله تعالى لبعض عباده المصطفين الأخيار ، الذين اختارهم الله لاجراء الخير على أيديهم للعباد ، فيشعرون بلذة روحية تشتعل فى جوانحهم عند ما يجرى الله على أيديهم خدمة أو قضاء مصلحة للمسلمين ، والبدوى من هذا الصنف، فان أعماله كلها انسانية بحتة تدور حول العطف على الضعفاء . والرحمة بهم والتطوع لخدمتهم ، وشمولهم بكرمه السابغ وحماه المنيع .

صفات البدوى البدنية والروحية

كان البدوى بدينا ضخما طويل القامة طولا غير بائن ، عظيم الوجـه وكبيره . خفيف العارضين كث اللحية من أسفلها سهل الخدين ، قمحى اللون يضرب لونه الى البياض، أكحل العينين ،أقنى الأنف . طويل الذراعين غليظ الساقين وبوجهه ثلاث حبات من أثر جدرى ، فى خـده الأيمـن واحدة وفى الأيسر اثنتان ، على أنفه شامتان فى كل ناحية شامة سوداء وندبة بين عينه من

طعنة بموسى ، يعلو وجهه الكبير مسحة من الهيبة والجلال ، ولصوته غير الجهير نبرات حادة حاسمة ، مرحا اذا شاء المرح ، جادا اذا شاء الجد ، لا يثنيه عن عزمه الا القضاء المبرم ، ولا تأخذه فى الحق لومة لائم ضنينا فى اخباراته حريصا فى عباراته . يعمل فى الخفاء ، وقل أن يعمل فى الظهور ، ويغلب فى لسانه المزاح من نوع رفيع ولكن لا يمكن أن يكون كلامه الا حقا . والا مقصودا بهالحق، ويستعمل اللغة العاميةالبحتة، وحدث عن قوته الروحية ولا حرج ، قلت له مرة ان فلانا ربما كان غاضبا منى من أجل مسألة كذا فأجابنى بقوله « يتفلق » بالقاف التى تشبه الجيم كلغة الشراقوة .

تقبيل الآثار والمزارات والتمسح بهـــا

هذه القبلات التى نسمع رنينها ، ونرى انطباعها على المزارات ، وهذه الأيدى التى تمتد على الحواجز النحاسية والخشبية ثم تعاد للتمسح بهـــا بقصد التبرك بمن أقيمت عليه من نبى أو ولى ،أو بقصـــد اظهار الصـــدق والاخلاص والمحبة . ليست مندوبة ولا مطلوبة شرعا . وليست مما تجلب لفاعلها الرضى والمحبة وان كانت عنوانا على الرضى والمحبة وانما الذى يجلب لفاعله الرضى والمحبة هو أن يقف الزائر خارج الباب فيستغفر ربه احـــدى عشرة مرة من خطيئاته وفرطات لســـانه التى ارتكبها قبل قدومه للزيارة فاذا تطهر من خطيئاته دخل فى أدب واحترام وقال لا اله الا الله احدى عشرة مرة أيضا ويختم الحادية عشرة بقوله محمد رسول الله فانه اذا كانت روح الولى غائبة أو مشغولة بأمر حضرت عند ذكر لا اله الا الله . لأنه لا شيء أشـــهى للولى من ذكر الله،فاذا ذكر عندها حضرت على عجل.وبعد ذلك يبدؤ بالسلام فاذا سلمرد عليه السلام.ورده للسلام منحةللزائر لايستهان بها، ثم يقرأ سورة الاخلاص احدى عشرة مرة ثم يقول اللهم تقبل منى هذه القراءة واجعـــل ثوابها فى صحيفة سيد المرسلين صلى الله عليـــه وسلم . وثواب مثـــل ذلك لأرواح أبينا سيدنا آدم وأمنا سيدتنا حواء ومن ولدا من الأنبياء والمرسلين والشهداء والصالحين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين . وثواب مثل ذلك لآل بيت النبى وأصحابه وأزواجه وذريته وأهل بيته صلى الله عليه وسلم .

ورضى الله عنهم وعنا ونفعنا الله بهم فى الدنيا والآخرة وألحقنا بهم فى الدارين آمين وثواب مثل ذلك فى صحيفة هذا الولى ثم من تحب بعد ذلك . فاذا قدم لهم هذه الهدية طالبه بهدية مماثلة فقال « شيء لله من المدد ياسيدى فلان ، احدى عشرة مرة ، وبعد ذلك يبسط يديه الى السماء ويطلب من الله حاجاته الدنيوية ثم الأخروية وعندئذ يؤمن الولى على دعائه الدنيوى ثم الأخروى . وتأمينه قد يكون سببا فى قبول دعائه وقد يكون سببا فى قبول ما هو منه مصلحة للداعى ، فهذه هى صفة الزيارة التى تجلب لفاعلها الرضا والمحبة من سيدى أحمد البدوى ، وقد تلقنت هذه الزيارة من ولى كبير . وأنا طالب علم صغير . وكنت أتردد على زيارته . ولم يمكث ترددى الا سنوات معدودات . فأبرق بعدها الحياة . وعندما قرب رحيله الى الدار الآخرة كان يغشى عليه فيمكث اليوم بطوله لا يأكل ولا يشرب ; ولا يكلم أحدا ولا يكلمه أحد . وكنت فى تلك الأيام الأخيرة اذا ذهبت لزيارته أجده فى حالة غيبوبة تامة . فأجلس وأقرأ فى سرى هذه الزيارة فاذا قلت فى سرى لا اله الا الله ثلاثا أو أربع مرات فما أشعر الا وقد انتفض بدنه . وانفتحت عيناه . وانبعث فيه الضوء كما ينبعث الضوء فى المصباح الكهربائى اذا تحرك مفتاحه . فأسلم عليه فيقول من أنت فأجيبه . فيقول ماذا كنت تقول ، فأقول كنت أقرأ الزيارة التى لقنتها لى ثم يغيب وكأن لم يكن له وجود ثم اذا قدمت لزيارته فى يوم آخر شرعت فى الزيارة على النحو المتقدم فتحضر روحه عند ذكر لا اله الا الله فأسلم عليه ثم يغيب . وهكذا حتى لقى ربه . فكان هذا دليلا على أن الزيارة بالصفة المتقدمة سليمة ومقبولة كما أنه دليل واضح على أن روح الولى اذا كانت غائبة أو مشغولة تحضر عند الذكر كما أن ذلك أوضح دليل على أن هذا الولى كان من الأقطاب الكبار ، والله أعلم ، ورضى الله عنه .

الحجر الأسود
الموجود بركن المقام الأحمدى

مشى رسول الله صلى الله عليه وسلم على الرمل الكثيب المهيل . فقص أعداؤه أثره فلم يجدوا لقدميه الشريفتين أثرا على الرمل الكثيب المهيل .

ومشى على الصخر الأسود الجلمود فأثرت قدماه الشريفتـان فى الصخر الأسود الجلمود . ليريهم بهذا وذاك أنواعا من معجزاته عليه الصلاة والسلام، وهذا الحجر الأسود الموجود بركن المقام قيل هو من ذلك الصخر الأسود الذى مشى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأثرت فيه قدماه الشريفتان . احتفظ به لأنه أثر من آثاره ، وتخليد لمعجزة من معجزاته ، وقد تناوبه بالحفظ المعنيون بالمحافظة على آثاره . حتى استقر فى هذا المكان المناسب لحفظه فيه ليبقى فى الناس على مر الدهور علما من أعلام نبوته . وشاهدا ناطقا يشهد بصحة رسالته ودليلا واضحا يدل الناس على بعض معجزاته . وعظيم آياته عليه الصلاة والسلام .

وقيل انه حجر منحوت على صورة قدميه الشريفتـين ليكون بمثـابة ذكرى بمعجزته عليه الصلاة والسلام .

وقد ذكر القائلون بأن هذا هو قدمه عليه الصلاة والسلام أدلة كثيرة تثبت ذلك .

منها الشهرة والاجماع فان شهرة نسبته اليه عليه الصلاة والسـلام بلغت حد الحديث المشهور وان اتفاق المسـلمين على هذه النسبة بلغ حـد الاجماع ، واهدار هذه الشهرة واهدار هذا الاجماع بمثابة اهدار الحديث المشهور الذى يجب العمل به وبمثابة اهدار الاجماع الذى يجب الاعتداد به فكانت هذه النسبة صحيحة .

ومنها أنه لا يوجد هناك أى داع يدعو الناس ويدعو النحـاتين الى أن يقوموا بعملية مفتراة على رسـول الله صلى الله عليـه وسلم يضلون بها الناس من غير أن يعارضهم فى هذه العملية المفتراه رئيس دينى أو حاكم شرعى يأخذ على أيديهم ، فلما لم يثبت شىء من ذلك فى التاريخ دل ذلك على صحة نسبته الى الرسول صلى الله عليه وسلم .

ومنها أن دار الآثار ملأى بآثار قدماء المصريين ، ونسمع القـائمين على حفظ هذه الآثار يقولون هذا أثر فلان ، وهذا أثر فلان ، فنسمع منهم ونصدق روايتهم . ولا يمكن أن نطالبهم بدليل واحد يدل على أن هذا الأثر

بعينه هو أثر « توت عنخ أمون » أو غيره فاذن لا معنى لان تتوقف فى نسبة القدم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يمض عليه الا أربعة عشر قرنا ، ثم لا تتوقف فى نسبة هذه الآثار الى أصحابها وقد مضى عليها عشرات القرون . فكانت هذه النسبة صحيحة كغيرها مع تعزيزها بالشهرة وبالاجماع .

«ومنها» أن بعض المماليك البرجية أراد فى عهده رفعه من مكانه للتبرك به عنده فأرسل عماله ليرفعوه . ولما عملوا معاولهم فى رفعه صادفتهم صعوبات شديدة أعجزتهم عن رفعه من مكانه ، ولما لم يستطيعوا ذلك تركوه على حاله، فكان ذلك منهم بمثابة الاعتراف بصحة هذه النسبة .

« ومنها » أنه اذا كان هذا الحجر من صناعة المثالين أو النحاتين ، فانه لا يمكن أن يقتصر هؤلاء النحاتون على عمل حجر واحد ، يقيمونه فى مقام واحد من بين مقامات الاولياء . بل ان المنطق والعقل يقضيان عليهم بتعدد هذه الصناعة الفريدة . ويقضيان عليهم بنشر هذه الصناعة فى مقامات الأولياء فلما لم تتعدد هذه الصناعة رأسا ولما لم يوجد منها فى مقام آخر حجر مثله . دل ذلك دلالة قاطعة على انفراد هذا الحجر بهذه المعجزة العظمى .

« ومنها » أن هذا النوع من الحجارة السود لا يوجد الا فى الجبال السود . وهى منتشرة بكثرة تلفت النظر فى بلاد الحجاز . وليس فى أنحاء مصر جبل أسود واحد فدل ذلك قطعا على أن هذا الحجر هو حجر المعجزة الكبرى لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

أما المعارضون فانهم يقرون بالمعجزة فى ذاتها . ويطالبون بالدليل على أن هذا الحجر بعينه هو حجر هذه المعجزة وقد ذكرنا أدلة المثبتين مفصلة . وهى فى مجموعها تصلح أساسا للاعتماد عليها فى اثبات ذلك والله أعلم وقد يكون من أوضح الأدلة على أن معارضة هؤلاء المعارضين لهذا الحجر غير سليمة . أنه يوجد بالمقام الحسينى عصا من آثاره صلى الله عليه وسلم.ويوجد بمقام سيدى عبد العال شعرة من شعراته عليه الصلاة والسلام ويقول القائمون على حفظها انها آثاره صلى الله عليه وسلم فيسمع الناس كلامهم ويصدقون روايتهم فيقرءون الفاتحة له عليه الصلاة والسلام وينصرفون . فلماذا يعارضون فى الحجر . ولا يعارضون فى العصا والشعرات ــ يعارضون فى القدم لأنه

معجزته عليه الصلاة والسلام ولا يعارضون فى العصا والشعرات لأنها ليست معجزات . فليس لانكارها عندهم اشباع لغرائزهم فى انكار معجزاته عليه الصلاة والسلام .

وقد وضع هذا الأثر العظيم فى هذا المكان بالذات ليكون رمزا بما انطبع عليه لأن سيدى أحمد كانت قدمه على قدم الرسول صلى الله عليه وسلم وكانت سيرته وطريقته على سيرة وطريقة الرسول . وقد أشرنا فى مفتتح هذا الكتاب الى ما يوضح ذلك .

ولزيادة الايضاح نقول ان مواهب رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمته كثيرة لا تنحصر فى عدد ، ومن أفضل المواهب موهبة قدمه الشريف ، وموهبة يده الشريفة . فموهبة القدم يهبها للعاملين بكتاب الله والعاملين بسنته. وموهبة يده الشريفة يهبها للذاكرين الله كثيرا والمشتغلين باسماء حضرته . وقد اختص البدوى بموهبة القدم لأنه سار على قدمه . ونهج منهجه ، ومنهج خلفائه الراشدين . واختص عليه الصلاة والسلام أجداد البدوى . ومن شرب من منهل أجداده بموهبة اليد الشريفة لأن سلوكهم بواسطة ذكر الأسماء . فكان وضع القدمين الشريفين عند رأس سيدى أحمد رمزا لهذا المقام العظيم والله أعلم .

الموالد التى تقام باسم الاولياء

هى فى الأصل احتفالات شعبية يقوم بها الشعب لاحياء ذكرى بعض الأولياء الذين سمت نفوسهم وصفت أرواحهم . وتخلصت من نوازع الهوى وعمى البصائر والقلوب . بسبب عكوفهم على الطاعة وانقطاعهم الى الله واعراضهم عن زخرف الدنيا وزينتها وزهدهم فيما يتهافت عليه الناس من لذة ومال وجاه . ويظهر من سلوك هذه الطائفة أن أرواحهم اذا صفت وبلغت فى التسامى الروحى حدا خارجا عن العادة تغلبت عندهم عوامل الروح على عوامل البدن . فكان لأرواحهم تأثير خاص يرى أثره ولا يعلم سببه . كالعائن يتوجه بنفسه الحادة الى ما يبدو عجيبا من انسان أو حيوان فيخر لوقته صريعا من غير أن يعلم سبب لهذا التأثير العجيب . وحينما تظهر هذه التأثيرات الروحية على أيدى هؤلاء لا تسأل عما يقع فى قلوب الجمهور من تلقيهم لها

بالقبول ولا تسأل عن اقبالهم على تقبيل أيدى هـؤلاء وأقدامهم .. لأنهم ينظرون اليها نظرهم للمعجزات التى تظهر على أيدى الرسل فيقبلون عليهم بكليتهم . ويبالغون فى احترامهم والحظوة بمشاهدتهم ـ حتى اذا ووريت أجسـامهم فى التراب أقاموا لهم هذه الاحتفـالات الشعبية كذكريات لهم . واحياء لمآثرهم التى لمسوها وعاينوها . فيتندرون بما لمسوا ، ويتحدثون بما عاينوا ، ملتمسين من وراء ذلك الحصول على دعوة صالحة أو بركة شـاملة من روح ذلك الولى معتقدين بحق أن الروح لم يلحقها الفناء وأنها بتجردها عن بشريتها بالموت ، أصفى فى نفسها وأقرب الى رضا ربها ، وأرجى فى نفعها مما كانت عليه فى زمن الحياة ، وتبنى اقامة هذه الحفلات على سرد هذه المآثر منظومة فى أبيات من الشعر تلقى فى حلقات الذكر والندوات التى يجتمع فيها المحتفلون .

هذا هو الأصل فى اقامة هذه الموالد الشعبية التى تقام باسم الأولياء ، وهى باعتبار هذا الاصل لا غبار عليها . لان اقامة الاحتفالات الشعبية أمـر شائع فى كل شعوب العالم يقيمونها لتقديس قائد أو تكريم عظيم . والدين يحث على التسابق والتنافس فيقول « لمثل هذا فليعمل العاملون » والموالد بقدر ما هى ذكريات هى أيضا تستنهض الهمم الغافلة والقلوب الضالة وتستنفر الناس ليعملوا عملا صالحا يخلد لهم ذكرى حسنة ويبقى لهم لسان صدق فى الآخرين .

موالد البـــدوى

لما توفى سيدى أحمد رضى الله عنه سنة ٦٧٥ هجرية ، وأذيع نعيه بين طبقات الشعب هرع الى طنطا آلاف مؤلفة من أبنائه الذين رباهم ونشرهم فى طول البلاد وعرضها ليبثوا دعوته بين الناس ، حضر أبناؤه وتلاميذ أبنـائه ، وكل من يعرف قدر السيد البدوى وكرامتـه على مولاه وكانوا جمـوعا لا يحصون ، فنزلوا خارج طنطا فى الموضع الذى يقام فيه مولده بين مدينة طنطا وقرية « سيجر » لأنه لا يوجد مكان فى المدينة يتسع لنزولهم ، ولما قامـوا بعملية الدفن وأدوا لخليفته واجب العزاء ، مكثوا بعـد ذلك ثلاثة أيـام فى الموضع الذى نزلوا به ، يعزى بعضـهم بعضا كما هى العـادة ، ولما أرادوا

الانصراف الى مواطنهم ، قالوا لسيدى عبد العال لابد أن نحضر كل عام فى اليوم الذى توفى فيه ، ونحيى هذه الذكرى ما دمنا على قيد الحياة ، وكانت الوفاة يوم ١٢ ربيع الأول أى يوم الليلة الختامية لمولد الرسول ، فمن أجل ذلك سمى يوم وفاته يوم مولده وبدلا من أن يسموا يوم وفاته يوم الاحتفال بذكرى وفاته سموه يوم الاحتفال بذكرى مولده لحدوث الوفاة كما قلنا يوم الاحتفال بالليلة الختامية لمولد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وظل أتباعه يحضرون كل عام الى طنطا ثلاثة أيام تبتدىء يوم ١٢ ربيع الأول وتنتهى فى اليوم الرابع عشر من هذا الشهر ، ثم توسعوا فى المدة حتى كانت ثمانية بدلا من ثلاثة أيام — ومن هنا نشأ مولده الكبير فى كل عام — وفى اليوم الثامن يركب الخليفة ركوبته ويطوف فى شوارع طنطا الكبيرة ايذانا بانتهاء مدة المولد ، وتقليدا لما كان يفعله سيدى عبد العال من خروجه بنفسه فى اليوم الأخير لتوديع أتباع سيدى أحمد عند انصرافهم لبلادهم بعد تمام مدة الاحتفال — هذا هو الأصل فى اقامة مولد سيدى أحمد الكبير .

أما مولده الصغير فيظهر أنه كان يقام تخليدا لذكرى وفاة سيدى عبد العال وسمى يوم وفاته مولدا تشبيها بتسمية يوم وفاة أستاذه مولدا لما قدمنا وقد ظل المولد الصغير يقام الى جانب المولد الكبير قرونا طويلة حتى اكتفى الناس فى العهود القريبة بالمولد الكبير عن المولد الصغير ظنا منهم أن المولدين الكبير والصغير يقامان لسيدى أحمد نفسه والواقع أن الصغير كان يقام لذكرى وفاة سيدى عبد العال ، فترك الناس الاحتفال بهذه الذكرى، والأصل أن يقام الاحتفال بالمولد الكبير فى يوم ١٢ ربيع الأول وهو يوم الوفاة لكنه قد دخل التغيير فى زمن اقامته لأسباب اقتصادية .

أما المولد الرجبى نسبة الى شهر رجب أو الى رجل يسمى رجب العسيلى — فيظهر أن الأصل فى اقامته أنه لما توفى سيدى أحمد يوم ١٢ ربيع الأول ، وهو يوم الاحتفال بمولد سيد الوجود ، ومن أجل ذلك سمى يوم الاحتفال بوفاة البدوى مولدا كما قدمنا — عمدوا الى تشبيه احتفالات البدوى بالاحتفالات التى تقام لسيد الوجود ، فجعلوا له مولدا رجبيا مثل الاحتفال بالرجبية التى تقام فى شهر رجب لسيد الوجود ويقصدها الناس من سائر الاقطار لزيارته صلى الله عليه وسلم .

وقد يكون الأصل فى الاحتفال بالمولد الرجبى عند سيدى أحمد البدوى ــ هو قصد الاحتفال بالرجبية التى تقام عند سيد الوجود فى شهر رجب ــ شارك فيها الفقراء الذين قصرت بهم النفقة عن الذهاب الى المدينة المنورة ، وأقاموها عند سيدى أحمد البدوى باعتبار أنه باب الرسول ، وأن الاحتفال بها هنا فى نظرهم كالاحتفال بها هناك ــ وقال بعض المؤرخين هو نسبة الى رجل يسمى رجب العسيلى كان من كبراء المحلة الكبرى فى الأيام التى كانت فيها عاصمة للغربية قبل طنطا حيث أحضر كسوة وعمامة للبدوى ، وحضر بها فى موكب عظيم وجعل من ذلك موعدا لزيارة البدوى كل عـام . ووقف من أمواله على هذه الزيارة ثم اتخذت عادة بعد ذلك وهذا لا ينـافى ما قدمنا . وهذا المولد الرجبى مظهره دينى بحت يحضر فيه الفقراء والأتباع لاقامـة الاذكار ، ولقراءة القرآن ، والأوراد . والصلوات . ويحضرون معهم كميات وفيرة من الخبز والاطعمة الأخرى لتوزيعها على الفقراء والمساكين على مدد البدوى ويمكثون فى المسجد ثمانية أيام على هذا النحـو ثم ينصرفون الى بلادهم . وليس فيه شىء يؤخذ على الزوار الا شربهم للدخان فى المسـجد . وعدم اجتماعهم على امام واحد لاقامة الشـعائر . ولو أن القـائمين بالأمر . أخرجوا كل من يشرب الدخان من المسجد . ومنعوا الفقراء من انشاء جماعات صغيرة . وحملوهم على جمعهم على امام واحد للصـلاة لأدى ذلك المـولد الغرض الذى أقيم من أجله ، ويلاحظ أن الزوار لا يلقون بالا لنصائح الوعاظ وارشاداتهم التى يؤدونها من وراء حجاب . فلو أنهم يواجهونهم بالموعظـة ، ويجابهونهم بالارشـاد والأخذ والرد لكان الشعب أسمع لهم ، وأكثر قبولا لقولهم ، واقبالا على سماع نصائحهم ، أما مسألة الأكل والشرب فى المسجد وما يحدث منهما من قذارة فيمكن غفرها مادام القصد من وجودهم هو اطعام الفقراء والمساكين .

واذا علمت مما تقدم أن المولد الكبير هو احتفال بذكرى وفاة سيدى أحمد ــ وأن المولد الصغير هو احتفال بذكرى وفاة سيدى عبد العال ــ وأن المولد الرجبى هو احتفـال بمثل احتفال الرجبية التى تقـام لسيد الوجود مقصودا به سيد الوجود نفسه أو سيدى أحمد ــ فاعلم أن قول المعترض ــ واذا كانوا قد جعلوا لكل صاحب قبة مولدا واحدا حتى (مولد) النبى صلى

الله عليه وسلم فانهم قد جعلوا لأحمد البدوى ثلاث موالد فى كل عام — ثم قوله بعد ذلك كأنه قد ولد على غير سنن البشر ثلاث مرات قوله هذا جهل وغباء ، لأن هذه الموالد ليست احتفالات بمولد أحـد كما يفهم المعترض ، وليست كلها للبدوى كما يظن .

محاســن الموالد

عيد سعيد للفقراء

ان من يتأمل ما يجرى فى الموالد بصفة عامة يدرك أنها تخفى من وراء مظاهرها عيدا سعيدا للفقراء حيث يتسابق الناس حتى البخلاء منهم بالعطف على الفقراء ، والتصدق عليهم بالقليل والكثـير من الاطعمة — واللحـوم والأموال وكل ما يمكن بذله — وترى الفقراء بين غاد ورائح — يصافحـون هذا ويأخذون منهذا فيملأونجعبتهم ويسدون جوعتهم وترى حقائبهم كأنها موائد جمعت فيها أنواع الأطعمة من خبز الى قطع من اللحم الى فول معبأ فى أكياس من الخبز الى أنواع من الخضر وقطع من الجبن ، وملفات من«الدقة» المخصوصة التى تتغلب برائحتها على الهواء فيتلهف عليها الزائرون هذا الى جانب القروش التى تفيض بها جيوبهم ، وتمتلىء منها حقائبهم .

سوق رائجة للتجارة

وكما أن الموالد عيد سعيد للفقراء هى أيضا تخفى من وراء مظاهرها سوقا رائجا للتجارة — فان جميع التجار يقدرون الموالد كأنها معـرض من المعارض العامة التى تقيمها الأمم لتعرض فيها مقدار تقدمها فى الصـناعة . وارتقـائها فى الحضارة . وأسبقيتها فى العمران . فيقبلون عليها بتجـارتهم ، ويتخيرون من ألوان الأقمشة ، وأنواع اللعب وأصناف الأطعمة ما يلفتاليهم الأنظـار فترى الأطفـال عاكفين على تاجر والشـبان مزدحمين على آخر ، والشيوخ على ثالث ، والنساء على رابع — كل على حسب حاجته يبيعـون ويشترون — جادين مجتهـدين بصورة تلفت النظر — وكأن التجار يبيعون لينصرفوا الى حاجة تدعوهم الى الانصراف ، وكأن الزوار يشترون — الى

حاجة تدعوهم للاختزان ــ فلا يلبث أن تنصرف بضاعتهم وتروج تجارتهم . وينصرفون جميعا راضين مطمئنين .

فترات رياضية بدنيـــة وروحية
تطهر النفوس الضالة

تهيىء وزارة التربية والتعليم للمدرسين والتلاميذ فترات فى أثنـــاء الدراسة ، يقومون فيها برحلات استكشـــافية يزورون فيها معالم البـــلاد وآثارها ترويضا لأبدانهم وترويحا لنفوسهم ، وتوسيعا لأفقهم ، وتدريبـــا لهم على تحمل الاسفار وتشجيعا لهم على السير فى الارض للفتح والتعمير ، وليست الموالد الا رحلة شعبية رياضية يتنفس فيها الشعب ، ويستريح من جهد الحياة ، وعناء العمل ، والملل من استمراره ، ومداومة ملازمته ، وهى فى الوقت نفسه رحلة روحية تتيقظ فيها الروح الدينية وتتمثل فى اطعام الطعام وقراءة القرآن ، وتلاوة الأوراد ، وحلقات الذكر ، فى البيوت والمساجد أثناء الليل وأطراف النهار وليست زيارة الولى وما يكتنفها من عظات وعبر بأقل أثر من زيارة المعالم الأثرية ، والآثار الفرعونية .

مثالب الموالد

بالاضافة الى تلك المحاسن التى أوضحناها ــ يشاهد فى الموالد أمور ينهى عنها الشرع ، وتمقتها الشرائع السماوية . تعج بها دور الملاهى ومسارح السينما وغيرها .

ويشاهد حول المزار هرج ومرج لا يليق بأدب الزيارة ويتنافى مع مـــا ينبغى لها من أدب وخشوع وقد تنطلق من أفواه احدى الزائرات الزغاريد المزعجة فيتعاقبنها واحدة تلو الأخرى حتى تعم جنبات المزار تلك الصيحات المزعجات . هذه هى كل المثالب التى يمكن أن تؤخذ على اقامة الموالد .

الحكم لها ـ وعليهـــــا

أخذت أقارن بين محاسن الموالد ومثالبها وبعد اعمالى فى النظر وترو فى الحكم وتقليب للموضوع على كل وجه رأيت أن هذه المحاسن منبعثة من

طبيعة الموالد ومنبثقة من روحها ــ فلولا اقامة الموالد ما تهيأت هذه الفرص التى يتطلع اليها التجار كمصادر لتنمية ثروتهم وموارد لاستجلاب ارزاقهم ويتلهف عليهــا الفقراء كمواسم لســد حاجاتهم ومعالجة بؤسهم ، ويتنفس فيها المتأزمون من مضايق الحياة ومتاعب العمل ــ أما تلك المثالب المنبعثة من دور السينما والملاهى وغيرها فلا يمكن عقلا أن نعدها منبعثة من طبيعة الموالد ولا منبثقة من روحها ــ فسواء أقيمت الموالد أم لم تقم فهى منتشرة بين طبقات الشعب ــ ومتغلغلة فى أنحاء البلاد ــ وليس للموالد تأثير فيها الا أنها تجتمع لها اذا أقيمت وتتفرق عنهــا اذا انتهت فالمحاسن ناشــئة من طبيعة الموالد فتؤخذ لهــا وتحسب من حسناتها والمفاسد ليست ناشــئة من طبيعتها فلا تؤخذ عليها ولا تحسب من سيئاتها ــ وانما تدفع عنها اذا أريد تطهيرها منها ــ أما المثالب التى تدخل فى نطاق المزارات فأمرها يسير وعلاجها يكون بتثقيف هؤلاء الجهلة بآداب الزيارة وتوجيههم بواسطة القائمين بأمر هذه المزارات توجيها دينيا يتمشى مع تعاليم الدين وما تقتضيه حكمته هذا هو الحكم لها وعليها وما توفيقى الا بالله .

ما كتبه الفقهاء فى النذور للاولياء

قال فقهاء الشافعية لو نذر زيتا أو شمعا لاسراج مسجد أو غيره صح النذر ان كان يدخل المسجد أو غيره من ينتفع به من مصــل أو نائم والا لم يصح لأنه اضاعة للمال فهو باق على ملك مالكه يدفــع له أو لوارثه والا صار لمصالح المسلمين ، ومحصل هذا أن ما ينذر لاسراج المساجد أو غيرها كالأضرحة والمقامات من زيت أو شمع يصح نذره ان كان يدخل المسجد أو الأضرحة والمقامات من ينتفع بالزيت أو الشمع من مصل أو نائم أو زائر ــ وان لم يدخلها أحد للصلاة أو النوم أو الزيارة أو نحوها لم يصح النــذر لأنه اضاعة مال فيبقى على ملك مالكه يرد اليه ان كان حيا أو لوارثه ان كان ميتا ــ والا صار لمصالح المسلمين .

وقال فقهاء الشافعية ومما يقع من العوام قولهم جعلت هذا للنبى صلى الله عليه وسلم والاقرب فيه الصحة لاشتهاره فى النذر فى عرفهم ويصرف ذلك لمصالح الحجرة الشريفة .

وقال الرملى من كبار فقهاء الشافعية ــ ولا يصح النذر لميت الا لقبر الشيخ الفلانى فيصح حيث أراد به قربة كاسراج ينتفع به ــ أو اطراد عرف بحمل النذر للميت على أن يراد به قربة .

فهذه النصوص تصحح أن النذور للاموات صحيحة حيث أريد بهـا قربة كاسراج القبر واضاءته للمصلين أو الزائرين وكصرف النقود المنذورة للاموات على الفقراء والمساكين والخدم ونحوهم .

وقول العلامـة الرملى ــ ولا يصح النذر للميت الا اذا اطرد العرف بحمل النذر للميت على أن يراد به قربة ، صريح فى أن جميع النذور التى تنذر لسيدى أحمـد البدوى صحيحة لأن المعروف عرفا عند كل من يقـدم نذرا لسيدى أحمد البدوى أن هذا النذر يصرف على الفقراء والخدم وأتباعـه الملتفين حوله من خلفاء وغيرهم فهو نذر لميت اطرد العرف بحمله على أن يراد به قربة ــ وكل نذر لميت اطرد العـرف على أن يراد به قربة ، نذر صـحيح فجميع النذور التى تنذر للسيد البدوى نذور صحيحة لأنها نذور يراد بها قربة وهى صرفها على الفقراء حتى ولو كانت فى أصلها منذورة لميت لاطراد العرف بحمل النذر للميت على ارادة القربة فما تسمع به من بطلان هـذه النذور فاضرب به عرض الحائط ــ أما توزيعهـا على مستحقيها فأمـر لا اختصاص لنا به وانما هو من اختصاص أولى الشأن والقائمين بالأمر .

التوسل بالبدوى وطلب الشفاعة منـه

الله تعالى يقول تعاونوا والمعترض يقـول لا تتعاونوا فان التعـاون اشراك ــ قال الامام الشافعى رضى الله عنه ما ناظرت جاهلا الا غلبنى « وما ناظرت عالما الا غلبته والمعترض من هذه الفئة التى حكم عليها الامام الشافعى بأن جهلها هو أمضى سيفه تشهره حينما تريد التغلب على العلماء . فهو يزعم أن طلب التعاون من السيد البـدوى اشراك بالله فاذا طلبنا منه العون فقـد أشركناه بالله ــ كيف والله نفسه يقـول للناس ويعلمهم الدين الصـحيح والتوحيد الصحيح يقول لهم فى كتابه « وتعاونوا على البر والتقوى » يقول لهم تعاونوا وهو يقول لهم لا تتعاونوا فتشركوا . الله أعـلم منه بما ينافى

توحيده وأعرف منه بأحكامه وتعاليمه . فامتثالا لأمر الله تعالى . وتلبية لنداء القرآن سنذهب الى البدوى ونقول له حسبة لوجه الله تعالى . وامتثالا لأمر الله عاونا فى قضاء حوائجنا وساعدنا على قضاء مصالحنا ، واسأل الله تعالى أن يكشف عنا السوء ، واطلب منه أن يمنحنا رضاه ، واسأله أن يكشف عن المسلمين ما هم فيه من جهد وعناء . وأن يزيل عنهم ما هم فيه من فاقة وبلاء ــ سنقول له ذلك وأكثر من ذلك . ونقول له أنت أعرف منا بربك وأدرى بما يجب له من أدب وخضوع ، والله يقول « وتعاونوا على البر والتقوى » ونحن عبيد قد أعمتنا الدنيا عن معرفة الله . وشغلتنا عن حضرته . وحالت بيننا وبينه . فأصبحنا نستحق الابعاد . ونستوجب الطرد والاعراض من حضرته . وليس لنا موئل ولا سند ولا معين الا أن نطلب منك المعاونة والمساعدة عنده . فان لم تعاونا وتساعدنا لنكونن من الخاسرين . نعم سنقول له ذلك اعترافا لله بعجزنا واعترافا بخطيئاتنا . واقرارا بتقصيرنا وقصورنا عن طلب السؤال منه . لأنا أغضبناه وخرجنا عن حدود الأدب فى معاملته وانصعنا لشهواتنا ، وانقدنا لأهوائنا ، وما بقى لنا وجه نسأله به . ولسان نذكره به . وما بقى لنا الا الشفاعة عنده وبأخص أحبابه ، وأخلص المقربين له ، هذا هو تقديرنا لتعاليم القرآن ، وتقديرنا لمقام ربنا ، وتقديرنا لمقام أحبابه وتقديرنا لأنفسنا،فمن يسمع يسمع ، ومن يجانب الدين والقرآن ، فليس لنا معه كلام .

« صناديق النذور فكرة اجتماعية مهذبة وسليمة »

كلما جد الجد بالمسلمين . ونزلت بهم ضائقة اقتصادية أفرغت جيوبهم . وأخلت أيديهم من الدراهم والدنانير ــ هرعوا الى الشعب . ولاذوا برحابه الفسيح فوجدوا فى يديه مفتاح الفرج . وباب الخلاص من هذه الضائقة . لأن القرش الواحد من كل فرد من أفراد الشعب يعدل ربع مليون من الجنيهات . قد يضيق بدفعها مصرف من مصارف الدولة . أو فرد واحد من أفراده الكبار ، فاذا تبرع كل فرد من أفراد الشعب بعشرة قروش أمكننا الحصول على ما يقرب من ثلاثة ملايين من الجنيهات . ندفع بها

ضائقتنا بيسر وسهولة . وبدون أن يكون فى ذلك أقل تأثير فى اقتصاد الفرد مهما قل دخله . وبهذه العملية البسيطة يمكن التخلص من الأزمات الاقتصادية التى تطرأ بين آن وآن . وما معونة الشتاء الا واحدة من هذه الأزمات التى نهرع فيها الى الشعب ونجد منه العون الكثير .

وقد يلجأ المصلحون الى صنع صناديق صغيرة عند طروء الأزمات يحملها الأفراد على أيديهم . ويطوفون بها على المتبرعين ، يجمعون فيها ما يدفعون به أى ضائقة طارئة ، وقد يبذل حاملوا الصناديق الكثير من ماء وجوههم ، وقد يسمعون ممن صغرت نفوسهم الكثير من الكلام اللاذع القبيح . أما صناديق النذور فهى صناديق قائمة بنفسها ، ثابتة فى أماكنها لا تسأل أحدا ولا تستجدى من أحد عطاء تؤدى وظيفتها التى أقيمت لها فى صمت وخشوع . وهى جمع ما يمكن جمعه من الشعب عن طيب خاطر واقبال تام ، لصرفه فى تفريج الأزمات الفردية والضائقات الاقتصادية التى تحيط بالعائلات الفقيرة المنتفعة بهذه الصناديق ، وهذه العائلات تعد بالمئات ، وقد تبلغ الآلاف ويظن بعض الناس أن هذه الصناديق لا تؤدى غرضا اجتماعيا . وانما هى فى نظرهم متعة اقتصادية للحصول على المال بأى وجه من الوجوه ويخطىء كل الخطأ من يظن ذلك الظن . ويرمى نفسه بقصر النظر من يقول أن الصناديق أقيمت للترف والتمتع بالمال لحساب طائفة معينة . لا تستحق عونا ولا مساعدة ولا تنفى عنهم بؤسا ، ولا تدفع عنهم شقاء .

هل يصل اليهم منه ما يسدون به رمقهم ، ويملأون به فراغ بطونهم الخاوية من كسرة العيش وفتاة الرغيف ، ان العطف والشفقة لا يعرفان طريقا لهذه القلوب المتحجرة التى لا تعترف بفائدة هذه الصناديق ، والتى تسعى جاهدة فى الحط من نفعها والتقليل من فائدتها ، وتعمل على عدم بقائها فى خدمة الفقراء والمساكين ، مع أنها تؤدى أيضا غرضا اجتماعيا خطيرا فى المصالح العامة للدولة واقامة الشعائر فى أنحاء البلاد ، حق المتبرمين من صناديق النذور أن يعلموا أن صناديق النذور فكرة اجتماعية مهذبة وسليمة ، لا يعارض فيها الا كل شارد عن طريق الحق سائر وراء نفسه ومتابعة هواه

فمن يطعن فيها ويتجاهل فائدتها لا يعرف مصالح الشعب الفردية والاجتماعية، ولا يدرى ما هى المنفعة الانسانية والاجتماعية التى تقدم لأفراد الشعب المحتاجين .

ويضغط على أسنانه المعترض على سيدى أحمد ويقول فى لهفة المحترق قلبه ، ان النذور التى تلقى فى الصناديق فيها ضرران دينيان وضرر اجتماعى .. أما الضرر الدينى فى نظره فبينه بقوله «ان ترك المسلمين يضعون النذور فى الصناديق يؤدى بهم الى الوثنية التى تخرجهم عن دين الاسلام الى ساحات الشرك ، بهذا التعبير ينطق المعترض فيخرج المسلمين من دين الاسلام الى ساحات الشرك بقرش يضعونه فى الصندوق ــ بئس هذا التعبير ــ وبئس هذا العلم ــ أما الضرر الدينى الثانى فيقول فيه حضرته ما نصه ــ أن أموالا كثيرة تبلغ عشرات الآلاف من الجنيهات انما تذهب عبثا كل عام فى هذه الصناديق وبحسبك أن تعلم أن صندوق قبة السيد البدوى يدر كل عام خمسة آلاف من الجنيهات غير المصوغات والحلى هذا فى الأيام العادية ولكن فى الموالد تزيد النذور . وقد علم المعترض مما نشرته المصرى أن النذور بلغت فى مولده الكبير ثمانية آلاف من الجنيهات ، ثم يقول حضرته وبلغت فى بعض السنين مائة وخمسين ألف جنيه ، وعلى كل فلا أدرى هل هذا مدح أو ذم ، وما هو الضرر الدينى فى هذا ؟

يقول حضرته ان عشرات الألوف من الجنيهات التى توضع فى صندوق البدوى انما تذهب عبثا فى كل عام ..

لا أفهم ماذا يعنى بقوله تذهب عبثا .. هل يعنى حضرته أن صندوق البدوى يفتح ويعده العادون ثم ترمى نقوده فى الشوارع تحت أقدام المارة والسابلة ، أو هى تجمع ثم تحرق ويطرح ترابها فى الهواء . مع أنه يعلم أن نصفه يصرف فى المصالح العامة للدولة ونصفه الآخر لطلبة العلم ، والخلفاء والموظفين .

أما الضرر الثالث الاجتماعى فيقول فيه ، ان وضع النذور فى الصناديق يدعو الناس الى الكسل والاستنامة وترك العمل ، لأنه لم يضع نذره الا وهو

يعتقد أن الولي سينهض له بهذا العمل ، ويضع عنه تكاليف أثقاله ــ لا أدرى ما هو العمل الذى سيتركه وينام عنـه صاحب النذر ؟.. هل يترك الصلاة والزكاة والصوم والحج لأنه وضع قرشا فى صندوق البدوى ، ويقول يقوم عنى البدوى ، بحمل تكاليف الصلاة والزكاة والصوم والحج لأنى وضعت نذرا فى صندوقه . هل هذا كلام عقلاء أو مراده بالعمل الذى سينهض بـه الولى هو عمل الناس فى متاجرهم ومصانعهم وحقولهم . وهل يعقل هذا المعترض أن من يدفع نذرا فى الصندوق سيذهب الى البيت وينام فيـه ويترك متجره أو مصنعه أو حقله لسيد البدوى ليقوم عنه بالعمـل فى متجره أو فى مصنعه أو يسرح للفلاح ببقرته أو جاموسته . لا أفهم كيف يتكلم هذا المعترض • وخير لى أن أسكت عن مناقشته وخـير له أن يشطب من كتابه هذا الكلام .

كرامة البدوى

أقرب كرامة شاهدتها منه بنفسى ووقعت لى معه شـخصيا وهى تدل دلالة واضحة على كرم نفسه ، وحدبه على الضعفاء وتطوعه لخدمة المسلمين حسبة لوجه الله تعالى هى أنى قد أمرت ممن لا يمكننى مخالفة أمره ، ومن جهة رئيسية عليا أيضا ، بأن أقدم على فعل أمر من الأمور المشروعة وأن أحقق هذا الأمر على الفور وفى أقرب فرصة ممكنة لأن هذا الأمر تتوقف عليه مصلحة دينية تتعلق بى ، ولكون هذا الأمر صادرا ممن لا تمكننى مخالفته ، ومن جهة رئيسية عليا ، ولكون مصلحتى الدينية تتوقف عليه توقفا مباشرا ، شرعت فى العمل على امتثال هذا الأمر ولكنى لم أوفق للحصول عليه ، فحدث بعد ذلك أن هددت بأنواع التهديد ، فبذلت مـا يمكننى بذله للحصول عليه ، ولكن لم أوفق أيضا فوقعت بسبب تخلفى فى كرب عظيم أعجزنى وأقعدنى حتى يئست من حياتى . واذا البدوى ينبرى للدفاع عنى ، فأسـمع الأوامر توجه الى بأنه لابد من الامتثال ، فيقف البـدوى معارضـا لهـذه الأوامر ويقول بنبراته القوية الحاسمة « لا يمكن » . كانت هذه الكلمة هى حكمه الحاسم فى هذه المسـألة ، فتمسك الآمرون بأمرهم ، وتمسك البدوى بمعارضتهم ، وفى هذه المشـادة

العنيفة استعمل كل طرف منهم قوته الروحية ، وقدرته الربانية ، فى سبيل وصوله الى غايته ، فلم يمكن أن تخرج المسألة من قبضة البدوى ، ووقف فيها كالطود الثابت الراسخ لا تزحزحه قوة ولا يمكن أن يلويه أحد عن غرضه مهما حاول . وكانت النتيجة ما حكم به رضى الله عنه فكان ذلك منه كرامة تدل على تعمقه فى المعارف الربانية حتى فى الأوساط العليا من خواص الأمة المحمدية ولما رفعت المسألة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف البدوى بين يديه الشريفتين يدلى بحجته فى قوة وتماسك ولم يكن الحكم من رسول الله صلى الله عليه وسلم الا أن أقره على رأيه ، والأمر لله من قبل ومن بعد « ويخلق ما لا تعلمون » حقا انه « ندهة المنضام » « وحجة الحيران » فجزاه الله عن الاسلام والمسلمين كل خير ، أما كراماته الأخرى المدونة فى الكتب فأمر يطول شرحه . وقد مر بك كثير من هذه الكرامات والبدوى ليس فى حاجة لسرد كرامات .

وفاته رضى الله عنه

أجمع المؤرخون على أن وفاته كانت يوم الثلاثاء الثانى عشر من ربيع الأول سنة ٦٧٥ هجرية بمدينة طنطا بمنزل الشيخ شحيط حيث كان يتعبد . وحيث دفن وبنى له فيه قبر ، ثم بنى حوله مسجد ، ثم بنيت عليه قبة فريدة فى نوعها فى عهد على بك الكبير .

وكانت مدة حياته تسعة وسبعين سنة على عدد مجموع الأرقام التى تدل عليها حروف كلمة « المدد » بحساب الجمل المعروف ، فالألف بواحد واللام بثلاثين والميم بأربعين والدالان بثمانية ، فالمجموع تسعة وسبعون سنة ، وهى تعادل المدة من سنة مولده وهى سنة ٥٩٦ هـ الى سنة ٦٧٥ هـ سنة وفاته . وفى هذا رمز الى أن حياته كانت مددا عظيما أمد الله به الناس ليبعث فيهم روح الحياة والعمل الصالح فى القرن السابع بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

يدور الاسبوع على ايام سبعة

فهل يستدير الزمان كل سبعة قرون

كانت مفاجأة كبرى ولادة عيسى عليه السلام من غير أب . فكان هــذا بحق أعظم حدث تاريخي هام من أحداث العالم التي شغلته كله بوقائعها التي لاتزال تلوكها الألسن وتتحدث بغرابتها الأجيال وفى القرن السابع من ميلاد عيسى عليه السلام فوجىء العالم بأعظم مفاجأة انفتحت لها الأسماع وانطلقت بها الألسنة ، فقالوا بعث محمد صلى الله عليهوسلم رسولا للبشرية ، وداعيا لعبادة رب واحد . واله واحد ، وجاء بكتاب من عند الله يهــدى الى الحق والى طريق مستقيم .

ويظهر أن كل قرن سابع بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خص بأحداث هامة فى الدولة الاسلامية خاصة وفى العالم عامة ، فكان القرن السابع — الذى اختتمت فيه حياة البدوى — خاتمة عهد الصليبيين حيث قضى عليهم فيه قضاء مبرما ، وطردوا من بلاد الاسلام الى ما وراء البحار .

وكان القرن السابع الثانى بعد القرن السابع الأول هو القرن الرابع عشر الهجرى الذى قامت فيه قائمة المستعمرين على المسلمين والذى قضى عليهم فيه قضاءا مبرما على يد رجال الثورة العاملين ، ولا يدرى الا الله ما هى الأحداث التى يخبئها القدر للعالم بعد ٢٠٠٠ سنة من هجرة خاتم المرسلين ، هذه أحداث هامة تتوالى على العالم كل سبعة قرون على نظام خاص تبتدىء مقدماتها فى السادس وتنتهى فى السابع تدل على أن الزمان يستدير عليها كما تستدير أيامه على سبعة أيام ويأتى لنا بعجائبه على رأس كل سبعة من هذه القرون .

ولم يبق بيننا من هذه العجائب الا عجيبة واحدة هى ذنب هؤلاء المستعمرين المنغمس فى رمال فلسطين ، وهذا الذنب هو « اسرائيل » العدوة اللدودة للعرب خاصة وللمسلمين عامة ، ونرجو الله رجاء حارا أن يقطع هذا الذنب ويبتره من أساسه ، ويلقى به فى أعماق البحار . ويريحنا من سمومه

التى يحملها فى طياته الخبيثة التى أعدها للفتك بالعرب والاستيلاء على ديارهم ومواردهم بغير حق مشروع : الا أننا وسعناهم وأكرمناهم بسبب عطف الاسلام ورعايته لحقوق أهل الكتاب الذين لا يعرفون جميلا ولا يعترفون بمعروف .

مخلفات البدوى

لم يترك البدوى بعد وفاته شيئا يورث عنه الا مسبحة وعمامة وبردة وقميصا ومشطا ، وكلها محفوظة فى حجرة خاصة بها بالمسجد الأحمدى بطنطا . ولا يزال خلفاؤه يلبسون عمامته وعباءته فى مولده الكبير والعمامة هى عمامة سيدى أحمد بيده ولا تزال على حالها الى الآن .

خليفته الاول

كان حظ سيدى عبد العال الأنصارى سعيدا ، وكان فضل الله عليه عظيما ، اذ هيأ له هذه المنحة التى لايحلم بها الانسان ، فساقها اليه من بلاد الحجاز الى طنطا نحلة اختصه الله بها من بين الناس لأنه أهل لها ، وأحق بها فاختاره سيدى أحمد من بين أبنائه الذين يعدون بالألوف لطهارة نفسه وخلوص قلبه ، وكان يقول له ياعبد العال لابد أن أبنى لك زاوية وحدد له موضعها فوق الكوم الأحمر بجوار بيت الشيخ شحيط ، فقال له ياسيدى هذا الكوم عال علينا ، فقال له سيدى أحمد انى آمر من يعاونك على ازالته ، فقال سيدى عبد العال فلما لقى أستاذى ربه سألت من كلفه سيدى أحمد بهذه المعاونة فقلت له أرحنى من هذا الكوم أراحك الله ، فأمر أعوانه فرفعوا الكوم وبددوه فى أقرب وقت ثم بنى الزاوية فى مكانها وعمرها ورتب فيها الفقراء والمريدين كما أشار عليه أستاذه ، قال : وصرت خليفته من بعده باذنه لى صريحا . وحسبك به من ثقة عارف بالله ضابط لوقائع أستاذه وله كرامات كثيرة ذكرها المؤرخون .

ومن كرامته الباقية أن كل حاجة عرضت عليه أولا قضيت عند أستاذه لكونه الواسطة بينه وبين أتباعه حيا وميتا ، ولهذا ينبغى زيارته أولا قبل

زيارة أستاذه . وقد اشتهر بأنه صاحب الشورى . وأظهر صفاته هدوء أخلاقه واجارته لمن يستجير بحماه كأستاذه ، وعطفه على الفقراء والعواجز حتى اشتهر بأبى العواجز ، أما مركزه الصوفى فقد بلغ درجة الأقطاب الكبار وفاقها ، لأن الخليفة لا يكون خليفة الا اذا كان على قدم أستاذه وشرب من مشربه ، ولما كانت درجة سيدى أحمد فوق درجة الأقطاب كانت درجة خليفته تبلغ درجة الأقطاب أو تزيد ، وقد عمر رضى الله عنه عمرا طويلا ينوف عن المائة فقد خدم أستاذه أربعين سنة وكان سنه وقت أن باشر خدمته لا تقل عن عشر سنين وعاش بعده خليفة ثمان وخمسين سنة وتوفى رضى الله عنه يوم السبت الموافق عشرين من ذى الحجة سنة ٧٣٣ هجرية .

وقد أدرك تسعة من سلاطين المماليك البحرية أولهم الظاهر بيبرس وآخرهم الناصر محمد بن قلاوون . كما أدرك أستاذه عشرة من سلاطين الدولة الأيوبية وسلاطين المماليك البحرية . أو أحد عشر أولهم الكامل بن العادل الأيوبى اذا كان حضور سيدى أحمد الى طنطا سنة ٦٣٥ هـ أو العادل بن الكامل ان كان حضوره سنة ٦٣٧ هجرية وآخرهم الظاهر بيبرس البندقدارى من المماليك البحرية .

خليفته الثانى

هو عبد الرحمن أخو سيدى عبد العال وكان يلقب بزين العابدين ، تولى الخلافة بعد أخيه وسار سيرته فى مراعاة شئون الخلافة ، وكان على قدم عظيم فى الولاية فعمر الزاوية وقصده الناس للتبرك ، والاستشفاع به لدى الحكام ، ومكث فى الخلافة عشرين سنة الى أن توفى سنة ٧٥٤ هـ ودفن بجوار أخيه ، ثم خلفه من بعده أخوه على وكان يلقب بنور الدين ، ومكث فى الخلافة خمسا وثلاثين سنة ، وتوفى سنة ٧٨٩ هـ وأعقب نور الدين هذا ولده شمس الدين ومكث فى الخلافة ثلاثة وخمسين سنة وتوفى سنة ٨٤٢ هـ وأعقب شمس الدين ولده أحمد وكان يلقب بشهاب الدين ومكث فى الخلافة أربع سنوات وثلث سنة وتوفى سنة ٨٤٦ . ومن بعد أحمد تولى الخلافة عبد الكريم ابن أخى أحمد ومكث فيها عبد الكريم الى أن قتل ٨٦٢هـ وكانت خلافته ست عشرة سنة وشهرين ، ومن بعد عبد الكريم تولى سالم الملقب

بجمال الدين ، ومن بعـد سالم تولى ابراهيم الشهير بالأسمر . ومن بعـد ابراهيم تولى محمد الشهير بالأبيض وتوفى سنة ٩٢٢ ثم عبد الكريم وتوفى سنة ٩٦١ ثم عبد المجيد وتوفى سنة ٩٦٥ ثم أحمد الأحمدى ثم كريم الدين. ولم تزل الخلافة تنتقل فى أقارب سيدى عبـد العال حتى انقرضوا فانتقلت الى أقاربه من جهة الرحم الى أن وصلت الى الخلافاء الحاليين . وعدد الخلفاء فى هذه السبعة قرون ست وعشرون خليفة من عهد سيدى عبد العـال الى الآن ـ كما أن أجداد سيدى أحمد فى السبعة قرون الأولى من سيدنا على كرم الله وجهه الى سيدى أحمد كان سبعة وعشرين جدا فنسبة الخلفـاء فى السبعـة قرون الثانية كنسبة أجداده فى السبعـة قرون الأولى وهـذا من الاتفاقات النادرة .

الله جل جلاله

روى أبو هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان لله تسعة وتسعين اسما مائةً الا واحد من أحصاها دخل الجنةِ ، ثم قال أبو هريرة هو الله الذى لا اله الا هو الملك القدوس السلام الى آخر الأسماء التسـعة والتسعين ، واسم « الله » هو أعظم الأسماء التسعة والتسعين وانما كان أعظمها لوجوه : «الوجه الأول» أنه يدل على الذات المتصفة بالثمانية والتسعين اسما أما غيره من الأسماء فلا يدل الا على ذات متصفة بمعناه فقط ، كالقادر والعليم والحكيم ، فانه لا يدل الا على ذات متصـفة بالقدرة أو العلم . وأما الله فيدل على الذات المتصفة بالصفات كلها .

« الوجه الثانى » اختصاص الحق به سبحانه وتعالى وأنه لا يسمى به أحد غيره فلم يسم أحـد باسـم « الله » رأسـا أما غيره من الأسماء فقد يطلق على غير الله كما اذا سميت حليما أو حكيما أو برا أو غير ذلك .

« الوجه الثالث » أن سائر أسماء الله توصف بأنها من أسـماء الله فيقال الحكيم مثلا من أسماء الله ولا يقال الله من أسماء الحكيم « الوجه الرابع» ان اسم الله هو أصل الذكر، وفى الحديث أفضل ماقلته أنا والنبيون من قبلى لا اله الا الله . والذكر به أعظم ثوابا من الذكر باسم الحكيم مثلا .

وهو أيضا أقرب اجابة من غيره فلهذه الوجوه كان هو الاسم الأعظم أو الاسم الجامع لسائر الصفات ، ولهذا كان العلم الخاص على الذات الواجب الوجود المستحق لصفات الألوهية المنعـوت بنعوت الربوبيـة ، المنفرد بالوجود الحقيقى الذى يفيد غيره الوجود ولا يستفيد وجوده من غيره ، ولكونه أعظم الأسماء أو الاسم الأعظم كان ذكره كثيرا هو مفتاح الوصول الى حضرة الحق تبارك وتعالى كما أشار الى ذلك قوله والذاكرين الله كثيرا . كلما أكثر العبد من ذكر الله كلما استضاءت بصيرته واستنارت سريرته وانمحت عن قلبه ظلمات الأغيار ، وانمحقت عنها غياهب الأستار ، وانكشفت سرائر الأسرار : عن نور الأنوار جل شأنه ، وعن جلال عظمة ذات الله الواحد القهار ممدا للعالم كله علويه وسفليه بأنواره التى بينهـا سبحانه بقوله « الله نور السموات والأرض » .

وقربها للأذهان بأوضح تمثيل بقوله «مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح فى زجاجة ، الزجاجة كأنها كوكب درى» وان من يتصور فى نفسه زجاجة مستديرة كقرص الشمس كأنها فى صفائها وبهائها كوكب درى تضىء بذاتها اضاءة الكواكب الدرية كوكب الزهرة والمشترى ونحوهما ، ثم يتصور مع ذلك أن بداخل تلك الزجاجة الدرية الوضاءة مصباحا يزيدها بأنواره الذاتية المشتعلة فيه اضاءة على اضاءتها الدرية ، ويتصور أيضا أن هذا المصباح يوقد بزيت يكاد هذا الزيت أن يضىء بنفسه ولو لم تمسسه النار هذه الأنوار الثلاثة من يتصورها فى نفسه ثم يتصورها بعد ذلك منحصرة فى كوة أى طاقة غير نافذة مستديرة دورانا تاما مستويا انحصر فى تلك الكوة نور الزجاجة ونور المصباح ونور الزيت يدرك ما يعنيه الله بقوله « مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح فى زجاجة الزجاجة كأنهـا كوكب درى يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار ، نور على نور » يدرك نورا مضاعفا تناصرت فيه الأنوار الثلاثة نور الزجاجة الدرية ونور المصباح الوضاء بنفسه ونور الزيت الذى يكاد يضىء بنفسه ولو لم تمسسه النار ، هذا النور المضاعف هو مثل لنور الحق الذى لا يشبهـه شىء وليس كمثله شىء يهدى الله لهذا النور من يشاء من عبـاده

الأطهار ، فهو نور ظهر به الوجود كله واستمد منه كل موجود ، لايحجبك عن رؤيته الا ماران على قلبك من آثارخطيئاتك فأوجد عليه طبقة حالت بينك وبين رؤية هذا النور كما يحول الغمام الأسود بينك وبين قرص الشمس نهارا يمنعك من مشاهدتها الاكثافة هذا الغمام، نعم لايحجبك عن رؤية هذا النور الا ماران على قلبك، كالغطاء المائي الذي يجتمع فوق باصر العين فيحجبه عن رؤية المبصرات حوله ولولا هذا الماء المتراكم على باصر العين لشاهدت الناس أمامك عيانا بيانا ، ولولا ماران على قلبك من كسبك الخسيس وعملك الخبيث لشاهدت هذا النور جهارا نهارا ولشهدت بصدق ما نادى به القرآن فى كل مكان وزمان ، وشاهدت مواصفاته حقيقة مرئية ماثلة أمام عينك بدون تأول ولا تجوز فتعلم أن الله معك أينما كنت ، وتعلم أنه جل شأنه رابع لكل ثلاثة يتناجون ، وخامس لكل أربعة يتحدثون ، وسادس لكل خمسة يتآمرون ، ومتمم لأى عدد أقل من ذلك أو أكثر كيفما يكون ، فما كان القرآن يقول « فأينما تولوا فثم وجه الله » ، الا وهو يعنى ما يقول ، وما كان القرآن يقول « وهو معكم أينما كنتم » الا وهو يعنى ما يقول ... يعنى حقا أنك أينما وليت وجهك فلا ترى ببصيرتك أمام وجهك الا وجه الله كما ترى الشمس أمام عينيك أينما وليت وجهك فى رابعة النهار ، ويعنى حقا أنك أينما كنت فالله معك كما أنك أينما كنت ترى الشمس معك لا تفارقك أبدا الا اذا غابت عنك والله حاضر لا يغيب ، واذا سألك عبادى عنى فانى قريب ، فاللهم ارزقنا الأدب فى معيتك والمراقبة الدائمة لحضرتك ولا تكتبنا فى عداد الغائبين عن مشاهدتك الغافلين عن مراقبتك ، ولو علمت على ازالة هذا الران عن قلبك وازالة الحجاب الحاجز لنفوذ بصيرتك بما وصف الله لك من أدوائه وأرشدك اليه من ذكر الله ودعائه لشاهدت فعلا أن « الله نور السموات والأرض » ولعاينت حقا أن مثل نوره كمثل المشكاة المشتملة على هذه الأنوار المتناصرة بذواتها الساطعة بنفسها اللامعة بأنوارها

يقول أبو هريرة فى بقية الحديث المتقدم من أحصاها وفى رواية البخارى من حفظها أى التسعة والتسعين اسما دخل الجنة والاحصاء يحتمل وجوها أربعة .

« أحدها » أن يحصيها عدا وسردا فلا يقتصر على بعض الأسماء بل يدعو الله بجميعها ، ويثنى عليه بها كلها فيستحق الثواب المترتب عليها وهو دخول الجنة ان كان من المؤمنين .

(وثانيها) أن يحصيها علما واحاطة فيحيط علما بتفاصيلها ومعانيها التى تدل عليها . فيعلم أن المتكبر مثلا هو الذى يرى الكل حقيرا بالاضافة اليه ، ولا يرى العظمة والكبرياء مستحقة وجوبا الا اليه سبحانه وتعالى — ويعلم أن الخالق هو الموجد للمخلوقات على وفق تقدير سابق وأن معنى خلق الانسان مثلا معناه أوجده بعد أن قدر ما منه وجوده وهو الماء والتراب معا لا المـاء وحده لأنه رطب لا ينتصب ولا يتماسك ، ولا التراب وحده لأنه يابس محض لا ينثنى ولا ينعطف فى الحركات ، ولا هما معا من غير مزج لأنه ينفصل ولا يتماسك أيضا بل لابد من أنه تعالى يقدر له حرارة طابخة حتى يستحكم مزاج الماء بالتراب ويكون صلصالا كالفخار — وهو الطين المحرق ولابد أيضا من تقدير أن الماء والطين يكونان بمقدار خاص مناسب لأنه ان صغر جدا تسفيه الرياح ، وان عظم جدا ضاقت به السبل وهكذا القول فى سائر أسمائه لابد أن يحصيها علما واحاطة فيحيط بمعانيها التى تدل عليها كما قدمنا .

« وثالثها » أن يحصيها عملا واعتبارا فيعتبر بمعانيها ويعمل بمقتضاها ويلزم نفسه بواجبها ، فاذا قال الرزاق مثلا وثق بأن الله سيرزقه لا محالة ، واذا قال الحكيم مثلا سلم جميع أموره اليه سبحانه وتعالى لأن جميعهـا جارية على مقتضى الحكمة البالغة .

« ورابعها » أن يحصيها تخلقا وتحققا فيتخلق بأسمائه تبارك وتعالى وبتحقق بصفاته كما ورد تخلقوا بأخلاق الله ومن ضرورة المتخلق باسـمائه والمتحقق بصفاته أن يعرف خواصها وأسرارها فى الكون فلا يمر على موجود الا ويظهر له فيه معنى من معانى تلك الأسماء ويعرف فيه خواصها ، ومظهر كل صفة من صفاته تبارك وتعالى — واحصاؤها على هذا الوجه الاخير هـو مرتبة الأنبياء والصديقين — أما احصاؤها عملا واعتبارا فهو مرتبة العاملـين وأحصاها علما واحاطة فهو مرتبة العالمين — بكسر اللام — والاحصاء على

الوجه الأول هو مرتبة عامة المؤمنين، والمرجو من كرم الله وفضله أن من حصل له احصاء هذه الأسماء على احدى هذه المراتب الأربعة المتقدمة مع الايمان وصدق النية أن يدخله الجنة فى السابقين الاولين أو فى زمرة العلماء أو العاملين أو فى زمرة أصحاب اليمين .

محمد رسول الله

قلنا ان مفتاح الوصول الى حضرة الحق هو ذكر اسم الله الأعظم كثيرا وبصفة مستديمة ، أما مفتاح الوصول الى رسوله صلى الله عليه وسلم فتجده فى التمسك بكتاب الله تعالى ، وبالتمسك بسنن الرسول صلى الله عليه وسلم . فبالعمل بكتاب الله تعالى وبسنة رسوله وبالتخلق بأخلاقهما تتصل برسول الله صلى الله عليه وسلم اتصالا مباشرا « لا يمنعك عن مشاهدته حجاب ، ولا يسترك عن رؤيته أى باب . وكلما تخلقت بآداب القرآن وتمكنت فى العمل بأحكامه فضل تمكن كلما دنيت من حضرته وفزت بمشاهدته وشربت من منهله ، لأن هذه هى الطريقة التى كان عليها النبى صلى الله عليه وسلم وكان عليها أصحابه وخلفاؤه من بعده طريقة العمل بكتاب الله وبسنة رسوله ، واذا اتصلت بحضرة الرسول سلكت مسلكه فى معرفة ربه تبارك وتعالى سلوكا منطبقا على أحكام القرآن وتعاليمه بعيدا عن نزعات القول بوحدة الوجود ، أو القول بما يشبه الحلول أو يشبه الاتحاد أو نحو ذلك مما تسمعه فى كلام العارفين بربهم عن طريق ذكر أسمائه تبارك وتعالى ــ وربما كان الوصول الى معرفة الله عن طريق الذكر بالأسماء ابعد أثرا ، وأعمق غورا ، وأقوى نورا ، وأوضح كشفا ــ وربما كان الوصول الى معرفة الله عن طريق العمل بالكتاب والسنة أقعد وأثبت وأبعد عن الزلل والوقوع فى تلك النزغات .

وليست هاتان الطريقتان الموصلتان الى الله ورسوله ، أعنى طريقة الذكر ، وطريقة العمل بالكتاب والسنة منفصلتين عن بعضهما انفصالا تاما من كل وجه كما قد يبدو فى بادىء الرأى ، بل هما متلازمتان ولا ينفكان عن بعضهما ، فلابد للسالك عن طريق ذكر الله من العمل بكتاب

الله وســنة وســوله ، ولابد للســالك عن طريق العمل بكتاب الله وسنة رســوله من ذكر الله أيضــا . وانما عدتا طريقتين باعتبــار غلبــة احــدى الطريقتين على الأخرى ، فاذا تغلب جانب الذكر على جانب العمــل كان الحكم للذكر واذا تغلب جانب العمل على جانب الذكر كان الحكم للعمل ، فالطريقتان متلازمتان ويعرض الانفكاك لهما بالغلبة المتقدمة ، ومزية الأولى الاتصال بالله مباشرة « ومزية الثانية الاتصال برسول الله ثم بالله عن طريقــه صلى الله عليه وسلم ، واذ قد وصفنا لك الطريقتين فاختر لنفســك ما يحلو جعلنا الله من المتحققين بما وصفوا لا ممن وصفوا ولم يتحققوا .

عبادة الله

العبادة فى اللغة الذلة والخضوع ، يقال طريق معبد أى مذلل وناقة معبدة أى مذللة ونفس معبدة أى مذللة وخاضعة . وفى الشرع طاعة الله فيما أمر به ونهى عنه مع أقصى غاية الخضوع والتذلل . فكل ذلة عبادة لغوية ، كذلك المحكوم للحاكم وذلة الولد لأبيه ، وذلة الزوجة لزوجها ، وذلة العبد العاصى للولى الطائع .

كل هذه الأمثلة تسمى عبادةلغوية ولا يعاقب فاعلها عليها وان أوقعها لغير الله تعالى لأنها ليست عبادة شرعيــة ، وانما العبــادة التى يعــاقب فاعلها عليها اذا أوقعها لغير الله هى العبادة الشرعية . وقد علمت أن العبادة فى الشرع هى طاعة الله فيما أمر به ونهى عنه مع أقصى غاية الخضوع والتذلل ــ فاذا أوقعت طاعة الله فيما أمرك به من صلاة وصوم وحج بأن صليت لغير الله أو صمت لغير الله أو حججت لغير الله أو نذرت لغير الله بأن أردت القربة لغير الله بنذرك ، فقد عبدت ذلك الغير واستوجبت عقاب الله على ايقــاع هذه العبادة لغير الله .

هذان أصلان يجب على كل مسلم أن يحفظهما ويعلمهما ــ الأصل الأول أن كل ذلة لغير الله ليست عبادة يعاقب عليها ، والأصل الثانى أن عبادة غير الله لا تتحقق الا اذا أوقعت طاعته فيما أمرك به من سجود أو ركوع أوقعته الى

غيره كالسجود والركوع للأصنام أو لأى أحد من مخلوقاته تبارك وتعالى ــ ومعنى ذلك بطريق أقصر هو أن عبادة غير الله لا تتحقق الا اذا أوقعت المعنى الشرعى للعبادة أوقعته لغير الله اذا علمت ذلك فاعلم أن قول بعض المعترضين على السيدالبدوى أنوقوفك بين يديه بذلة وانكسار عبادة له كذب وافتراء وقولهم ان طلب معاونته لك عبادة له كذب وافتراء وقولهم ان نداءك لـه وطلبك لأى مصلحة منه عبادة له كذب وافتراء وقولهم ان النذر له عبادة كذب وافتراء وقد قدمنا فيما كتبه الفقهاء فى النذور للأموات أن النذور لهم صحيحة حيث أريد بها قربة لله كصرف النقود المنـذورة أو اطعام الذبيحة المنـذورة للفقراء والمساكين والخدم ونحوهم ــ وانما كان هذا ونحـوه كذبا وافتراء لأنك قد علمت أن عبادة غير الله هى ايقاع طاعة الله فيما أمرك به ونهاك عنه لغير الله وليس فى شىء مما تقدم ذكره ايقاع طاعته فيما أمرك به ونهاك عنه لغير الله فكانت ادعاءاتهم كلهاكذبا وافتراء، وكأن هؤلاءالمعترضين أصيبوا بنوبة اسمها عبادة فكل كلمة يتكلم بها الزائر للولى يسموتها عبادة لغير الله وكل معنى للعبادة فى اللغة يسمونها عبادة لغير الله وجهلوا ان عبادة غير الله هى ايقاع الطاعة المأمور بها لغير الله فوقعوا فى هذا الجهل المبين .

زيارة قبر الرسول ــ وقبور الاولياء والقبور العادية

زيارة القبور العادية سنة لحديث صحيح رواه أحمد عن على بن أبى طالب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فانها تذكركم الآخرة » فشرع الرسول زيارة القبور العادية لما فيها من تذكر الاخرة فان الزائر اذا تذكر أن أصحاب هذه القبور كانوا مثله يملأن العيون والمجالس بهجة وسرورا ثم انقلبوا الى هذه الحالة الذليلة يفترشون الأرض ، ويتوسدون التراب ، وأنهم اصبحوا رهناء أعمالهم التى قدموها فى الدنيا ان خيرا فخير وان شرا فشر ، حمله ذلك التذكر على الزهد فى الدنيا والاستقلال منها . وعدم الاغترار بها ، وأقبل على طاعة الله وطلب الآخرة ما دام مآله لا محالة ان عاجلا وان آجلا مآل هؤلاء المزورين ــ أما زيارة قبـر

الرسول فقد ورد فيها أحاديث كثيرة ، منها : « من حج ولم يزرنى فقد جفانى » ، ومنها : « من وجد سعة ولم يزرنى فقد جفانى » ، ومنها : « من زارنى بعد مماتى فكأنما زارنى فى حياتى » ، ومنها : « من زار قبرى وجبت له شفاعتى » .

فالحكمة فى زيارة قبر الرسول ليست هى الحكمة فى زيارة القبور العادية لأن الحكمة فى زيارة القبور العادية هى أنها تذكر الآخرة ــ وأما حكمة زيارة قبر الرسول فقد بينها الرسول نفسه بقوله من زار قبرى وجبت له شفاعتى .

اذن يكون الغرض من زيارة قبر الرسول هو حصول الزائر على فضل من الله يناله من هذه الزيارة فزيارة الرسول لتحصيل منفعة تعود على العبد من زيارته صلى الله عليه وسلم كحصول شفاعته لزائره كما أخبر عليه الصلاة والسلام وكحصول رضاه عنه ومنحه شيئا من بركاته ودعائه عليه الصلاة والسلام لزائره واستغفاره له ونحو ذلك ــ وليس الغرض من زيارة الرسول أن ندعو له وأن نستغفر له كما يفهم هؤلاء المعترضون قياسا منهم لزيارته على زيارة القبور العادية فانه عليه الصلاة والسلام لم يدعنا لزيارته لندعو له بل ليمنحنا عطاياه وانعاماته التى أنعم الله بها عليه وأفاضها عليه من كل ما تجود به نفسه وتقتضيه سجاياه الكريمة .

هذه هى الحكمة التى من أجلها حثنا رسول الله على زيارة قبره الشريف وهذه الحكمة بعينها تجرى فى زيارة الأولياء والصالحين ، فان الأولياء والصالحين ليسوا فى حاجة الى دعاء هؤلاء الجهلة واستغفارهم لهم كيف وقد قربهم الله من حضرته . وأدناهم من رحمته وأفاض عليهم من بركاته والحقهم بالأنبياء والمرسلين وجعلهم فى معيتهم بنص القرآن الكريم ــ اذن يكون الغرض من زيارة قبور الأنبياء والصالحين هو حصول الزائرين على فضل من الله تعالى ينالهم من زيارتهم لهم كحصول رضاهم ومعاونتهم لهم ، ومنحهم شيئا من بركاتهم . ودعائهم لهم بقضاء حوائجهم ، والحصول على مصالحهم ونحو ذلك ، وبهذا تعلم الفرق بين زيارة القبور العادية وزيارة قبر الرسول وزيارة قبور الأولياء والصالحين .

الرحلة لزيارة الرسول وزيارة الأولياء الصالحين

اختلف العلماء فى أنه هل تندب الرحلة لزيارة القبور كما اعتيدت الرحلة لزيارة خليل الرحمن وأولاده وزيارة السيد البدوى وغيره من أكابرالأولياء والصالحين ، منعها بعض أئمة الشافعية الا لزيارة الرسول صلى الله عليه وسلم قياسا على منع الرحلة لغير المساجد الثلاثة ، ورد ذلك الغزالى بوضوح الفرق فان ما عدا المساجد الثلاثة مستوية فى الفضل فلا فائدة فى الرحلة اليها . وأما الأولياء فهم متفاوتون فى القرب من الله تعالى وفى نفع الزائرين بمعارفهم وأسرارهم .

وقال ابن حجر : ولا تترك الزيارة لما يحصل عندها من المنكرات كاختلاط الرجال بالنساء لأن القربات لا تترك لمثل ذلك بل على الانسان فعلها وانكار البدع بل وازالتها ان أمكن ـ ويؤيده الاتفاق على عدم ترك اتباع الجنازة وان كان معها نساء ونائحات ويؤيد الرحلة لزيارة الصالحين أن زيارة القبور مندوبة والرحلة لتحصيل المندوب مندوبة .

الدعاء والقراءة للاموات واهداء ثوابها لهم

ورد من دخل المقابر فقرأ سورة يس خفف الله عنهم يومئذ وكان له بعدد من فيها حسنات . وفى الحديث من قرأ الاخلاص احدى عشرة مرة ثم وهب أجرها للاموات اعطى من الأجر بعدد الأموات ، وقد صرح العلماء فى باب الحج عن الغير اذ للانسان أن يجعل ثواب عمله لغيره صلاة أو صوما أو صدقة أو غيرها ، وقالوا الافضل لمن يتصدق نفلا أن ينوى لجميع المؤمنين والمؤمنات فانها تصل اليهم ولا ينقص من أجره شيء وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة ، واستثنى مالك والشافعى العبادات البدنية المحضة كالصلاة والتلاوة فلا يصل ثوابها الى الميت عندهما ـ والذى حرره المتأخرون من الشافعية وصول القراءة للميت اذا كانت بحضرته او دعى له عقبها ولو غائبا، وقال بعض الحنفية من صام أو صلى أو تصدق وجعل ثوابه لغيره من الاحياء

أو الاموات جاز ــ ومنع ابن تيمية اهداء ثواب القراءة للنبى صلى الله عليه وسلم لأن جنابه الرفيع لا يتجرأ عليه الا بما أذن فيه ــ وهو الصلاة عليه وسؤال الوسيلة له ــ وبالغ ابن السبكى فى الرد على ابن تيمية بأن مثل ذلك لا يحتاج الى اذن خاص لأن ابن عمر اعتمر عن النبى صلى الله عليه وسلم عمرا كثيرة .

وحج ابن الموفق عن النبى صلى الله عليه وسلم سبعين حجة ، وختم ابن السراج عنه صلى الله عليه وسلم أكثر من عشرة آلاف ختمة وضحى عنه مثل ذلك .

وأما الدعاء للاموات فلم يخالف فى نفعه أحد لثبوته بنص القرآن الكريم ، قال تعالى : « والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رءوف رحيم » .

من كرامات بعض الاولياء

للأولياء كرامات لا يجحدها الا جاحد . ولا ينكرها الا معاند ، وقد أحببت فى هذا الملحق أن اذكر منها ما باشرته بنفسى وشاهدته بعينى ليكون عظة واعتبارا للمنكرين ، وتبصرة وذكرى لقوم يؤمنون ، ولهذه الكرامات التى شاهدتها قصة استغرقت وقائعها أربع سنوات تبتدىء من سنة ١٩١٥ ميلادية وتنتهى سنة ١٩١٨ ، وتتلخص هذه القصة فى أنى كنت طالب علم بالقسم العالى بالسنة التاسعة سنة ١٩١٥ وعلمت أن بعض العلماء وعلى رأسهم شيخ الجامع الأحمدى « الشيخ الأحمدى الظواهرى » حينذاك يترددون على زيارة ولى كبير من أولياء الله تعالى يدعى « السيد محمد أفندى الشريف » فتاقت نفسى الى أن أتردد مثلهم على زيارته ، فذهبت اليه مع زميل لى يدعى « الشيخ محمد قاسم » وكان على جانب عظيم من العلم كما كان على جانب من التقوى أيضا فلما وقع بصرى على الشيخ أحببته حبا عظيما « وأحبنى هو الآخر حبا عظيما » وكان طاعنا فى السن يناهز التسعين

عاما – كما كان مقعدا لا يستطيع أن يجلس بنفسه فأما القيام على قدميه فلا يستطيعه بحال من الأحوال – فدعانى الى زيارته كل أسبوع فلبيت دعوته فمكثت أتردد عليه كل أسبوع مرة ، ومكثت على ذلك مدة طويلة ، ثم دعانى لزيارته كل أسبوع مرتين ثم كل يوم مرتين فى آخر حياته ، وقد شاهدت منه خلال هذه الزيارات فى تلك السنوات المعدودات مئات من الكرامات ، وسأقص على القارىء بعضا منها كشهادة على صحة وقوع الكرامات من الأولياء وليزداد القارى بها ايمانا وهديا واستبصارا .

فمن كراماته رضى الله عنه

أن والد زميلى مرضت احدى عينيه مرضا حادا ، وكان مقيما بالأرياف، فشكى زميلى الى الشيخ وهو بطنطا حدة المرض فى عين والده ورجاه أن يدعو له بالشفاء ، فلم نشعر الا وعين الشيخ نفسه ترمد فى الحال وتنتفخ حتى تكبر كالبيضة الصغيرة ، ثم تنهمل منها الدموع ثم تحمر ثم تعود الى حالتها الأولى فى دقائق معدودات ثم قال لزميلى هاهى عينى قد مرضت كما ترى ثم سأله هل عين أبيك المريضة هى اليمنى أو اليسرى ، وكانت اليمنى فأجابه الشيخ محمد بأن العين المريضة هى اليسرى خطأ – فقال له الشيخ ولكن عينى اليمنى هى التى مرضت ، فتذكر زميلى وضع أبيه فى جلسته فعلم أنها اليمنى فاستدرك وأخبر الشيخ بأنها اليمنى – فقال له الشيخ الحمد لله قد زال كل شىء فسافر زميلى من طنطا الى والده فوجد عينه سليمة قد زال عنها المرض تماما بما حمله الشيخ عنه من المرض فكان ذلك كرامة عجيبة من كراماته ، وليس من السهل على الانسان أن يتصور كيف انتقل المرض من عين شخص الى عين شخص آخر بهذه الصورة الغريبة مع ما بينهما من البعد الشاسع ، ولا يسعنا بعد المشاهدة الحسية الا التسليم والايمان بكرامة الأولياء .

ومن كراماته رضى الله عنه

أنى كنت جالسا عنده يوما بعد صلاة العصر ، ومعى شقيقى وكان طالب علم أيضا . وكان الشيخ لم يعرف والدى من قبل ولم يتقابل معه ، فسألنى

هل يلبس والدكم تحت عمامته لبدة حمراء فأجبناه بأنه لا يلبس لبدة حمراء أبدا ، ثم سكت قليلا وقال قوما الآن وقابلا والدكما على المحطة فقلنا له ان قطار المنصورة الذى يصل طنطا من جهتنا انما يصل فى الساعة الواحدة والثلث بعد الظهر ولا يمكن أن يحضر أحد من جهتنا عادة الا فى هذا الميعاد، فقال قوما الآن وقابلاه وكنا بعد العصر . فانصرفنا من بين يديه فأما أنا فلم أذهب الى المحطة لعلمى بأنه لا يحضر أحد من جهتنا عادة بعد العصر فانصرفت الى المسجد الأحمدى ، وأرسلت أخى الى المحطة امتثالا لأمر الشيخ فاذا هو يحضر الى المسجد بوالده ، فسألته عن السبب فى مخالفة عادته فى الحضور الى طنطا فى هذه المرة . فقال انى كنت بالمنصورة لتسجيل شروط مبايعة ثم عن لى أن أبيت معكما بطنطا فنظرت الى رأسه فوجدت تحت عمامته طاقية من الوبر الأحمر ، وهذه هى التى كان يسميها الشيخ لبدة حمراء فكان ذلك منه كرامة رضى الله عنه .

ومن كراماته رضى الله عنه

أنى كنت فى زيارة له مع زميلى ومع زميل آخر هو ابن أخى الشيخ نفسه . فعن للشيخ أن يقضى حاجته وكان يقضيها فى قصرية فى نفس الحجرة وعلى سريره وهو على جنبه ، فأمرنا بالانصراف على أن نعود بعد نصف ساعة ، فخرجنا نمشى على ترعة الجعفرية التى كانت تخترق مدينة طنطا فتراءى لزميلى أن يشتريا « سندوتشا » ليأكلاه على شاطىء الجعفرية فى الطريق العام ــ فاشتريا « السندوتش » وأكلاه أما أنا فرأيت أن ذلك مخلا فامتنعت عن الشراء والأكل ــ ثم عدنا الى الشيخ وعندما دخلنا عليه مسلمين فاجأنا بقوله أنا أعلم أ نأحمد لا يأكل فى الطريق أما أنتما فتأكلان فى الطريق فكان ذلك منه كرامة رضى الله عنه

ومن كراماته رضى الله عنه

أن أحد وكلاء عائلة أبو جازية « بأبو الغر » حضر الى الشيخ وشكى اليه أن موكله من عائلة أبو جازية لم يعطه أجرة عمله التى تكون منها عنده

١٥٠ جنيها وعزله من الوكالة فرفع عليه دعوى فى طنطا بالمبلغ وجلستها غدا ثم قال للشيخ ادع الله أن أكسب القضية . فقال الشيخ : غدا سيحكم لك القاضى بمائة وخمسين جنيها وبمائة وخمسين قرشا بصفة مصاريف ، فحضر الجلسة غدا ، واذا بالقاضى يحكم على « أبو جازية » بمائة وخمسين جنيها وبمائة وخمسين قرشامصاريف . فكانت دهشة الشيخ محمد جاد وكيل « أبو جازية » عظيمة . فجاء الى الشيخ يشكره على ذلك فكانت منه كرامة رضى الله عنه .

ومن كراماته رضى الله عنه

أن الشيخ ابراهيم الكاشف حضر اليه ومعه رجل فقير ليس له الا ولد واحد وقد ظلمه العمدة . فأرسله الى السلطة فى حرب الانجليز ضد الأتراك حينذاك ، ورجا الشيخ فى اطلاق سراح ابنه الذى تعمد العمدة ارسانه الى السلطة ظلما وعدوانا ـ فلما فرغ من شكواه سكت الشيخ قليلا ، ثم قال له اذا أطلق الله سراح ولدك فاذبح شاة واطعمها للفقراء ولا تدع اليها الأغنياء ، ثم أمره أن يقوم على الفور ويذهب الى مركز طنطا ليأخذ ولده من المركز ويذهب به الى بلده فتقاعس فى المبادرة بالقيام ظنا منه أن الشيخ يريد صرفه من أمامه بأى طريقة ، فاشتد الشيخ عليه وطلب منه القيام على الفور ليأخذ ولده من المركز فخرج الى المركز فوجد ولده عند وصوله خارجا من باب المركز ، فسأله عن السبب فى خروجه فقال له أمرنى الرئيس بالانصراف الى بلدتى بدون سبب وقال لى «روح روح بلدك» فكان ذلك منه كرامة رضى الله عنه .

ومن كراماته رضى الله عنه

أن الانجليز فى سنة ٩١٨ دخلت فئة منهم مدينة طنطا ، وعسكروا فيها فانزعج الناس منهم . فعز ذلك على الشيخ فقال لابنه «السيد أمين الشريف» سر فى الطريق خلف الانجليز وقل لهم فى سرك ولا ترفع صوتك « أبى يقول

لكم أخرجوا من طنطا » ففعل ذلك وفى اليوم الثانى حزمت هذه الفئة أمتعتها وخرجت من طنطا فكان ذلك منه كرامة رضى الله عنه .

ومن كراماته رضى الله عنه

أنه لقننى كيفية زيارة الأولياء، فقال لي إذا أردت زيارة أحد من الأولياء فقل قبل أن تدخل الضريح استغفر الله العظيم احدى عشرة مرة، فاذا دخلت فان كنت ترى الولى فتوجه نحوه وقل لا اله الا الله احدى عشرة مرة وان كنت لا ترى شيئا فقف حيث شئت وقل لا اله الا الله احدى عشرة مرة وفى الحادية عشرة محمد رسول الله لأن روح الولى ربما تكون مشغولة فى مكان آخر فتحضر فى الحال عند ذكر لا اله الا الله ، ثم بعد ذلك قل السلام عليك ياسيدى فلان ثم اقرأ الصمدية احدى عشرة مرة ثم قل اللهم تقبل منى هذه القراءة واجعل ثوابها فى صحيفة سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم وثواب مثل ذلك لأرواح أبينا سيدنا آدم وأمنا سيدتنا حواء ومن ولدا من الانبياء والمرسلين والشهداء والصالحين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وثواب مثل ذلك لآ بيت النبى وأصحابه وأزواجه وذرّيته وأهل بيته صلى الله عليه وسلم ورضى الله عنهم وعنا بهم ونفعنا الله بهم فى الدنيا والآخرة ، وألحقنا بهم فى الدارين آمين وثواب مثل ذلك فى صحيفة الولى الذى تزوره ثم من تحب ثم قل « شىء لله من المدد » ياسيدى فلان احدى عشرة مرة ثم تطلب من الله حاجاتك الدنيوية ثم الأخروية ــ وكنت أتقبل منه ما يقوله بقلب سليم الا انى كنت أحب أن أتأكد مما يقوله لى فكنت أدخل عليه وهو نائم فأجلس فى صمت وسكون ثم أشرع فى تلاوة هذه الزيارة لأنظر هل تحضر روحه عند ذكر لا اله الا الله كما يقول لى فى كيفية الزيارة فأقول فى سرى لا اله الا الله وفى المرة الثالثة أو الرابعة ما أشعر الا وقد انتفض بدنه وقام من نومه فزعا كالمنزعج من شىء يخيفه فأقبل يده وأسلم عليه ــ وقد كنت أوقظه وهو مغشى عليه فى سكرات موته بهذه الطريقة فكان ذلك منه كرامة رضى الله عنه .

ومن كراماته رضى الله عنه

أنى تقدمت لشهادة العالمية سنة ١٩١٩ م وكنت مشغولا عن المذاكرة بكثرة زيارته لأنه أخيرا أمرنى بملازمة زيارته فى اليوم مرتين فكان اخوانى يؤنبوننى على ترك المذاكرة والاشتغال بزيارته حتى تأثرت من كلامهم فقلت للشيخ ان النجاح بيد الله بلا شك وأنا لم أذاكر الى الآن وبقى ثلاثة شهور على الامتحان وهى لا تكفى للمذاكرة ، وأنا أريد أن أمر على العلوم لأستأنس فى اجابتى بهذا المرور وان كان النجاح بيد الله كما قلت . فقال لى ان كلمة استأنس كلمة المحامين فهل أنت محام ؟ ثم قال لى اعلم أن الله سيوجد لك وقتا متسعا تذاكر فيه علومك وزيادة ، فسلمت له قوله وبقيت على زيارتى له فى اليوم مرتين وعطلت المذاكرة ولم أسمع لكلام اخوانى ، ولما ذهبنا من طنطا الى الأزهر لأداء الامتحان فوجئنا بالاضراب العام سنة ١٩ فتأخر الامتحان الى سنة ٢٠ وبذلك وجدت وقتا متسعا لمذاكرة علومى وزيادة ، فكان ذلك منه كرامة .

ومن كراماته رضى الله عنه

أنى لما أردت الامتحان لشهادة العالمية قال لى الشيخ من الذى تريد أن يكون معك فى الامتحان؟ فقلت الذى تختاره هو ما أريده فقال أتريد أن يكون معك النبى صلى الله عليه وسلم فقلت نعم أريد ذلك ثم قال ومن الذى تختاره أن يكون مع النبى صلى الله عليه وسلم ، فقلت ما تختاره أنت فقال أتحب أن يكون معه سيدنا على فقلت نعم أحب ذلك فقال ان شاء الله يكون ذلك ، ثم استدرك بعد يومين على اختيار سيدنا على بقوله « انما اخترت سيدنا على لأن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « أنا مدينة العلم وعلى بابها » . وكان يظهر عليه الأسف وهو يقول ذلك ، وكأنه عوتب فى تخطيه اختيار سيدنا أبى بكر وسيدنا عمر وسيدنا عثمان الى اختيار سيدنا على من بينهم ، هكذا فهمت من ملامح وجهه .

ثم توفى رضى الله عنه قبل دخولى الامتحان ، ولما جاء يوم الامتحان رأيت فى صبيحته أن نورين عظيمين قصدانى وأنا بالقاهرة وجاءا الى

حتى دنيا منى ثم استيقظت ودخلت الامتحان فى ذلك اليــوم ولما جلست فى اللجنة وكان رئيسها الشيخ عبد الحكيم عطا شرع الشيخ عبد الحكيم يروى للجنه قصه طريفة فهمت منها مائة فى المائة أنه يريداسقاطى فى الامتحان فقال فى قصته ــ فى العام الماضى حضر أمامى فى اللجنة طالب يشبه هذ الطالب فى الشكل والسن واللون ، وكان سنى اذ ذاك أربعــا وعشرين سنة فأعطيناه شهادة العالمية ، وبعد ذلك ظهر لنا أنه « مغناوى » يغنى للنــاس بأغنيات لا تتناسب مع كرامة العلم والعلماء ، ويسمعهم «مواويل» وهم يسمعون له ويعجبون من مواويله ، فاضطررنا لأن نسحب منه شهادة العالمية وعلى الرغم من أنى فهمت غرضه لم أعبأ بقصته ولم أعرها التفاتة بل انى ضحكت من رواية هذه القصة فى هذا المقام بالذات . فاستجمعت قواى وانتظرت ما يلقيه الشيخ عبد الحكيم من أسئلته التى يتحــدث الأزهر كله بصــعوبتها وتعقيدها وكثرتها . وكان ثرثارا فى الأسئلة وشديدا فيها هو والشيخ دسوقى العربى والشيخ عبد المعطى الشرشيمى رحمة الله تشمل الجميع ، وبعد أن قص الشيخ عبد الحكيم قصته لم نشعر الا بمفتاح النور قد انفتح وحده وبدون أن يحركه أحــد . فامتلأت الحجرة بأنوار المصــابيح الكهربائية التى كانت تجمعها نجفة واحدة فوق رأس اللجنة فخر الجميع برءوسهم نحو الأرض على أثر مفاجأة هذه الأنوار لهم ، ففهمت أن هذه الحالة عنوان على مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فثبت الشيخ عبد الحكيم روع اللجنة من هذه المفاجأة وأخذ يسألنى أسئلة لا أكاد أحصيها فكنت أجيبه عنها جميعا . وأحيانا أقلبه مسئولا واقلب أنا سائلا فكان الرجــل يعجب من ذلك حتى أنه قال أقسم بالله العظيم ياولدى ماغلبنى أحد فى الأزهر الا أنت، ثم قال لى والله ياولدى انك لأعــلم منى . وليس من المعقــول أن يكون قسمه هذا وقوله هــذا صحيحين ، وانما حصل هذا القول وصدر هذا القسم ببركة النبى صلى الله عليه وسلم فكان ذلك كله من أكبر الكرامات التى تسجل للشــيخ بالفخر والاعجاب .

ومن كراماته رضى الله عنه

أنه قال لى أن حضرةالرسول زارني الليلة ، ومعه نفر من أصحابه ثم يعينهم لى — ثم التفت الرسول الى هؤلاء النفر . وقال لهم تزودوا من أخيكم يعنى صلوات الله وسلامه عليـه بذلك أن يأذن لأصـحابه فى أن يطلبوا من الشيخ دعوة صالحة ينتفعون بها عند ربهم . وهذا تواضع منه صلى اللهعليه وسلم ، كما قال لسيدنا عمر وهو ذاهب لحج بيت الله الحرام لا تنسانا من دعائك يا أخى — كما أنه تكريم للشيخ واظهار لفضله عند أصحابه وهذا من أفضل كرامات الشيخ رضوان الله عليه .

ومن كراماته رضى الله عنه

ان عشرة من زملائى فى الفصل أرادوا تحويل أسمائهم من معهد طنطا الى معهد الاسكندرية الدينى — ظنا منهم أن طلب العلم فى معهد الاسكندرية الدينى أنفع منه فى الجامع الأحمدى ، فذهبوا الى الشيخ لاستشارته فى هذه النقلة ، فـلم يرض عن ذلك ومنعهم منها ولما وجدهم مصـممين على هذه النقلة لأنهم فعـلا طلبوا تحويل أوراقهم قال لهم اذهبوا الى معهـد الاسـكندرية بشرط العودة الى الجامع الأحمـدى ثانيا ، ثم قال لهم اذا ذهبتم الى معهد الاسكندرية فزوروا « السيد محمد الشريف » واسمـه مماثل لاسم الشيخ وهو فى مجموعة الأولياء العشرة المقامة أضرحتهم بين السيد « أبو العباس المرسى » وبين سيدى « ياقوت العرشى » واذا وقفتم على الشباك المطل على مقبرة السيد محمد الشريف فأول كلمة تسـمعونها وأنتم وقوف على الشباك اعملوا بمقتضاها ، فذهب هؤلاء العشرة لزيارة السيد محمد الشريف ولما اصطفوا على الشباك ظهرت لهم سيدة فقالت لهم جميعا ما نصه « جايين هنا ليه ياكسفة » . فلما سمعوا أول ما سـمعوا هذه الكلمة انصرفوا فورا حاملين أمتعتهم الى المحطة ، ثم الى طنطا ، ثم طلبوا أوراقهم من معهد الاسكندرية والتحقوا ثانيا بالجامع الأحمـدى وأتموا معنا دراستهم فكان ذلك من أعجب الكرامات رضى الله عنه .

ومن كراماته رضى الله عنه

أننى وجميع زملائى بالفصل لما أردنا أن نتقدم لامتحان شهادة العالمية سنة ٩١٩ ذهبنا اليه ليبشرنا بالنجاح ـ فكان يقول أنت يافلان لا حاجة لك بأخذ العالمية لأنك صاحب مزرعة ومن الأغنياء ، فتقدم للامتحان وسقط فيه ولم يأخذ شيئا ، وأنت يافلان لا تأخذها فى هذا العام فسقط وأخذها فى العام الذى بعده ، وهكذا أخبر جميع اخوانى فى الفصل ، الناجح يخبره بأنه سينجح والساقط يخبره بأنه سيسقط ، فكان الأمر كما قال لهم واحدا واحدا . أما أنا وزميلى فقال لنا : « ناجحون ، ناجحون ، ناجحون ، ومن عاداكم كاسدون ، كاسدون ، كاسدون » . فكان كما قال رضى الله عنه .

ومن كراماته رضى الله عنه

أنه أوصى الشيخ الأحمدى الظواهرى ـ وكان شيخا للجامع الأحمدى بأن يشملنى برعايته ، وقال له « ان الذى يرضى أحمد يرضينى » ـ والذى يغضب أحمد يغضبنى فاستوص به خيرا فقال نعم ان شـاء الله ـ ثم توفى الشيخ ـ وعين الشيخ الظواهرى شيخا للاسلام ـ ولما أخذت شهادة العالمية وكان ترتيبى بين المتخرجين هو «السادس» كانت العادة المتبعة أن يوظفوا العشرة الأوائل بلا شرط ولا قيد غير أن الذى حدث هو أنهم وظفوا صاحب الترتيب الأول والثانى والثالث والرابع والخامس ـ ثم أوقفوا التعيين فى الوظائف بالأزهر نظرا لحدوث أزمة اقتصادية فى الدولة على عهد صدقى باشا رئيس الوزراء حينذاك فنبه بالتليفون على شيخ الأزهر بايقاف التعيين فى الوظائف اطلاقا حتى تنتهى هذه الأزمة ، وبقيت الأزمة عشر سنوات لم يعين فيها موظف واحد فى الأزهر ، ولما لم أعين فى هذه المدة الطويلة ، وكان دور التعيين واقفا عند ترتيبى السادس قلقت قلقا شديدا على مستقبلى فى العلم وكانت نفسى طموحة الى تدريس العلم فى المعاهد وكانت هذه كل أمانيها لا أفضل على تدريس العلم شيئا من الوظائف الأخرى ولذلك لم تنصرف نفسى اطلاقا الى طلب وظيفة أخرى سوى هذه طول حياتى ، ولما قلقت على

مستقبلى طبعت مذكرة بقضيتى ورفعتها الى شيخ الاسلام عساه يتذكر وصية الشيخ برعايتى وكانت هذه المذكرة واضحة وطلبى فيها معقولا لأنهم عينوا واحدا بعدى بسبب الوسائط . ولما رفعت المذكرة لشيخ الاسلام كانت أول كلمة فاجأنى بهـا بعد أن اطلع عليهـا أن قال لى « من الذى كتب لك هذه المذكرة » فكدت أصعق من سماع هذه الكلمة وكانت لغتها قوية ومتماسكة فلما سمعت منه هذه الكلمة عرفت نيته نحوى فانصرفت من بين يديه يائسـا من مستقبلى ثم رفعت مذكرتى الى رؤساء الكليات واحدا واحدا عساهم يشفعون لى عند شيخ الاسلام ، فبعضهم وعدنى وردنى ردا جميلا ، وبعضهم ردنى ردا سيئا ، ولما شعرت بأن رجائى قد انقطع من شيخ الاسلام صبرت واحتسبت ثم لم أشعر بعد ذلك بقليل الا وطلبة الأزهر جميعهم خرجوا عن بكرة أبيهم على الشيخ الظواهـرى ، وأنزلوه من فوق كرسيه ، وحطمـوه وأقعدوه فى بيته ، فأدركت أن عدم سماعه لوصية الشـيخ ولما اكتنفها من التأكيد واهماله لقوله ان الذى يغضبنى يغضبه والذى يرضينى يرضيه ربما كان هو السبب المباشر فى اسقاطه والخروج عليه وتحطيم كرسيه والله أعـلم فاعتبرت ذلك من كراماته رضى الله عنه .

ومن كراماته رضى الله عنه

ان السيدة والدة زميلى مرضت فى الأرياف ــ فاستأذن زميلى الشيخ فى أن يحضرها له بنفسها لزيارته ليحصل لها ببركته الشفاء فقال له لا تحضرها ياشيخ محمد ثم قال له (نحن ليس لنا الا فى الحضرة) فعلم زميلى أنه لابد أن تموت فى مرضها ، وفعلا ماتت بعد ذلك بشهرين فكان ذلك من كراماته رضى الله عنه .

ومن كراماته رضى الله عنه

ان احدى السيدات من قريباتى كانت فى زيارته مع زوجها ، فقال لها الشيخ ما هو الذى يلعب أمام عينيك؟ وكان والدى جالسا فرد عنها والدى

وقال له ان الذى يلعب أمام عينيها هو « البرقع » الذى تغطى به وجهها ـ وكان على وجهها برقع ـ وعليه قطع من الذهب اللامع بعضها يسمى (مجرا) وبعضها يسمى «غوازى» علىعادة «الشراقوة» ، فقال الشيخلوالدى أنا لا أسألك وانما أسألها هى وكانت حيية فاستحت أن ترد على الشيخ ولما انصرفنا من زيارة الشيخ قالت لنا ان الذى كان يلعب أمام عينى هى طيور كثيرة فوق سرير الشيخ كانت كأنها تتمرغ فوق ستارة السرير وتلعب من فوقه ألعابا غريبة ـ أما نحن الجالسين جميعا فلم نر طيورا تلعب ولم نر مطلقا أى شيء من الطيور فى حجرته لا قبل ولا بعد هذه المرة فكان ذلك من كراماته رضى الله عنه .

ومن كراماته رضى الله عنه

أن الشيخ محمد الشاذلى من بلدة (تفهنة العزب) حضر عنده وشكى اليه أنه قد مضى على زواجه ثلاث سنوات ولم يرزق بمولود فقال له سيرزقك الله بمولود فى هذه الليلة وكانت زوجته معه فى مولد السيد البدوى ثم قال له اذا ولد لك هذا المولود فسمه محمد الشريف على اسم الشيخ فقارب أهله فى نفس الليلة التى كان يزور فيها الشيخ فرزقه الله بمولود بعد تسعة أشهر من هذه الليلة أسماه (محمد الشريف) فكان ذلك من دقائق كراماته ، والشيخ محمد الشريف الآن خطيب وامام مسجد تفهنة العزب .

ومن كراماته رضى الله عنه

أنى أخذت له أصغر اخوتى وقلت له انى أريد أن انسبه فى طلب العلم بالجامع الأحمدى فقال لى أنسبه فى طلب العلم بالجامع الأحمدى وان شاء الله يأخذ العالمية وهو لابس هذه العمامة على رأسه فألحقته بالمعهد الأحمدى فأخذ العالمية وهو الآن مدرس بالمعهد الأحمدى فكان ذلك من كراماته رضى الله عنه .

ومن كراماته رضى الله عنه

أنه طلب منى أن اقرأ أمامه سورة طه فقرأتها عليه ولم أنس فيها كلمة واحدة ، ثم من باب المصادفة فى ثانى يوم من قراءتها أمامه طلبت منه أن أتزوج

من كريمة ابنه (السيد أمين الشريف) فسكت الشيخ ولم يجب زميلى الذى جعلته الواسطة فى الكلام بينى وبينه فكررت الطلب وأنا جالس لأن رغبتى كانت شديدة فى مصاهرته . بل اننى صممت فى نفسى على أننى ان لم أتزوج من هذا البيت فلاأتزوج نظرا لعدم صلاحية نساء هذاالزمان للزواج منهن، فقال لى الشيخ اقرأ سورة طه وكنت كما قلنا قرأتها عليه قبل هذا الطلب بيوم واحد فلم أنس فيها كلمة واحدة ، فشرعت فى قراءتها حتى بلغت قوله تعالى « قال فاذهب فان لك فى الحياة أن تقول لا مساس » ثم وقفت وآغلق على ولم أعرف ما بعد هذه الكلمة فرد الشيخ على وقال : « وان لك موعدا لن تخلفه » ، وقد مضى على هذه المسألة أربعون سنة وكان نصيبى من الزواج ما تضمنته هذه الكلمة التى وقفت عليها « لا مساس » مع أنى كنت متزوجا من قبل ، فلله الأمر من قبل ومن بعد ، فكان ذلك منه كرامة رضى الله عنه .

ومن كراماته رضى الله عنه

أنه قال لى ولزميلى قبل وفاته بأسبوع كأنى أنظر اليكم وأنتم تقلبوننى بين أيديكم وأنا استحى منكم فحدث بعد أسبوع أن مات وبطريق المصادفة حضرنا غسله . وكنا نقلبه بين أيدينا وهو يستحى منها ولكنا لم نشعر باستحيائه أسبغ الله عليه وافر رحمته وعظيم رضوانه .

واذا كانت هذه الكرامات لا تغنى من ينكر الكرامات فلا أغناه الله بغناه فى الدنيا ولا فى الآخرة ، ومن كلامه لى قبل وفاته أنه قال لى : لا نصيب لنا فى الدفن فى أضرحة أو مقامات ، وقد رغبنا فى أن يكون حظنا من ذلك فى الآخرة ، ودفن بمقبرة الظواهرى بمقابر مدينة طنطا سنة ۱۹۱۹م . وله رضى الله عنه كرامات أخرى لازلت أذكرها ولكنى راعيت جانب الاختصار منها أن أحد زملائى فى الفصل الممتازين بالعلم والذكاء كان قد أخطأ فى اجابته على أسئلة المنطق فى السنة الحادية عشرة فلم تكن اجابته مطابقة للاسئلة فأدى ذلك الى سقوطه فى المنطق .

فذهب الى الشيخ واشتكى اليه خطأه فى الاجابة بسبب سبق نظره الى مسألة غير المسألة المطلوب الاجابة عنها ، وكان الشيخ يعلم أنه طالب مجد ، فقال له الشيخ : لا تتكلم الآن معى ، لأن النبى صلى الله عليه وسلم حضر الآن ، فقال له أوصه على . ثم التزم الصمت وهو جالس فى حضرته نصف ساعة ولم يتكلم معه بكلمة واحدة . وبعد مضى هذه المدة عاد الشيخ الى الحديث معه فقال له ياشيخ فلان ان النبى صلى الله عليه وسلم قد تكفل بنجاحك ، وكانت النتيجة قد ظهرت بسقوطه فانصرف من بين يديه ضحى وذهب فى طريقه الى ادارة المعهد فالتقى ببعض العلماء فى طريقه فأخبره بظهور النتيجة فى الرول وبسقوطه ، ولكنه عندما دخل المعهد وجد أن رئيس اللجنة قد أعاد أوراقه الى لجنة التصحيح ثانيا فرأت اللجنة أنه يستحق النجاح على اجابته وان كانت اجابته فى ناحية والأسئلة فى ناحية أخرى وبذلك نجح بعد أن كتب من الساقطين فكان ذلك من كرامات الشيخ رضى الله عنه .

ومنها أن أحد المنتسبين فى القسم العام بطنطا كان قد يئس من أخذ شهادة العالمية وأخذتها أنا قبله مع أنى كنت فى رعايته وأنا طالب صغير فذهب الى الشيخ واشتكى حرمانه من هذه الشهادة فطلب الشيخ منا أن نقرأ له سورة يس بقصد نجاحه فى العالمية فقرأناها له أمام الشيخ فقال لنا الشيخ ان هذه السورة قد كتبت فى صحيفة الشيخ محمد مكى ، ولو كنتم تطلعون على كتابتها لوجدتموها مكتوبة بالخط العربى الواضح الذى يشبه خط المصاحف الكبيرة — ثم قال للشيخ محمد مكى سيأتيك طلب من ادارة الأزهر وتأخذ شهادة العالمية من نفس الأزهر فلم يمض الا شهران حتى جاءه طلب من ادارة الأزهر للامتحان فى الشهادة فذهب وامتحن وأخذ شهادة العالمية بعد أن يئس من أخذها فكان ذلك من كراماته رضى الله عنه .

« ومنها » أن رجلا قرويا شرقاويا طيب القلب سليم النية حضر الى طنطا ومعه أحد عشر جنيها ليشترى بها بضاعة يتجر فيها ، وبينما هو سائر فى السكة الجديدة وجد الناس مجتمعين على محل تجارة رجل يهودى يدعى (أبو طون) وبينهم رجل ينادى فى الناس ويقول (يابلاش) المتر الصوف

بكذا والمتر الحرير بكذا الى آخره ، فدخل القروى هذا المحل واشترى بنقوده المحدودة بضاعة لا يقل ثمنها عن ثلاثين جنيها ولما أراد أن يتسلم البضاعة قال له (ابو طون) اذهب أنت الى بلدتك ونحن نرسل لك البضاعة بطريق البريد وتصل اليك غدا فذهب الى بلدته وانتظر البريد أسبوعا وأسبوعين فلم يحضر اليه شيء فجاء الى « أبو طون » يطلب منه البضاعة أو النقود فقال له قد أرسلتها اليك بالبريد وضاعت على القروى نقوده ، فجاء الى مستغيثا فأخذته الى الشيخ ولما شكى اليه ضياع نقوده وشكى اليه فقره وبرد الشتاء عليه فى غربته . وحاجته الى القوت الضرورى قال له الشيخ اذهب الى مأمور قسم أول وبعد أن تقف أمامه أنظر فوق رأسه وقل الكلمات الآتية فى سرك ولا تسمع بها المأمور قل (أنا رجل غريب وفقير والبرد شديد على هاتوا لى فلوسى علشان آخذها واذهب الى بلدى) وبعد أن تقول ذلك فى سرك قدم شكواك الى المأمور فامتثل وذهب الى المأمور وقال كلماته السرية لمن هو فوق رأس المأمور، وقدم للمأمور شكواه العلنية فاستدعى المأمور فى الحال « أبو طون » من محل تجارته فحضر ووقف المأمور على قدميه ، وألقى عليه درسا قاسيا استغرق القاؤه نصف ساعة واجتمع عليه كل من فى القسم، وأخذ يتهمه بالنصب والاحتيال وهدده بالسجن ان لم يدفع لهذا القروى نقوده على الفور ، فما كان من « أبو طون » الا أن دفع فى الحال عشر جنيهات للشيخ أحمد أبو خليل القروى وأما الجنيه الحادى عشر فزعم انه دفعه أجرة لشحن البضاعة ، وانه سيسترجعها بعد ذلك ، وببركة الشيخ عادت الى هذا القروى نقوده بعد أن سلبها هذا النصاب المحتال فكان ذلك من كراماته رضى الله عنه ، ومنها أنه طلب منى أن احضر لزيارته غدا بعد صلاة الجمعة مباشرة فقلت حاضر ان شاء الله — ولما صليت الجمعة بالمسجد الأحمدى عرضت لى بعض شواغل لا أذكرها الآن عاقتنى من الذهاب اليه عقب صلاة الجمعة مباشرة فاعتذرت بالشواغل التى لا أذكرها الآن فقال لى
عقب صلاة الجمعة مباشرة فاعتذرت بالشواغل التى لا أذكرها الآن فقال لى
« تسببت بتأخيرك عن الحضور فى حرمان نفسك » ولم يقل لى من أى شيء حرمت فاعتذرت اليه وبالغت فى الاعتذار ، ورجوته فى الصفح عن هذا التأخير

القهرى وبعد أن كررت اعتذارى واسترضيته فاذا أنا أشم رائحة ليس لها مثيل فى دار الدنيا اطلاقا . ولم أفهم الا أنها رائحة الجنـة تماما ـ فكنت أستنشق منها ، وفى كل مرة استنشقها تستولى رائحتها على حتى كدت أغيب عن عقلى وكاد شعورى ووجودى يتلاشى عند ذلك ـ وبعد أن سكت الشيخ وسكت أنا أيضا وسكت زميلى لسكوتنا عادالشيخ الى الحديث معى بعدربع ساعة تقريبا ، فانقطعت الرائحة تماما ، وعادت الحالة الى ما كانت عليـه قبلها فوددت أن لو أموت وأخرج من هذه الدنيا لأستمتع فقط بشم هذه الرائحة التى تستولى على المشاعر كلها ولا يسع الانسان معها الا أن يغمض عينيه ويغيب عن شعوره فى عالم آخر ويغنى عن حسه تماما . وكان زميلى جالسا معى أمامه ولم يشعر بهذه الظاهرة حتى أخبرته بها بعد أن خرجنا فكان ذلك من كراماته رضى الله عنه .

الاوراد التى تلقيتها عن الشيخ

وها نحن نقص على القارىء شيئا من الأدعية التى لقنها لى لتلاوتها بين العشاءين على أن يقرأ كل دعاء مرتين أوثلاثا فان لم يتيسر فى هذا الوقت فبعد صلاة الصبح وهى على هذا الترتيب (١) اللهم أنت خلقتنى فلا علم لى ، ورزقتنى فلا حيلة لى ، وان حاسبتنى فلا حجة لى ، وان عاقبتنى فلا قوة لى ، وان غفرت لى فانك أهل التقوى وأهل المغفرة ، اللهم انى توسلت بك بك اليك ، ولا أحد أمره عليك ، ان سألتنى عن ذنبى طلبت عفوك ، اللهم انك سميت نفسك اللطيف ، ونبيك محمدا الشريف ، وأنا عبدك الضعيف ، كيف يخاف عبد ضعيف وهو بين لطيف وشريف ، عصيتك بجهالتى وأنت حليم وجئتك محتاجا وأنت كريم ، فرج كربتى ، وأقل عثرتى ، واعصمنى من عدوى بحرمة اسمك العظيم ونور وجهك الكريم ، وصلى الله على سيدنا محمـد النبى الأمى وعلى آله وصحبه وسلم (٢) سبحان الله العلى الديان، سبحان الله الشديد الأركان ، سبحان من يذهب بالليل ويأتى بالنهار ، سبحان من لا يشغله شأن عن شان ، سبحان الله الحنان المنان ، سبحان الله المسبح فى كل مكان (٣) شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط

لا اله الا هو العزيز الحكيم ، وأنا اشهد لله بما يشهد به لنفسه ، وشهدت له ملائكته وأولو العلم من خلقه، وأنا استودع الله هذهالشهارة الى حين موتى ودخولى قبرى وخروجى منه ولقائى ربى انه لا تخيب لديه الودائع (٤) اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد كما صليت على سيدنا ابراهيم وعلى آل سيدنا ابراهيم وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد كما باركت على سيدنا ابراهيم وعلى آل سيدنا ابراهيم فى العالمين انك حميد مجيد اللهم اخلق فى قدرة على رؤية الطير الذى خلقته من سر الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم وجعلته يسبحك بلغات كثيرة ، واقدرنى كذلك على سماع تسبيحه اياك بتلك اللغات التى يسبحك بها ثم مره ان شئت أن يحدثنى بلغة عربية فصيحة ويجيبنى بها عما أسأله فيه من تلك اللغات المتعددة رحمة منك وحنانا فأنت حسبى ونعم الوكيل وعلى كل شىء قدير ياهو ياهو يا من لا هو الا هو يا من لا اله الا هو — وصلى الله على سيدنا محمد النبى الأمى وعلى آله وصحبه وسلم (٥) اللهم افطم جوارحنا عن المخالفات الشرعية وأنفسنا عن المألوفات العادية ، وقلوبنا عن الرعونات البشرية ، وأسرارنا عن الكدورات الطبيعية وأرواحنا عن التجارات الحسية، وعقولنا عن الخيالات الوهمية (٦) اللهم انى أسألك بنور وجه الله العظيم الذى ملأ أركان عرش الله العظيم وقامت به عوالم العظيم أن تصلى على مولانا محمد ذى القدر العظيم ، وعلى آل نبى الله العظيم بقدر عظمة ذات الله العظيم فى كل لمحة ونفس عدد ما فى علم الله العظيم صلاة دائمة بدوام الله العظيم تعظيما لحقك يامولانا يامحمد ياذا الخلق العظيم ، وسلم عليه وعلى آله مثل ذلك واجمع بينى وبينه كما جمعت بين الروح والنفس ظاهرا وباطنا يقظة ومناما واجعله يا ربى روحا لذاتى من جميع الوجوه فى الدنيا قبل الآخرة ياعظيم (٧) اللهم انى أسألك بنور الأنوار الذى هو عينك لاغيرك أن ترينى وجه نبيك محمد صلى الله عليه وسلم كما هو عندك آمنين (٨) اللهم ياربى بجاه سيدنا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم اجمع بينى وبين محمد بن عبد الله فى الدنيا قبل الآخرة — وقال لى الشيخ ان هذه الصيغة الاخيرة اذا تليت سبعة آلاف مرة بعد صلاة الفجر بدون أن يتكلم بعد الصلاة فانتاليها يرى المصطفى صلى الله

عليه وسلم يقظة ، وقد جربتها فوجدتها صحيحة . (٩) الصلاة والسلام بعدد ماقى علم الله عليك وعلى آلك ياسيدى يارسول الله أدركنى سريعا بعزة الله (١٠) اللهم انقلنى من ذل معصيتك الى عز طاعتك (١١) اللهم ارنى الحق حقا فأتبعه وأرنى الباطل باطلا فأجتنبه (١٢) ياحى ياقيوم باسمك الحى أحيا وباسمك القيوم أقوم (١٣) يارب كل شىء بقدرتك على كل شىء اغفر لى كل شىء ولا تسألنى عن شىء (١٤) يانور كل شىء أنت الذى فلق الظلمات نوره (١٥) يارب كن لى يا رب كن لى (١٦) اللهم عرفنا اياك حق المعرفة .

(١٧) اللهم انا نسألك من فضلك أنت (١٨) اللهم زدنى من نعماتك ومن على بلقائك فى الحياة وبعد الممات بجاه سيدنا محمد سيدالسادات ، صلى الله عليه وعلى آله وسلم فى جميع الأوقات آمين (١٩) اللهم انى أسألك يا الله يارحمن أن تفتح على بمعانى القرآن الأربعة ظاهره وباطنه حده ومطلعه (٢٠) ياودود يا ودود ، ياذا العرش المجيد يامبدىء يامعيد يافعالا لما يريد ، أسألك بنور وجهك الذى ملأ أركان عرشك وأسألك بقدرتك التى قدرت بها على جميع خلقك ، وبرحمتك التى وسعت كل شىء لا اله الا أنت يامغيث أغثنى يا مغيث أغثنى يا مغيث أغثنى ، تقال هذه الصيغة من قوله ياودود الى آخرها سبع مرات (٢١) اللهم صل وسلم وبارك دائما أبدا يااله الكل على سيدنا محمد سيد الوجود وحقيقة الكل ، من أرسلته يامولانا رحمة للكل وفضلته ياخالق الكل على الكل ، وعلى آله وأصحابه الكرام الكل .فى كل لمحة ونفس يا الهى عدد الكل وبجاهه اشغلنى بك وبه ياربى عنى وعن الكل .

(٢٢) اللهم اكشف لى عن غوامض سر اسمك الله . حتى اصل به الى مشاهدة مسماه ، وأفنى فيه عمن سواه حتى لا أشهد الا اياه واحشرنى بفضلك مع الذين عليهم انعم الله (٢٣) استغفرك اللهم ربى منى تب على ياتواب منى خذنى اليك يا الهى منى أنت أولى بى ياولى منى « تولانى » بولايتك يامولاى وخلصنى لك شىء وافننى فيك عن كل شىء سواك وابقنى بك ياباقى واعف ياعفو عما كان وما يكون منى وصل وسلم وبارك دائما ابدا على المصطفى وآل المصطفى ، وبجاهه يا الله تقبل منى (٢٤) الهى نعمتنى فلم تجدنى شاكرا ، وابتليتنى فلم تجدنى صابرا فلا أنت سلبت النعمة بترك الشكر . ولا

أنت أدمت الشدة بترك الصبر الهى ما يكون من الكريم الا الكرم (٢٥) اللهم انى توسلت بك اليك وأقسمت بك عليك أن تنصر المؤمنين على القوم الكافرين (٢٦) اللهم ارحم أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، اللهم اصلح أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم اللهم فرج عن أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم (٢٧) اللهم أعنى على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك (٢٨) اللهم انى أسألك المتابعة لرسولك صلى الله عليه وسلم في الأقوال والأفعال (٢٩) ياولى الاسلام وأهله أمسكنى بالاسلام حتى ألقاك به (٣٠) اللهم مهما عذبتنى بشيء فلا تعذبنى بذل الحجاب (٣١) يالطيف أنت لك فى كل بلوى تصريف (٣٢) يالطيف، فوق كل لطيف الطف بى فى أمورى كلها كما أحب ورضنى فى دنياى وآخرتى (٣٣) اللهم رضنى بقضائك حتى لا أحب تأخير ماعجلت ولا يعجل ماأخرت ، وصلى الله على سيدنا محمد النبى الأمى وعلى آله وصحبه وسلم آمين (٣٤) اللهم خذنى من نفسى واسلبنى عن حسى ، واختطفنى من بين أبناء جنسى ، وارفعنى اليك ثم ردنى على وقربنى لديك يا كريم — وصلى الله على سيدنا محمد النبى الأمى وعلى آله وصحبه وسلم آمين . (٣٥) اللهم أقذف فى قلبى رجاءك واقطع رجائى عمن سواك حتى لا أرجو أحدا غيرك اللهم وما ضعفت عنه قوتى وقصر عنه عملى ولم تنته اليه رغبتى ولم تبلغه مسألتى ولم يجر على لسانى مما أعطيت أحدا من الأولين والآخرين من اليقين فخصنى به يارب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد النبى الأمى وعلى آله وصحبه وسلم (٣٦) اللهم أقذف فى قلبى من نورك ، ما أدرك به أسرار ملكك. وأشاهد به غيب ملكوتك وألاحظ به صفات جبروتك ياكريم (٣٧) لا اله الا الله محمد رسول الله فى كل لمحة ونفس عدد ماوسعه علم الله (٣٨) اللهم انى أشكرك واحمدك كما حمدت به نفسك (٣٩) الحمد لله حمدا يوافى نعمه ويدافع نقمه ويكافىء مزيده (٤٠) الحمد لك والشكر لك ما دامت النعماء لك اغفر لعبد قائل ، الذنب لى والعفو لك (٤١) نحصن بالله عزنا وبالحبيب المقرب لا فيهما عز نصرنا ، لا بجاه ومنصب ، ومن أراد ذلك ، من قريب وأجنبى ، سيفنا فيه قولنا ، حسبنا الله والنبى (٤٢) أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ياأيها الذين آمنو اذكرو نعمة الله عيكم اذهم قوم ان يبسطوا اليكم أيديهم فكف ايديهم عنكم — واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون

(٤٣) قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون (٤٤) الله الله الى ما لا نهاية له ، وقد أخبرنى بأن الذى لقنه اسم الله هو السيد محمد الادريسى عن شيخه السيد احمد الادريسى عن سيدى عبد الوهاب التاز — عن سيدى عبد العزيز الدباغ عن الخضر عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان يقول ليس بينى وبين النبى صلى الله عليه وسلم الا خمسة شيوخ فقط — أما سيدى احمد البدوى فليس بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم واسطة اصلا نفعنا الله بهم وأمدنا ببركاتهم .

رســالة
فى الأدلة على ثبوت التوسل بالأنبياء والمقربين احياء أو أمواتا

رأينا أن نختم هذا الكتاب برسالة مختصرة تثبت فيها مشروعية التوسل والاستعانة والاستشفاع بالأنبياء والصالحين أحياء أو أمواتا لتكون بمثابة ايضاح وارشاد لهؤلاء الذين ارتكبوا فى دينهم أبشع منكر واشنع جريمة بتكفيرهم اخوانا لهم فى الاسلام والحاقهم بعبدة الاصنام لا لاثم ارتكبوه ولا لذنب فعلوه بل لأنهم يباشرون حقا مشروعا ، وأمرا مطلوبا ، طلبه الله من كل مسلم يؤمن بالله ورسوله . وحث عليه الرسول فى أكثر من موضع من أحاديثه الشريفة ، فقد امرنا الله ان نطلب اليه الوسيلة أى نطلب ما نتوسل به اليه من كل ما يقربنا اليه — وامرنا ان نشفع لنؤجر على شفاعتنا وأمرنا ان نتعاون فى قضاء مصالحنا وحاجياتنا فاذا امتثل الناس هذه الأوامر ووجدوا السبيل الى ربهم فى نبى من انبيائه أو فى عبد من عباد الله الصالحين سواء أكان ذلك وهو فى حال حياته البدنية أو فى حال حياته الروحية فاتخذوه وسيلة الى الله فكانت النتيجة أن دلهم على الله وبين لهم طريقه وعرفهم به حتى عرفوه بصفاته التى جاء بها القرآن وأرشد اليها سيد الاكوان عليه الصلاة والسلام فازدادوا بذلك ايمانا على ايمانهم وازدادوا اخلاصا لله فى العبودية ، واقرارا لله بالتوحيد الخالص واعترافا له بالألوهية المطلقة والانفراد المطلق — فمن الجهل — ومن الحمق بل ومن الخروج على الدين أن يقول هؤلاءِ المعترضون عمن يعرفون

الناس بربهم كالبدوى وغيره ، انهم كالأصنام وانهم كهبل فى الجاهلية واللات والعزى عند المشركين ـ ومن عمى البصائر ان يستبيح لأنفسهم هؤلاء المعترضون أن يقولوا عمن عرفوا ربهم على أيدى هؤلاء أنهم مشركون بالله ، ومن الجمود والجحود أن يسووهم بعبدة الأوثان والاصنام ـ هذا هو منطق المعترضين ، وهذا هو واقع حال هؤلاء المقربين الصادقين ، واذا كان وضع الأمور فى نصابها هو ما ذكرناه فانى أنصح لهؤلاء المعترضين أن ينطقوا بالشهادتين وأن يجددوا ايمانهم بالله ورسوله ، وأن يجددوا أيضا عقودهم التى استحلوا بها حرمات الله ، ولو أن هؤلاء المعترضين استعملوا عقولهم ، وحكموا ضمائرهم ، بنظرة واحدة صادقة تكشف لهم أحقية مذهبهم أو بطلانه لأراحوا أنفسهم من عناء المخالفات والمجادلات والتسفيهات التى يرتكبونها والكفريات التى يبوؤون بها فاذا كانوا يرون أن الوسيلة الموصلة الى الله التى عناها الله فى قوله « وابتغوا اليه الوسيلة » هى فى أعمالهم التى يعملونها وتطوعاتهم التى يقدمونها ، فعليهم أن ينظروا بعقولهم هل هذه الوسيلة التى دافعوا عنها وقاتلوا فى سبيلها حققت الغرض منها وأدت الى النتيجة المطلوبة لهم فأوصلتهم حقا الى ربهم أو أوصلت فردا واحدا منهم الى ربه فى هذه البضعة قرون فان وجدوا أن الأمر كذلك وأن هذه الوسيلة قد أوصلتهم حقا الى ربهم أو أوصلت ولو فردا واحدا منهم الى ربه لنستدل به على صحة وسيلتهم فعليهم ان يعضوا على هذه الوسيلة بالنواجذ وعليهم أن يدافعوا عنها وأن يتمسكوا بها بكل أنواع التمسك وان وجد هؤلاء المعترضون أن وسيلتهم لم تحقق لأحد منهم غرضا ولم تؤد ولو بواحد منهم الى نتيجة موصلة الى الله مع تقادم العهد وتطاول السنين ، فعليهم أن يبحثوا عن الوسيلة السليمة التى تؤدى بهم أو بأحدهم الى الغرض وتوصل الى النتيجة التى انتهجها العقلاء الصادقون فأوصلتهم الى ربهم وعرفتهم به جل شأنه .

وانما كانت وسيلة هؤلاء المعترضين غير مجدية لانهم يعتمدون فى معرفة ربهم على أنفسهم ومجرد أعمالهم ويقطعون النظر عن رسولهم والمقربين الى ربهم ويريدون أن يدخلوا البيوت من غير أبوابها والله يقول « وأتوا البيوت من أبوابها » والشاعر يقول مخاطبا الرسول صلى الله عليه وسلم :

وأنت باب الله أى امرىء ... أتاه من غيرك لا يدخل

ومن العجيب حقا أن يكون الرسول هو الذى عرف الناس الطريق الى ربهم ــ ثم يسبقه هؤلاء على الأبواب ويقولون نحن أعرف من غيرنا بالوسيلة التى توصلنا الى ربنا ، وانى أتحدى هؤلاءالمعترضين الذين يحكمون بالكفر على كل من جعل الرسول وسيلة الى ربه أن يذكروا لنا أن فردا واحدا من فئتهم الباغية رئيسا كان أو مروءسا سيدا كان أو مسودا استطاع بوسيلته أن يصل الى ربه أو أن يعرفه بذاته أو صفاته التى دلت عليها آياته وأثبتها له المرسلون ، أتحداهم تحديا علنيا صريحا لأنى اطلعت على ما كتبه ساداتهم وكبراؤهم الأولون ومقلدوهم الاخرون فوجدتهم يتخبطون ولا يدرون بما ينطقون فى الأحاديث والآيات التى تتعلق بالذات والصفات ، ويذهبون فى فهمها الى ما ينبو عنه العلم ويسخر منه أهل المعرفة الصادقون نعم ان لهم ألسنة ناطقة وقوة منطق فى التعبير . وقوة بيان . ولكنه منطق أجوف . وبيان لفظى مسلسل هو أبعد فى الحقيقة عن الحقيقة بعد المشرقين . يجب على هؤلاء المعترضين أن يعرفوا الفضل لأهله وأ نيعلموا أن الوسيلة التى ذكرها الله فى قوله « وابتغوا اليه الوسيلة » ليست قاصرة على الأعمال التى يقدمها العباد من صلاة وصوم ونحوهما بل ربما كانت الوسيلة التى يطلبها فى هذه الآية غير الصلاة والصوم ونحوهما لأن الله تعالى قال قبل قوله « وابتغوا اليه الوسيلة » قال « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله » ، فأوصى المؤمنين بتقوى الله وليست تقوى الله كما قلنا غير مرة الا الاعمال الصالحة ولو مندوبة وترك المعاصي ولو صغيرة فاذن يكون قوله « وابتغوا اليه الوسيلة بعد أن أوصاهم بالأعمال الصالحة مباشرة مرادا بها أمر آخر غير الأعمال الصالحة واذا بحثنا وأمعنا فى البحث عن وسيلة تقربنا الى الله غير الاعمال الصالحة فلا نجد هذه الوسيلة الا فيمن عرفنا بالله وهدانا الى الله ودلنا على الله وهو أقرب المقربين اليه وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم لا نجد هذه الوسيلة الا فى حضرته والا فيمن توسلوا الى الله بحضرته فعرفوا الله بوسيلته وهم ألياء الله المقربون ونعود الى ذكر الأدلة فنقول .

الدليل الاول هو قوله تعالى (ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما) وقبل أن نخوض فى الدليل يجب أن نقرر حقيقة واقعة تتصل بالدليل وهى أن الله قد

أنشأ الناس جملة انشاءات ، وطورهم أطوارا أربعة كل طور منها مغاير لسابقه ومفضول بالنسبة للاحقه زمانا وقوة فى الحياة (الطور الأول أو الانشاء الأول) هو انشاؤهم فى بطون أمهاتهم واحياؤهم فيها حياة محصورة وقاصرة ومحدودة ببضعة أشهر أو تزيد (والانشاء الثانى) هو انشاؤهم فى حياتهم الدنيا انشاءا بدنيا وهو انشاء أوسع مدى من سابقه الا أنه محصور أيضا وقاصر ومحدود بستين عاما أو تزيد (والانشاء الثالث) هو انشاؤهم فى حياتهم البرزخيـة انشاءا روحيا وهو أوسع مدى من سابقه ولا يقل فى قوته عن لاحقه وهـو أيضا محصور ومحدود بعمر هذه الدنيا وقد بين النبى صلى الله عليه وسلم عمر هذه الدنيا بأنه سبعة أيام كل يوم ألف سنة مما تعدون ونحن فى أواخر اليـوم السابع من عهد آدم عليه السـلام الى الآن ـ فالأرواح التى كانت محبوسة أو مقيدة فى حركاتها بالبدن أى فيما لا يزيد عن نصف متر مكعب من غلافها البدنى انحصرت فيه حواسها من سمع وبصر أصبحت بعد انعدام البدن وتخلصها من سجنه أصبحت طليقة فى أرجاء هذا الـكون الفسـيح فتراها سابحة غائدة رائحة على شكل الكواكب النيرة لاسيما الأرواح المطلقة غير المقيدة بمعاصيها والأرواح الكبيرة ، وأحيانا تبدو صاعدة هابطة سـائرة الى حيث تبغى وتريد ـ وهذه الأرواح الكبيرة محتفظة تماما بعلومها ومعارفها وبكل صفة كانت عليها فى الدنيا وبكل غريزة من غرائزها التى كانت عليهـا والتى كانت تتميز بها فى أنظار الناس وتعرف بها عندهم لم يتغير بموت البدن شىء من ذلك فى الروح حتى الصوت والنبرات والتقطيعات كل ذلك باق على ما كان عليه قبل الموت وتزيد على ذلك باطلاقها وعدم حبسها فى هذا السجن الضيق الحقير فبالموت أصبحت طليقة فى كل شىء ومن كل قيد تسمع سمعا غير مقيد وتبصر ابصارا غير محدود ـ فتسـمع كل شىء فى هذا الكون اذا توجهت اليه ، وتبصر كل شىء فى هذا الكون اذا أحدقت اليه وأضرب لك مثل لذلك بروح النائم اذا خمد البدن بالنوم وانفصلت هى عنه تراها تسمع كل شىء فى السموات أو فى الأرض اذا توجهت اليه ، وتبصر كل شىء فى السموات أو فى الارض اذا أحدقت اليه فيرى العرش وهو نائم فى الحجرة ويرى الكرسى وأحيانا يرى الله سبحانه وتعالى ويرى رسوله وغير ذلك مهما بعد أو قرب ولو كان النائم فى طرف من أطراف الدنيا وناداه وهو نائم رجل

فى طرفها الآخر لسمعت روحه هذا النداء وأجابته وخاطبته كما هو معروف عند كل الناس وأنت بنفسك تسمع صوتك ونبراتك وأنت نائم هى بعينها الصوت والنبرات التى تكون منك لو كانت عضلات لسانك هى التى تتحرك مع أنها لم تتحرك وأنت قائم ـ فشأن الأرواح أنك اذا كنت فى طرف الدنيا وهى فى طرفها الآخر أبصرتك ـ واذا ناديتها أجابتك ولعل فى كل هذا ما يوضح معنى قوله « ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى » ولذا قال النبى صلى الله عليه وسلم فى قتلى قليب بدر والذى نفسى بيده أنهم لأسمع منكم ـ وهم أيضا أبصر من الأحياء كما علمت ـ لأن سماع الأرواح وابصارها بذواتها ـ وسماع الابدان وابصارها بآلاتها وما كان بالذات أوسع مدى مما كان بالآلات كما فى سماع النائم وابصاره واذا علمت أن الأرواح بعد الموت أسمع وأبصر وأقوى حياة وأوسع مدى مما كانت عليه وهى منحصرة فى أقفاصها البدنية فانا نعود بالقارىء الى بيان الاستدلال بهذه الآية على مشروعية التوسل بالأنبياء والصالحين فنقول ـ حث الله الناس على التوسل برسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى « ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما » حيث ربط سبحانه قبولهم عنده باستغفاره لهم عليه الصلاة والسلام فقبولهم عند الله مشروط باستغفارهم ثم باستغفار الرسول لهم بعد ذلك فوجب بدلالة النص أن نسعى الى حضرة الرسول ونستعين به على ازالة ما أحاط بنا من رجس وحاق بنا من فسوق ـ وما دمنا متمسكين بهذه الوسيلة وملتزمين باب الرسول وأعتابه فلن يمسنا بعد ذلك سوء ولن يلحقنا بعد ذلك وصب ولا نصب بدليل لوجدوا الله توابا رحيما ـ والتوسل بالرسول باق ما بقيت السموات والارض ، وما بقى الناس ، وما بقى القرآن ، وما بقيت نبوته ، وان تقييد ذلك بحال حياته الدنيوية تحكم واضح لأنه لا فرق بين حياة وحياة ، وقد علمت أن الارواح بمفارقتها للبدن وخروجها من سجن البشرية الى حالة الاطلاق أقرب من ربها ، وأرجى فى نفعها من الارواح المحجوبة ببشريتها والمشغولة بالمحافظة على آدميتها وأن الموت ما هو الى انتقال من حياة مقيدة الى حياة مطلقة ومن حياة بدنية الى حياة روحية ، واذا انضم الى ذلك أن الله هو الذى أجرى الخير على أيدى الأنبياء والمقربين فى

حال حياتهم اكراما لهم فيكون اجراء الخير على أيديهم بعـد مماتهم أبلغ فى اكرامهم ، وأظهر فى مجازاتهم على ما قدموا من أعمال صالحات وبذلوا فى سبيله وابتغاء مرضاته من تضحيات تقول اذا انضم هذا الى ذلك تأكد السعى الى الانبياء والمرسلين ولزمنا أن تتخذ العمل الصالح عدتنا والرسول عمدتنا فى التوسل الى الله وطلب القـربى اليه ـ وكذلك الأولياء والصـالحين لأن الحكمة التى من أجلها حث الله الناس على التوسل بحضرة الرسول هى بعينها ثابتة فى شأن الأولياء والمقربين وهى شدة قربهم من الله فوجب أن نسعى الى الأولياء والصالحين كما نسعى للأنبياء والمرسلين ومما يدل على أن التوسل بالاولياء كالتوسل بالأنبياء أن الاستغفار للغير ليس خاصا به صلى الله عليه وسلم لعدم دليل خصوصية ذلك به عليه الصلاة والسلام فدلت الآية بعمومها على مشروعية التوسل بالأولياء والمقربين .

مغالطة المعترضين فى انكار التوسل بالرسول

أكبر ملجأ يلجأ اليه المعترضون الفاشلون عندما يجابههم الناس بالأدلة الدامغة على ثبوت التوسل بالرسول فى حال الحياة أو بعدها أنهم يعمدون الى مغالطة الناس باحالتهم على مجهول يتذرعون به لانكار الوسيلة فأكثـر ما تسمع منهم وأكثر ما يجرى على ألسنتهم وأكثر ما يتناقلونه فى كتبهم أنهم يتمسحون بالسلف الصالح ويتوارون وراء هذا الستار الصفيق والمجهول السحيق فيقولون ان التوسل بالأموات لم يفعله أحد من السلف الصالح وهو بدعة محدثة وضلالة منكرة لم تكن فى خير القرون وانما كانت فى القرون المحدثة مع قرن الشيطان ، وليت شعرى من الذى أطلعهم على أن السلف الصالح لم يتوسلوا الى الله برسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن الذى يقول ان كل ما يفعله السلف يجب أن ينقل الى الناس ليعلمه الناس وليطلعوا عليه وليعملوا بمقتضاه وهل السلف الصالح مشرعون حتى تنقل الينا أخبارهم وتوسلاتهم الى الله ، من الذى يعرف منكم الالتزامـات التى كان السلف الصالح يلتزمونها فى عباداتهم ومناسكهم والعادات التى كانوا يترسمونها فى سيرهم وسلوكهم الى الله ، والتوجيهات التى كانوا يتوجهون بها الى الله أثناء

زيارتهم لقبر رسول الله ــ هل سمعتموهم وهم يزورون رسول الله أنهم لــم يتوسلوا برسول الله ولا أخطىء الحقيقة اذا قلت ان السلف الصالح لا يمكن أن يفوتهم أبدا التوسل الى الله برسوله كيف وهو الذى أنقذهم من عبادة الاصنام وهو الذى عرفهم بربهم وأرشدهم الى توحيده وكان هو السبب فى هدايتهم لنعمة الايمان ، على أن قول المعترضين أن التوسل الى الله برسول الله لم يفعله أحد من السلف الصــالح مغالطة مكشوفة فقــد فعله السلف الصالح ووقع فى خير القرون ونقله الينا المؤرخون فهاهى المقالة التى نقلها القاضى عياض بين الامام مالك وبين الخليفة العباسى أبى جعفر المنصور دليل صريح على أن التوسل بالأموات فعله السلف الصالح وأرشد اليه امام مجتهد فى خير القرون ، فقد سأل أبو جعفر المنصور الامام مالك وهو فى احدى زياراته لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له يا أبا عبدالله أأستقبل القبلة وأدعو أم أستقبل رسول الله فقال له الامام مالك ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم الى الله يوم القيامة بل استقبله واستشــفع به فيشفعه الله تعالى ثم تلا الامام مالك قوله تعالى (ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما) وماقاله الامام لأبى جعفر دليل واضح على استواء التوسل به فى حياته الدنيوية وفى حياته البرزخية وهذا هو ما ذكرناه فظهر أن قول المعترضين ان التوســل بالأموات لم يفعله أحد من السلف الصالح مغالطة واضحة فقد أرشد اليه رئيس دينى وفعله حاكم سياسى وخليفة للمسلمين والناس على دين ملوكهم، وماروى عن العتبى وهو من شيوخ الامام الشافعى رضى الله عنهم يدلنا دلالة قاطعة أيضا على أن الناس فى خير القرون كانوا يذهبون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويتوسلون به الى الله فقد روى عن العتبى أنه قال كنت جالسا عند قبر الرسول فجاء أعرابى وقال السلام عليك يارسول الله سمعت الله يقول « ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرســول لوجدوا الله توابا رحيما » وقد جئتك مستغفرا من ذنبى مستشفعا بك الى ربى ثم بكى وقال البيتين المشهورين :

يا خير من دفنت فى القاع اعظمه ... فطاب من طيبهن القــاع والأكم
نفسى فداء لقبــر أنت ســاكنه ... فيه العفاف وفيه الجود والــكرم

قال العتبى ثم استغفر الأعرابى وانصرف فغلبتنى عيناى فرأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى النوم فقال ياعتبى ألحق بالأعرابى فبشره بأن الله قد غفر له فخرجت فلم أجده ، فترى أن الاعراب كانوا يتوسلون به والملوك والأئمة ومن هم السلف الصالح غير ذلك .

وقد اتفق الفقهاء على جواز التوسل والاستشفاع والاستغاثة بالانبياء حال حياتهم وبعد موتهم ودونوا فى كتبهم على اختلاف مذاهبهم فى باب آداب الزيارة أنه يندب فى الزيارة تلاوة آية ولو انهم اذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله الآية وهو مذهب أهل السنة والجماعة ، وليت هؤلاء المعترضين خرجوا عن اجماع المسلمين ثم عكفوا على رأيهم وسكتوا الا أن المصيبة الطامة هى أنهم حكموا بالكفر على كل من خالف رأيهم فكفروا هم بتفكيرهم للمسلمين ، وليس لهؤلاء علاج الا ما قدمنا وهو أن ينطقوا بالشهادتين وأن يجددوا ايمانهم وعقودهم التى يتوقف صحتها على شرط الاسلام .

الشبهة الوحيدة التى يتذرع بها المعترضون فى انكار التوسل بالأنبياء والمقربين .

يقول المعترضون ان التوسل بالأنبياء والأولياء اشراك بالله لانه لايفترق عن اتخاذ الأصنام أولياء من دون الله ولا عن عبادتهم من دون الله ، هذه هى الشبهة المقدسة عندهم وهى الشبهة التى يتذرعون بها فى كل مناسبة وبنوا عليها خروجهم على أهل السنة وجماعة المسلمين ، وحكموا عليهم بما حكموا جهلا أو تعنتا فوقعوا فى الخسران المبين . ونحن نتناول هذه الشبهة بالبحث البرىء ليظهر للقارىء هل هؤلاء المعترضون الذين ملأوا الدنيا ضجيجا وعويلا عدة قرون أصابوا أو أخطأوا واتبعوا الحق أو وقعوا فى الاثم العظيم والحرمان المبين فنقول اعلم أن القرآن قد حكى عن المشركين أنهم كانوا يتخذون الأصنام أندادا لله رب العالمين وقال ردا عليهم فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون ، وحكى عنهم أنهم كانوا يتخذون الاصنام شركاء لله ـ فقال

وجعلوا لله مما ذرا من الحرث والأنعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا ورد عليهم بقوله ساء ما يحكمون . وحكى عنهم أنهم كانوا يعبدونها من دون الله فقال ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ورد عليهم بقوله « وكان الكافر على ربه ظهيرا » أى هينا مهينا من قولهم ظهرت بفلان اذا جعلته خلف ظهرك ووليت وجهك عنه فلا تلتفت اليه لمهانته وحقارته ، وحكى عنهم أنهم كانوا يتخذونها أولياء من دون الله فقال أم اتخذوا من دون الله أولياء . ورد عليهم بقوله « فالله هو الولى » وفى القرآن من هذا كثير والذى تلفت اليه النظر هو أن ماقصه علينا فى شأن المشركين هل ينطبق على المتوسلين بالأولياء والمرسلين ، وهل يوجد فى المسلمين من يعتقـد أن السيد البدوى ندا لله رب العالمين أو شريكا له فى ملكه وهل يوجد من يعبده من دون الله ، واذا كان الجواب قطعا هو بالسلب وأنه لا يوجد أحد يعتقد هذا الاعتقاد بين المسلمين اذن فما هو الوجه الذى بنى عليه المعترضون هذه الاكذوبة الضالة والفرية المفتراه ، قالوا ان فى القرآن آية دلتهم عـلى منع التوسـل وانكار الوسيلة بالانبياء وغيرهم وهى التى أوصلتهم الى منصة الحكم على المسلمين أجمعين بالشرك وأرشدتهم الى أنهم ورثة الأنبياء وحزب الله المفلحون ، وهذه الآية هى قول الله تعالى : « والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ، ان الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون » . « ان الله لا يهدى من هو كاذب كفار » . هذه الآية هى عدة المعترضين وعمدتهم فى انكار التوسل وتكفير المتوسلين . وقد تناولت هذه الآية بالبحث وقلبت فيها النظر على كل وجه فلم أجد فيها ما يصلح سندا من قريب ولا من بعيد لما زعموه ، وأنت ترى أن فى الآية عقائد ثلاثة للمشركين وكل عقيدة من هذه العقائد الثلاثة لا يمكن تطبيقها ولا انطباقها على أحد من المتوسلين .

(العقيـدة الاولى) انهم اتخـذوا الاصـنام أولياء فأثبتـوا لهـا الولاية الخاصة به سبحانه وتعالى ، وهى الولاية المطلقة التي لا يوصف بها أحد سواه ، وهى تستلزم أو تشعر بأن المتصف بها يقوم بتدبير نظام العالم وتشعر بأنه له قدرة على ايجاده وتشعر بايصـال الضر لمن شـاء له الضر وايصال النفع لمن شاء له النفع هذه الولاية أثبتوها لهذه الاحجار وسجدوا

لها وركعوا وفى الوقت نفسه لم يثبتوها لله وحده فلهذا كفروا والمتوسلون بالنبى أو بالولى لم يثبتوا للنبى ولا للولى الولاية المطلقة الخاصة به سبحانه وتعالى ولم ينفوا هذه الولاية عنه كما فعل المشركون وكما دل عليه قوله « اتخذوا من دونه أولياء » أى تجاوزوه الى غيره وهى الاصنام وأثبتوا لها الولاية الخاصة به والمتوسلون لم يتجاوزوا الله الى غيره ولم يثبتوا لذلك الغير الولاية الخاصة تبارك وتعالى كما فعل المشركون . وهنا يعلو ضجيج المعترضين ويقولون قد اتخذتموهم أولياء بتوسلكم بهم وسؤالكم لهم الشفاعة كالمشركين سواء بسواء ويجهلون ولا يعقلون أن اتخاذ الانبياء والمقربين أولياء هو من اتخاذ الأولياء المشروع الذى أرشدنا الله اليه فى قوله « انما وليكم الله ورسوله » . وفى قوله « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض » فاتخاذ الأنبياء والمقربين أولياء هو من الاتخاذ المشروع والمأمور به فى القرآن الكريم واتخاذ المشركين أصنامهم أولياء هو من الاتخاذ المنهى عنه والفرق بين الاتخاذين أوضح من الشمس كما علمت . وان شئت أوضح من ذلك فأقول الله اسمه الولى والنبى اسمه ولى لقوله انما وليكم الله ورسوله والمؤمن اسمه ولى لقوله والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض ولا يستريب أحد فى أن الولاية التى يتصف بها الله هى فى معناها وفى حقيقتها غير الولاية التى يتصف بها النبى وغير الولاية التى يتصف بها المؤمن الولى لان ولاية الألوهية غير ولاية العبيد كما هو واضح . فالمشركون ألبسوا أصنامهم ولاية الألوهية وسجدوا لها وركعوا كما قلنا والمتوسلون ألبسوا النبى أو الولى ولاية العبيد . فالمشركون اتخذوا الاصنام أولياء . والمتوسلون اتخذوا المقربين أولياء لكن اتخذوها ولاية ألوهية فكفروا ، والمتوسلون اتخذوها ولاية عباد بعضهم لبعض فسلموا والمعترضون عندهم « أن كله عند العرب صابون » فكل من اتخذ وليا فقد أشرك ، ولو كان هذا الاتخاذ مما شرعه الله ، ولو كان فضلوا وأضلوا .

(العقيدة الثانية) انهم علاوة على كونهم أثبتوا الولاية المطلقة لأصنامهم كما علمت أثبتوا لها أيضا صفة الألوهية بدليل قولهم «ما نعبدهم» فكانوا يعظمونها بالركوع لها والسجود واستبدلوا تعظيم الله بالعبادة

التى كانوا يعرفونها من شريعة ابراهيم بتعظيم هذه الاصنام واعتقدوا فيها أنها تنفع وتضر بذاتها فلهذا كفروا والمتوسلون بالنبى وبالولى لم يسجدوا للنبى ولم يركعوا للولى ولم يعتقدوا فى واحد منهما أنه يخلق النفع أو يخلق الضرر ولكنهم يعتقدون اعتقادا جازما بأن النبى أو الولى يتسبب فى النفع أو فى الضرر ، وأن رحمة الله منهم أقرب وبهم أرجى وأن اجابة الله اذا كانت لنا واحدا فى المائة تكون لهم سبعين فى المائة فلهذا يتوسلون بهم ويرجون من الله الخير على أيديهم وليس فى ذلك شائبة ضرر عليهم فى دينهم .

(العقيدة الثالثة) أن المشركين كانوا يعتقدون أن عبادة الاصنام هى التى تقربهم الى الله كما قال الله تعالى ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى فهم يطلبون القربى بطريق غير مشروع قد نهى الله عنه وهو عبادة الأصنام، والمتوسلون يطلبونها بطريق مشروع أمر الله به ، وهو الاستعانة بالمقربين وأين هذا من ذاك ـ فهذه العقائد الثلاثة كما ترى لا يمكن تطبيقها ولا انطباقها على المتوسلين فكان وجه الشبه بين الفريقين غير متحقق والحاق أحدهما بالآخر فى محل المنع ، والمعترضون لما وجدوا ان الاية لا تساعدهم اطلاقا على تشبيه المتوسلين بالمشركين أخذوا يهرجون ويقولون ان الاستشفاع بالمقربين عبادة والاستعانة بهم عبادة والتوسل عبادة وغايتهم من هذه التمويهات نظم المتوسلين فى سلك عبدة الاصنام وفاتهم أن الاستشفاع والاستعانة والتوسل كلها مأمور بها شرعا فكيف يأمر الله بما هو عبادة لغير الله هذا هو علم المعترضين ومنطق المهرجين يريدون أن يدخلوا ما أمر الله به المؤمنين الموحدين من التعاون ، وطلب الوسيلة اليه والاستشفاع بالمقربين لديه فى عبادة المشركين للأصنام فيحرمون ما أحل الله افكا واجراما ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ظلما وعدوانا ويدخلون فى احكام القرآن ما لا يريده القرآن كذبا وبهتانا « ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى الى الاسلام والله لا يهدى القوم الظالمين . يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون » .

الدليل الثانى : على ثبوت التوسل بالانبياء والمقربين أحياء أو أمواتا

قال الله تعالى « ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين » ذكر العلماء أن هذه الآية نزلت فى بنى قريظة وبنى النضير وهم أهل كتاب وكان بينهم وبين الأوس والخزرج وهما من مشركى العرب مشادة ومحادة فى الجاهلية وقبل أن يولد الرسول ويبعث فكان اليهود يستفتحون على الأوس والخزرج أى يستنصرون ويطلبون من الله أن ينصرهم على أعدائهم المشركين متوسلين اليه بالنبى الذى سيبعث فى آخر الزمان والذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة فينصرهم الله على المشركين وروى السدى فى كيفية استنصار اليهود أى فى كيفية طلبهم النصر من الله أنهم كانوا اذا اشتد الحرب بينهم وبين المشركين أخرجوا التوراة ووضعوا أيديهم على الموضع الذى ذكر فيه النبى صلى الله عليه وسلم وقالوا اللهم انا نسألك بحق نبيك الذى وعدتنا أن تبعثه فى آخر الزمان أن تنصرنا اليوم على عدونا فينصرون ، وهذا من أوضح الأدلة على صحة التوسل بامام العالمين وبالاولياء المقربين أحياءا كانوا أو أمواتا لأنه اذا أقر الله فى القرآن هذا التوسل بالرسول قبل أن يولد وقبل أن يبعث وقبل أن تكتب فى صحيفته أعماله الخالدة التى قدمها فى حياته وعمال أمته لأنه هو السبب الوحيد فيها فلأن يتوسل به بطريق الأولى بعد أن ولد وبعث واكتسب هذه الفضائل التى لا نهاية لها ؟ لكن المعترضين لا يسلمون حتى ما ثبت بطريق الاولى فعندهم ان التوسل برسول الله اشراك ، فهل كان اليهود أعرف بمقام الرسول منهم ، وهل كانوا أسلم عقيدة وأقرب الى ربهم من هؤلاء يهود بنى قريظة وبنى النضير كانوا يتوسلون بالنبى قبل أن يولد ويبعث ، وهؤلاء يمنعون التوسل به حال موته بعد أن ولد وبعث ويهود بنى قريظه وبنى النضير كان يتوسلون به ويقرهم الله على توسلهم ويستجيب لهم توسلهم بحضرته ، وهؤلاء يحرمون التوسل ويحكمون بالكفر على من يتوسل بالرسول أويقول يارسول الله فأى الفريقين أعرف بمقام الرسول وأسلم عقيدة وأصدق طوية من هذه العقائد الضالة والطوايا السيئة والسرائر الخبيثة ، فاللهم سلمنا من زيغ القلوب وطمس البصائر

وأعذنا من مركب النقص الذى يستولى على العقول فتطيش ولا تعى ماتقول
ومما يثبت التوسل بالأنبياء والمقربين بعد وفاتهم أيضا ماذكره القاضى عياض عن أبى محمد المكى وأبى الليث السمرقندى وغيرهما ان آدم عليه السلام عند معصيته قال اللهم بحق محمد اغفر لى خطيئتى وتقبل توبتى فقال الله من أين عرفت محمدا قال رأيت فى كل موضع من الجنة مكتــوب لا اله الا الله محمد رسول الله فعلمت انه أكرم خلقك عليك فتاب الله عليه وغفر له،وحديث استشفاع آدم وتوسله بالنبى ورد من عدة طرق وأخرجه البيهقى والحاكم والطبرانى فى الصغير وابو نعيم وابن عساكر عن عمر بن الخطاب ، ولا مانع من أن يكون هذا التوسل من جملة الكلمات التى تاب الله على آدم بسببها ، فهذه كلمة ، وقوله تعالى « ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين » كلمة أخرى وما روى عن ابن عباس من أن آدم قال يارب ألم تخلقنى بيديك ألم تنفخ فى من روحك الى آخره كلمة ثالثة .

الدليل الثالث روى الترمذى وابن ماجه والحاكم عن عثمان بن حنيف وصححه الحاكم أن رجلا ضريرا أتى للنبى صلى الله عليه وسلم فقال ادع الله لى أن يعافينى
أن رجلا ضريرا أتى للنبى صلى الله عليه وسلم فقال ادع الله لى أن يعافينى
فقال ان شئت دعوت وان شئت صبرت فهو خير قال فادع فأمره النبى صلى الله عليه وسلم أن يتوضأ ويحسن الوضوء ويصلى ركعتين ويدعو بهذا الدعاء « اللهم انى أسألك وأتوجه اليك بنبيك محمد صلى الله عليه وسلم نبى الرحمة يارسول الله انى توجهت بك الى ربى فى حاجتى هذه لتقضى اللهم فشفعة فى قال ابن حنيف فوالله ماتفرقنا وطال بنا الحديث حتى دخل علينا الرجل كأن لم يكن به ضر قط ، وهذا الحديث ليس مخصوصا بالتوسل فى حال الحياة لأن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم توسلوا بهذا التوسل بعد انتقاله عليه الصلاة والسلام ، فقد أخرج البيهقى وأبو نعيم فى المعرفة عن أمامة بن سهل ابن حنيف أن رجلا كان يختلف الى عثمان بن عفان فى حاجة ، وكان عثمان لا يلتفت اليه ولا ينظر فى حاجته فلقى ذلك الرجل عثمان بن حنيف وشكى اليه ذلك فقال له : أئت الميضأة فتوضأ ، ثم أئت المسجد فصل ركعتين ، ثم قل (اللهم

انى أسألك واتوجه الى آخر الدعاء المتقدم فانطلق الرجل فصنع ما قـال ثم أتى باب عثمان فجاءه البواب حتى أخذ بيده وأدخله على عثمان فأجلسه معه على الطنفسة وقضى له حاجته ثم قال له عثمان « ما كان لك من حاجة فاذكرها ثم ان الرجل خرج من عنده فلقى عثمان بن حنيف فقال جزاك الله خيرا » ما كان ينظر الى ولا يلتفت الى حتى كلمته ولكن رأيت النبى صلى الله عليه وسلم وجاءه ضرير فشكى اليه ذهاب بصره فقال له النبى ان شئت دعوت وان شئت صبرت الى آخر الحديث المتقدم فهذا توسل بالرسول فى حياته وبعـد انتقاله وفعله السلف الصالح وفى خير القرون ، وفيه أيضا نداء له يارسول الله فهل أشرك السلف الصالح بذلك ؟

الدليل الرابع : روى البيهقى وابن ابى شيبة باسناد صحيح ان الناس أصابهم قحط فى خلافة عمر فجاء بلال بن الحاوث الى قبـر الرسول فقـال يارسول استسق لأمتك فانهم هلكوا فأتاه رسول الله وأخبره انهم يسـقون فذهاب هذا الصحابى الى قبر الرسول وطلبه من الرسول ان يستسقى لأمته فى خلافة عمر دليل صريح على جواز التوسل بالانبياء والمقربين أحياء أو ميتين وأن التوسل ليس أمرا محدثا كما يقولون بل كان يفعله السلف الصالح فى خير القرون .

الدليـل الخامس : قوله تعالى مخاطبا الكفار الذين كانوا يعبدون الملائكة ويعبدون عيسى وعزيرا « أولئك الذين يدعون يبتغـون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب » يقول الله لهؤلاء الكفرة العابدين أولئك الذين تعبدونهم من دون الله هم أنفسهم يتوسلون الى الله بمن هو أقرب منهم الى الله وأقرب الملائكة الى ربهم هم رؤساؤهم وأقرب الأنبياء الى ربهم هو امامهم فقصركم لها على الأعمال باطل بدلالة النص فيعلم من هذا أن الوسيلة ليست قاصرة على الأعمال الصالحة بلا نزاع بل هى كل ما يقرب الى الله أن ثبوت ذلـك بنص القرآن .

الدليل السادس : ما ثبت فى صحيح البخارى عن أنس بن مالك أو عمر بن الخطاب استسقى عام الرمادة بالعباس عم النبى صلى الله عليه وسـلم

فسقوا . وكان من دعاء عمر اللهم انا كنا اذا أجدبنا نتوسل اليك بنبينا فتسقينا وانا نتوسل اليك بعم نبينا فاسقنا فيسقون وانما لم يستسق عمر بسيد المرسلين صلى الله عليه وسلم لأن الاستسقاء عبادة بدنية لابد فيها من صلاة ركعتين سنة الاستسقاء ثم الدعاء من الامام عقب صلاة الاستسقاء ، ثم التأمين من المأمومين على دعاء الامام وشفاعته ، ولذلك كان العباس يدعوهم يؤمنون على دعائه ويقول « اللهم انه لم ينزل بلاء الا بذنب ولم يكشف الا بتوبة ، وقد توجه القوم لى لمكانى من نبيك ، وهذه أيدينا اليك بالذنوب . ونواصينا اليك بالتوبة فاسقنا الغيث وهم يؤمنون على دعائه ، فأرخت السماء عليهم مثل الجبال حتى أخصبت الارض وعاش الناس » فلكون الاستسقاء عبادة بدنية مشروعة بادر عمر بامتثالها ، وما كان له أن يترك العبادات المشروعة ويكتفى بالتوسل به صلى الله عليه وسلم فتركه التوسل به صلى الله عليه وسلم لا لأن التوسل به لا يجوز أو لا يستجاب بل لأن مشروعية الاستسقاء تقتضى ما فعله عمر ، أما قول المعترضين ان عدول عمر عن التوسل برسول الله الى التوسل بعمه العباس دليل على أنه لا يجوز التوسل بالأموات فقول هراء لما علمت من أن مشروعية الاستسقاء تقتضى ما فعله عمر — ولولا أن مشروعة الاستسقاء تقتضى ذلك لبادر عمر بالاستسقاء برسول الله صلى الله عليه وسلم لا سيما وهو يعلم علما جازما أن اليهود كانوا يستفتحون به قبل أن يولد ويبعث فيفتح عليهم ، ويعلم علما جازما أن حياة الرسول الروحية أقوى من حياته البدنية أضعافا مضاعفة وأقوى أيضا من حياة الشهداء ويعلم أن الرسول قد فاز بمقام الشهادة أيضا بسبب أكلة أحد المعروفة ، واذا كانت السيدة عائشة تعلم الكثير عن الحياة الروحية حتى انه لما مات سيدنا عمر ودفن بجوار أبيها ارخت على وجهها الحجاب بعد دفن عمر ، وكانت تذهب قبل ذلك لزيارة أبيها وسيد الوجود سافرة الوجه لأنها فى حضرة أبيها وزوجها ثم أصبحت بعد دفن عمر فى حضرة أجنبى غير محرم فلهذا أرخت الحجاب على وجهها أفلا يعلم ذلك سيدنا عمر ويعلم ما هو أكثر منه وأكثر وهو المعروف بالمخاطبات الروحية . وخاطب سارية وحذره من أعدائه مخاطبة روحية

مع ما بينهما من مسافات شاسعة فالقول بأن عدول عمر الى الأحياء دليل على أنه لا يصح التوسل بالأموات قول الصم البكم العمى الذين لا يعقلون .

تمييز الحق من الباطل والصحيح من العاطل

فى توسل الناس بالانبياء والأولياء

ذكرنا الأدلة التى تثبت التوسل بالانبياء والأولياء فى حياتهم البدنية أو الروحية ونريد فى هذا الموضوع أن نبين الافعال التى يمكن طلبها من الوسائل والأفعال التى لا يمكن طلبها من الوسائل بل يجب طلبها من الله فنقول الأفعال التى يطلبها الناس من الأنبياء أو الأولياء ، اما أن يصح اسنادها الى الناس كما يصح اسنادها لله فهذه لا شىء فى طلبها من الأنبياء والأولياء مثل قولهم أغثنى يارسول الله اشفع لى عند ربك عاونى ياسيد يابدوى على قضاء حاجتى أو نحو ذلك فهذه الأمثلة لا مؤاخذ فى طلبها من هؤلاء لأن الاستعانة طلب المعونة من الغير وهذا الغير أن كان هو الله فالمراد خلق المعونة فى المستعين بالله ليقوى على العمل وان كان هذا الغير هو العباد فالمراد من معاونتهم هو مشاركتهم لمن استعان بهم فى أعمالهم لتسهل عليهم بالدعاء أو بالمعاونة بالفعل . فلما كانت الاستعانة مما يصح اسنادها الى الله تارة كما فى اياك نستعين ، والى العباد تارة أخرى كما فى قوله « وتعاونوا على البر والتقوى » ... صح أن نستعين بالأولياء ... والأنبياء وأن نستعين بالله رب العالمين ، وحديث اذا استعنت فاستعن بالله لفت نظر من الرسول الى طلب الاستعانة المجدية وهى الاستعانة بالله فمعنى الحديث اذا أردت معونة مثمرة ومجدية لا منة فيها من أحد عليك ولا امتنان ولا ينفك عنها حصول ما يطلب لك فعليك بالله ان كنت من الصادقين مع الله والا فاقرع أبوابه وأبواب المقربين اليه ومثله حديث (اذا سألت فاسأل الله) مع أن سؤال الغير لا يمنعه أحد — ومثل الاستعانة فيما تقدم الاستغاثة فانها كما تسند الى الله العباد تقول استغثت بالله فأغاثنى واستغثت بالطبيب فلم يغثنى ويقول الواقع فى ضيق اغثنى يا فلان — ويقول المستغيث (يالله) بفتح اللام ينادى المسلمين ليغيثوه — واستغاث موسى الذى من شيعته على الذى من عدوه فأغاثه موسى — فلما كانت الاستغاثة مما يصح اسنادها الى الله والى

العباد صح ان نستغيث بالله وان نستغيث بالعباد على معنى ان نطلب من الله أن يخلق ما يكون سببا فى تفريج مضايقنا وأن نطلب من العباد أن يتسببوا فى هذا التفريج بالدعاء أو نحوه .

أما الحديث الذى رواه الطبرانى فى معجمه أنه كان فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم منافق يؤذى المسلمين ، فقال الصديق : قوموا بنا نستغيث برسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا المنافق .

فجاءوا اليه فقال انه لا يستغاث بى انما يستغاث بالله ، فانه لا ينفى الاستغاثة بالغير بل معناه : أنكم ان أردتم استغاثة مجدية وتؤتى فائدتها المرجوة لكم وهو قصم ظهر هذا المنافق الظالم العاتى ، وقطع لسانه عنكم فعليكم بقاصم العتاة الجبابرة، وهو الله ، أما أنا فلا يستغاث بى هذه استغاثة المرجوة لكم ، ويمنعنى من تحقيق ذلك نطقه بالشهادتين .

أما الحديث الذى رواه الطبرانى فى معجمه أنه كان فى زمن النبى من الله تستعمل فى طلب الاغاثة من العباد . على أن طلب الاغاثة من العباد رجوع الى الأسباب ، وطلب الاغاثة من الله رجوع الى مسبب الأسباب فيجوز أن الرسول أراد ارجاع أصحابه الى مسبب الأسباب ، فقال : « أنا لا يستغاث بى حقيقة ، لأنى سبب من أسباب الاغاثة ، والمغيث الحقيقى هو مسبب السبب ، وهو الله ، فاستغيثوا بالله .

ومثل هذا يقال فى قوله : « اذا استعنت فاستعن بالله ، واذا سألت فاسأل الله » .

ومثل هذا يقال فى الاستغاثة بالأنبياء والمقربين ، فان أردت أن تطرق باب الأسباب فأمامك الأنبياء والأولياء ، وان أردت الرجوع الى مسبب الأسباب فعليك بالله ، وهكذا القول فى الاستشفاع بالأنبياء والأولياء . وليعلم أن نفى الشفاعة الا باذن من الله كما هو مصرح به فى القرآن هذا النفى منصب على الشفاعة المقبولة عند الله التى تجدى وتثمر وتؤتى ثمرها بالفعل ، وهذه لا يملكها أحد الا باذن الله .

أما مطلق الشفاعة فنحن نسألها بدون اذن منه ، كما ندعوه بدون اذن منه ، لأنها فى المعنى دعاء للمستشفع .

والشفاعة بالاذن ذكرها الله تيئيسا لعبدة الأصنام الذين يجزمون بأن أصنامهم ستشفع لهم ويقطعون بأن شفاعتهم ستجديهم وتنفعهم ، وهيهات هيهات . فمن ذا الذى يشفع عنده الا باذنه .

وايضاحا لما تقدم نقول ان اسناد الفعل الى السبب كقول المؤمن الموحد بالله أنبت الماء الزرع جائز وسائغ شرعا ولا يعاقب عليه عند الله رأسا مع أن المنبت للزرع هو مسبب السبب لا الماء ولكون الماء سببا صح اسناد الفعل اليه .

وبمراعاة هذا الأصل تجد أن هناك أفعالا لا حصر لها يصح اسنادها للسبب كما يصح اسنادها لمسبب السبب . كشفى وأمرض وأصح وأسقم وأعطى ومنع ووصل وقطع وأمات وأحيا ووسع فى الرزق وضيق هذه الأفعال يصح اسنادها للسبب كشفى الطبيب وأمرض وأصح وأسقم وأعطى الغنى ومنع ووصل وقطع وأمات الطبيب فلانا وأحياه ، ووسع فلانا على عياله فى الرزق وضيق عليهم .

وعلى هذا الأصل اذا أسندت الفعل الذى تسبب فيه النبى أو الولى اليهما لم تكن مخلا بآداب الدين ، ولا خارجا عن الطريق المستقيم ولا مسئولا فى ذلك أمام رب العالمين فاذا قلت شفانى زيد أى تسبب بسؤاله اللهفى شفائى أو قلت أعطانى ووسععلى أونحو ذلك لأنه تسبب فى ذلكفهذا لا غبار عليه ، انما الذى لا يجوز ولا يسوغ ويعاقب عليه من الله ، هوأن تعتقد أن هذا المخلوق هو الذى خلق الشفاء أو خلق السعة والرزق ، أو أوجد شيئا من ذلك بذاته وبدون رجوع الى الله فان هذا الاعتقاد شرك صريح ولا يمكن أن يوجد فى المسلمين فرد واحد يعتقد هذا الاعتقاد ، وبهذا يمكنك أن تميز الصحيح من الباطل والسليم من العاطل فى توسلات الناس .

فليس البدوى أو غيره فى عقائد المسلمين الا أسبابا ووسائل لنيل المقصود وأن الله هو الفاعل لما يريد كرامة لهم لا أنهم هم الفاعلون أو الخالقون « والله خلقكم وما تعملون » .

ولا تجد مسلما واحدا يعتقد أن الميت فى قبره أو روحه المنفصلة عنه تستطيع أن تفعل شيئا أكثر من أن تشفع عند الله لمن أتاه أو استغاث به وناداه وأن الله يتفضل بالغوث كرامة لهذا الولى الذى لجأ اليه السائل مستشفعا أو مستنجدا أو مستغيثا .

فاللهم أغثنا برحمتك ، وأنجدنا ببركة أحبابك ، وشفع فينا خير أنبيائك واحشرنا بفضلك مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا . والحمد لله رب العالمين أولا وآخرا .

فهرس الكتاب

الموضـــوع	صفحة

رســالة


مؤسسة
دار التحرير للطبع والنشر
مطابع شركة الإعلانات الشرقية


مؤسسة
دار التحرير للطبع والنشر
مطابع شركة الإعلانات الشرقية